الغزالي

حجة الإسلام أبو حامد

محمد بن محمد الطوسي

'505-450هـ/1058-1111م)

الإملاء على مشكل الإحياء

تحقيق

عبد المولى هاجل

الطبعة الثانية

1446هـ/2025م

الإملاء
على
مشكل الإحياء

Al-Imlā’ fi ‘iskālāt al-iḥyā’	الإملاء في إشكالات الإحياء
Author: *Abū Ḥāmid Muḥammad b. Muḥammad al-Ġazālī aṭ- Ṭūsī*	**المؤلف**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي
Editor: *Abdelmoula HAGIL*	المحقق: عبد المولى هاجل
Classification: *Dogmatic theology*	التصنيف: علم الكلام
Year: *1445 H. - 2024 AD*	سنة الطباعة: 1446هـ - 2025م
Pages: 324	عدد الصفحات: 324
Size: 17x24 cm	القياس: 24 x 17سم
Printed in: *France*	بلد الطبع: فرنسا
Edition: Second Edition	الطبعة: الثانية

gzoulasafi@gmail.com

الغزالي

حجة الإسلام أبو حامد

محمد بن محمد بن محمد الطوسي

(450 - 505هـ / 1058 - 1111م)

الإملاء على مشكل الإحياء

تحقيق

عبد المولى هاجل


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

يبدو أن الجزء الرابع من كتاب إحياء علوم الدين والمخصص للمنجيات قد أثار ضجة كبيرة لاتزال مصدرا لكثير من التساؤلات والجدالات وذلك لما احتواه من مفاهيم وآراء عسر استيعابها أو تقبّلها على كثير من العلماء منذ صدور هذا الكتاب وانتشاره بين الناس. وهو الأمر الذي حمل الغزالي كما بينا في الطبعة الأولى لعملنا هذا على تأليف "الإملاء على مشكل الإحياء". محاولة منه، كما يدل على ذلك عنوان الكتاب، للإجابة هذه الأسئلة ودفع الشبهات وكشف الإشكالات التي استعصى أدراكها على بعض من "حُجِب فهمه، وقصر علمه، ولم يفز بشيء من الحظوظ المَلَكِية قَدَحُه وسهمه".

حاولنا في مقدمة الطبعة الأولى عرض بعض هذه المآخذ التي أخذت على كتاب الأحياء ولم نأل جهدا في التعريف بأصحاب هذه المآخذ وبالمصادر والموارد التي كانت وراءها.

وها نحن اليوم نقدم للقراء الأفاضل طبعة ثانية لكتاب الإملاء بعد أن اجتهدنا في تدقيقها وتهذيبها. وإصلاح بعض الخلل الذي انتاب الطبعة الأولى من أخطاء إملائية، أو نحوية أو مطبعية

عبد المولى هاجل

10 - شعبان 1446هـ

09 - فبراير 2025م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إحياء علوم الدين[1] لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي[2] (450- 505هـ/1058- 1111م) من الكتب التي صنفت ليتخذها الناس منهاجا ودليلا بغية الوصول

---

[1] لإحياء علوم الدين طبعات تكاد لا تحصى، فقد طبع في الهند، ومصر، وإيران، والمغرب، وأندونيسيا، وتركيا وغيرها من الدول. انظر على سبيل المثال ما ذكره عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، القاهرة، 1381هـ/1961م، الكويت، وكالة المطبوعات، 1398هـ/1977، ص 112، وسنعتمد في عملنا هذا على طبعة دار المنهاج، جدة، 1432 هـ /2011م.

[2] حجّة الإسلام أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي (450 - 505هـ/1058- 1111م). لتتبع المراحل التي قطعها الغزالي في حياته سعيا وراء طلب العلم والمعرفة، انظر المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عيّاد، دمشق، 1353هـ/ 1934م، وقد طبع بعد ذلك عدّة مرّات منها تلك التي أنجزت في بيروت، دار الأندلس، 1424هـ/ 2003م، وعليها اعتمدنا في هذا العمل. ولمن أراد أن يطّلع على ترجمة الإمام الغزالي كما سجّلها أحد معاصريه فعليه بما نقله الإمام الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمّد الفارسي (451 - 529 هـ / 1059 - 1135 م) في كتابه " السياق لتاريخ نيسابور "، والذي انتخبه إبراهيم بن محمّد بن الأزهر الصريفيني (581- 641هـ/ 1185- 1244م) وسمّاه " المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور "، تحقيق محمّد أحمد عبد العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، 1409هـ/1989م، ص 73- 75. وتجد ترجمة الإمام الغزالي كاملة كما سجّلها الإمام عبد الغافر قبل أن يختصرها الصريفيني عند تاج الدين السبكي (727 - 771هـ/ 1327- 1370م) في طبقات الشافعيّة الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناحي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1383هـ/1964م، ج 6، ص 204- 214. وقد أوردها الذهبي (673 هـ - 748 هـ / 1274م - 1348م) ملخّصة في " سير أعلام النبلاء "، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت،

إلى المقام الأسنى[3]، ويأتي الإحياء في المقام الثالث من حيث التسلسل التاريخي بعد " *قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد* "[4] لأبي طالب المكي[5] (توفي سنة 386هـ/996م)، *والرسالة القشيرية*[6] للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري[7] (376-

---

مؤسسة الرسالة، 1401هـ/1981م، ج 19، ص 324- 327. وقد علّق السبكي على هذا التلخيص في طبقات الشافعيّة، ج 6، ص 203- 204. ولكي تكون الصورة كاملة لدى القارئ، وحتى يتمكّن من تتبع صدى ردّة الفعل التي أثارها الإحياء، فعليه أن يضيف لهذه المصادر ترجمة الإمام الغزالي كما جاءت في تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق بشّار عوّاد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م، ج 11، ص 62- 71. وانظر أيضا ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعيّة، تهذيب الإمام النووي، تبييض الإمام المزّي، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1413هـ/ 1992م، ج 1، ص 249- 262.

[3] هذا هو البعد الأخلاقي والديني الذي تجده دائما مقرّرا في المقدّمات التي يستهلّ بها أصحاب هذه المؤلّفات كتبهم ورسائلهم، والتي جعلوا منها سبيلا لمعرفة الله وطاعته عبر اتّباع هدي القرآن والسنّة النبويّة، وبسلوك طريق من تزهّد وآثر الآخرة على الدنيا.

[4] " قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد "، كتاب في التصوّف يشتمل على ثمانية وأربعين فصلاً موزّعة على مجلّدين، له طبعات متعددة..

[5] أبو طالب محمّد بن عليّ بن عطيّة الحارثي، المكّيّ المنشأ، الإمام الزاهد العارف، شيخ الصوفيّة. توفّي سنة 386 هـ / 996م ببغداد. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، 1398هـ/ 1978م، ج 4، ص 303- 304. الذهبي، سير، ج 16، ص 536- 537.

[6] الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، مطابع مؤسّسة دار الشعب، 1409هـ/ 1989م.

[7] زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، من كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر. (376 -

465هـ/987-1072م) والتي ألفها لكي تكون في التصوف كرسالة الإمام الشافعي (150- 204هـ / 767-820م) في أصول الفقه؛ إلا أن الإحياء تميز عن هذ الضرب من الكتب ليس فقط بحسن ترتيبه، وكثرة علمه، وقوة حجته، ولكن بما أثاره من ردة فعل عنيفة ذاق وبالها الإمام الغزالي في حياته[8] ولا زالت مستمرة إلى يومنا هذا.

الأستاذ الطرطوشي وإحياء علوم الدين:

بدأت هذه الحملة العاتية على الإحياء كما قلنا منذ السنوات الأولى التي تلت ظهور الكتاب وانتشاره في الآفاق، فنحن نجد كلاما شديد اللهجة صدر عن أحد المعاصرين للإمام الغزالي، والذين كان لهم اتصال به، ويتعلق الأمر بالأستاذ أبي بكر الطرطوشي[9] (451 -520هـ/1059-1126م) في كتاب له

465هـ/ 987- 1072م) ". ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 205- 208. الذهبي، سير، ج 18، ص 227- 233. السبكي، طبقات، ج 5، ص 153- 162 .

[8] انظر ابن العربي (أبو بكر)، الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، تحقيق عبد الله التوراتي وأحمد عروبي، طنجة/بيروت، المطبعة الكتّانية، 1436هـ/ 2015م، ج 2، ص 394.

[9]أبو بكر محمّد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيّوب الفهري الأندلسي الطُّرْطوشي الفقيه، عالم الإسكندرية. وطُرطوشة هي آخر حدّ المسلمين من شمالي الأندلس. وكان أبو بكر يعرف في وقته بابن أبي رندقه. لازم القاضي أبا الوليد الباجي بسرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف، ثم حجّ، ودخل العراق. وتفقّه أيضا عند أبي بكر الشاشي، ونزل بيت المقدس مدّة. توفي بالإسكندرية سنة 520هـ/ 1126م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 262- 265. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 490- 496.

يدعى " مراقي العارفين "[10] كما ذكر ابن خلصون[11] في رسالته[12]. إلا أنه لم يصلنا من هذا النقد إلا الرسالة الأخرى التي تناقلت أغلب المصادر بعض

---

[10] بهذا العنوان ذكر ابن خلصون الرسالة التي انتقد بها الطرطوشي ما جاء في الإحياء مخالفا، حسب قول عالم الإسكندرية، لتعاليم الإسلام، وهي كما أشار ابن خلصون الذي أورد بعض السطور منها رسالة طويلة. انظر لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق بوزياني الدراجي، الجزائر، دار الأمل للدراسات،1421هـ/ 2009م، ج 4، ص 27- 28. لكن العلامة محمّد المنوني في مقال له ذكر أنّه عثر على مخطوط للطرطوشي يحمل عنوان " الأسرار والعبر "، ونشر بعض مقتطفاته بعد أن قدّم له بقوله: " ولحسن الحظ ظهر السفر الأوّل من كتاب الطرطوشي هذا أثناء العمل في خزانة خاصّة في مراكش عام 1403هـ/1983م، وتبيّن أنّ عنوانه هو " الأسرار والعبر " على بتر بآخر هذا السفر، حيث يشتمل على 177 ورقة، وفي مقياس 129/185 مم، مسطرة مختلفة، خطّ مشرقي نسخي واضح عتيق. " محمّد المنوني، حضارة الموحدين، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1410هـ/1989م، ص 196. ويبدو من لهجة النصّ الذي نقله ابن خلصون أنّ هذا المؤلَّف، أعني " مراقي العارفين " غير " الأسرار والعبر "، وهو مختلف أيضا عن الرسالة التي وجّهها الطرطوشي لابن المظفر كما سنرى، والتي نجد مقتطفات منها عند بن الصلاح، والذهبي، والسبكي وغيرهم.

[11] لا نعرف له ترجمة إلّا تلك التي ذكرها صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة، وهو من أعلام القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، واسمه كما ورد في الإحاطة، محمّد بن يوسف بن خلصون، ويكنّى أبا القاسم، سكن لوشة، وغرناطة، ومالقة. كان من جلّة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلا، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقليّة، فتحرّف بمالقة بصناعة الطّب، إلى حين وفاته. له كتاب في " المحبّة "، وكتاب " وصف السلوك إلى مَلِكِ الملوك "، عارض به معراج الحاتمي (أي ابن عربي وكتابه الإسراء إلى المقام الأسنى)، فبان له الفضل، ووجبت المزيّة، و " رسالة الفتق والرّتق، في أسرار حكمة الشرق ". وله أيضا كتاب الأغذية، لم يذكره صاحب الإحاطة وقد حقّقته وترجمته إلى الفرنسية سوزان جيغاندي، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1417هـ/ 1996م.حول ابن خلصون انظر الإحاطة، ج 4، ص 4- 5.

أجزاءها[13]، والتي يتضح من أسلوبها أنها رد للأستاذ الطرطوشي على سؤال أو رسالة تلقاها من أحد المستفسرين عن الإحياء، ومما جاء فيها:

" وأما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيت الرجل وكلمته، فوجدته رجلا جليلا من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره، وكان على ذلك معظم زمانه[14]، ثم بدا له [الانصراف][15] عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصوف وهجر العلوم وأهلها،[16] ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشياطين، ثم شابها بآراء[17]

[12] الإحاطة، ج 4، ص 27.

[13] انظر نصّ الرسالة كاملة عند أبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمّد حجّي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب / ودار الغرب الإسلامي، 1401هـ/ 1981م، ج 12، ص 186- 187.

[14]عند الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 494، وذلك تحت ترجمة الأستاذ الطرطوشي: " سلام عليك، فإنّي رأيت أبا حامد وكلّمته، فوجدته امرأ وافر الفهم والعقل، وممارسة للعلوم، وكان على ذلك معظم زمانه، ثم خالف عن طريق العلماء...".

[15] سقطت من المعيار، ج 12، ص 186. وتاريخ الإسلام، ج 11، ص 68. وسير أعلام النبلاء، ج 19، ص 339. وهذه الزيادة من السبكي، ج 6، ص 243، وانظر تعليق المحقّقيْن.

[16] في المعيار " ثمّ تصرف بمحيّر العلوم وأهلها "! ج 12، ص 186.

[17] في المعيار " برأي "، ج 12، ص 186.

الفلاسفة ورموز الحلاج[18]، وجعل يطعن[19] على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن[20] ينسلخ من الدين. فلما عمل كتابه سماه إحياء علوم الدين، عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز[21] الصوفية، وكان غير أنيس[22] بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، [فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر][23]. [ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض، في مبلغ علمي،[24] أكثر كذبا على رسول الله

---

[18] هو الحسين بن منصور الحلاج، ويكنّى أبا مغيث. نشأ بواسط. وقيل بتستر، وخالط جماعة من الصوفية منهم سهل التستري، والجنيد، وأبو الحسن النوري وغيرهم. رحل إلى بلاد كثيرة، منها مكّة وخراسان، والهند، واستقر به المقام ببغداد، وبها قتل سنة 309 هـ/922م، لأنّه اتّهم بالكفر والزندقة. انظر السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1997م، ص 307- 311. الذهبي، سير، ج 14، ص 313- 354.

[19] في المعيار " ينحو " ج 12، ص 186.

[20] سقطت "أن" من طبقات السبكي، ج 6، ص 243.

[21] في المعيار " مراقي "، ج 12، ص 186.

[22] في المعيار " دريّ "، ج 12، ص 186.

[23] حذف الذهبي من رسالة الطرطوشي في تاريخ الإسلام، هذا المقطع الذي أوردناه بين المعقوفتين، وتبعه في ذلك السبكي في طبقات الشافعيّة، إلّا أنّه من الملاحظ أنّ الذهبي أورد المقطع نفسه في سير أعلام النبلاء ليس تحت ترجمة الإمام الغزالي ولكن في نصّ الرسالة التي أستشهد بها تحت ترجمة الأستاذ الطرطوشي. أنظر الذهبي، تاريخ، ج 11، ص 68، والسير، ج 19، ص 339، وص 495.

[24] للإشارة نذكّر بأن الأستاذ الطرطوشي قد اهتمّ بتفسير الثعلبي المسمّى: " الكشف والبيان في تفسير القرآن " والذي أخذ عليه العلماء أيضا هذه المآخذ التي تتعلّق بالأحاديث الموضوعة. انظر ما قاله محمّد بن جعفر بن إدريس الحسني الكتّاني بخصوص هذا التفسير وتفاسير الواحدي، تلميذ الثعلبي في " الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرّفة

صلى الله عليه وسلم][25]، ثم شبكه[26] بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفاء[27]، وهم قوم يرون النبوة اكتسابا. فليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل، تخلق بمحاسن الأخلاق، وجانب سفسافها، وساس نفسه حتى ملك

"، تحقيق محمّد المنتصر، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الرابعة، 1406هـ/ 1986م، ص 79.

[25] أورد الذهبي ما بين المعقوفتين في سير أعلام النبلاء تحت ترجمة الطرطوشي ج 19، ص 495، مع اختلاف طفيف في العبارة عمّا جاء في المعيار للونشريسي، ج 11، ص 186. لكن الذهبي أسقط ما بين المعقوفتين من تاريخ الإسلام واستبدله بعبارة " وشحن كتابه بالموضوعات "، والفرق بين النصّين أو بين التعبيرين جليّ لمن أراد أن يقف على كيفيّة تنسيق المعلومات التي يوردها شيخ الإسلام الذهبي تحت كلّ ترجمة. ولقد نقل عنه السبكي ما أورد من كلام الطرطوشي تحت ترجمة الإمام الغزالي، وبها أنهى نقله من الرسالة المذكورة. ولا ندري ما عسى كان ردّ صاحب طبقات الشافعيّة الكبرى لو أنّه اطلع على ما قاله الطرطوشي في حقّ الإمام الغزالي كما جاء في السير مستورا تحت ترجمة الفقيه المالكي نزيل الإسكندرية.

[26] في المعيار " سبكه ". ج12، ص 186.

[27] انظر ما يقوله أبو حيان التوحيدي حول إخوان الصفا وقصّتهم، وقصة رسائلهم في الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1361هـ/1942م، ج 2، ص 4 وما بعدها. وتجد كلام التوحيدي عند القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ/ 2005م، ص 67- 72. وقد نشرت رسائلهم عدّة مرات. أنظر رسائل إخوان الصفاء وخلانِ الوفاء، بيروت، دار صادر، د. ت.

قيادها، فلا تغلبه شهواته، ولا يقهره سوء أخلاقه، ثم ساس الخلق بتلك الأخلاق...[28] وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق "[29].

ولقد تصدى للرد على هذا المقطع الأول من هذه الرسالة الإمام تاج الدين السبكي[30] (771.727هـ/1327- 1370م) في طبقاته، فجاء التعقيب مرتكزا على ست نقاط وهي:

1- كلام الطرطوشي من الدعاوى العارية عن الأدلة، وما ندري كيف استجاز في دينه أن ينسب هذا الحبر إلى أنه دخل في وسواس الشيطان، ولا من أين اطلع على ذلك.

2- قوله: " شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج. " فلا ندري أي رموز في هذا الكتاب غير إشارات القوم التي لا ينكرها عارف، وليس للحلاج رموز يعرف بها.

3- وقوله: " كاد ينسلخ من الدين. " فيالها كلمة وقانا الله شرها.

---

[28] سقط من السير مقدار سطر، وهذا نصّه في المعيار: " وأنكروا أن يكون الله تعالى، من أقرّ به منهم بالصانع، يبعث إلى الخلق رسولا ويؤيّده بالمعجزات حيل ومخاريق. " كذا وردت العبارات الأخيرة في المعيار، ج 12، ص 187.

[29] لمن أراد أن يطلع على رسالة الطرطوشي فعليه بالسير، ج 19، ص 494- 496، والمعيار، ج 12، ص 186- 187.

[30] أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، قاضي القضاة، (727- 771هـ/1327- 1370م). انظر ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت/دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ / 1986م، ج 8، ص 378- 380. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعيّة، تحقيق عبد الحليم خان، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، 1399هـ/ 1979م، ج 3، ص 140- 143.

4- ودعواه أنه غير أنيس بعلوم الصوفية، فمن الكلام البارد، فإنه لا يرتاب ذو نظر بأن الإمام الغزالي كان ذا قدم راسخ في التصوف. وليت شعري، إن لم يكن الإمام الغزالي يدري التصوف فمن يدريه.

5- ودعواه "أنه سقط على أم رأسه." فوقيعة في العلماء بغير دلالة، فإنه لم يذكر لنا بماذا سقط، كفاه الله وإيانا غائلة التعصب.

6- والموضوعات في كتابه، فليت شعري، أهو واضعها حتى ينكر عليه؟ إن هذا إلا تعصب بارد وتشنيع بما لا يرتضيه ناقد.[31]

والظاهر أن انتقادات الطرطوشي تحمل على ما يبدو في طياتها السبب الذي من أجله هاجم الفقيه المالكي الإمام الغزالي ولم يرقب فيه إلا ولا ذمة، وذلك قوله: " وجعل يطعن في الفقهاء والمتكلمين. "وهو ربما يعني بالفقهاء فقهاء المالكية، وبالمتكلمين أتباع أبي الحسن الأشعري، وهذا، كما سنرى، ما نستشفه من كلام السبكي حين رد على المازري[32] (453- 536هـ/1061-1141م)، حيث ذكر بأن المالكية، خصوصا في المغرب، "كانوا مصممين على مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها، لا يتعدوها، ويُبَدِعون من خالفه ولو في النزر اليسير والشيء الحقير. ثم هم شديدو الميل

---

[31] السبكي، طبقات الشافعيّة، ج 6، ص 252.

[32]الإمام أبو عبد الله محمّد بن علي بن عمر المازري، مستوطن المهديّة. ولد في مازر وهي مدينة بجزيرة صقلية، لم يذكر أحد ممّن ترجم له سنة ولادته ولكنّهم اتفقوا على تاريخ وفاته سنة 536هـ/ 1141م. أخذ عن اللخمي، وأبي محمّد بن عبد الحميد السوسي، وغيرهما من شيوخ أفريقية. من كتبه " المعلم بفوائد مسلم "، " شرح أحاديث الجوزقي "، "إملاء على البخاري "، " التعليقة على المدوّنة "، " إيضاح المحصول من برهان الأصول "، نظم الفرائد في علم العقائد "، " النقطة القطعية في الردّ على الحشوية "، " أمالي على رسائل إخوان الصفا ". انظر القاضي عياض، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1402 هـ / 1982 م، ص 65.

إلى مذهب مالك، كثيري المناضلة عنه، والإمام الغزالي وصل من التحقيق وسعة الدائرة في العلم إلى المبلغ الذي يعرف كل منصف بأنه ما انتهى إليه أحد بعده، وربما خالف أبا الحسن في مسائل من علم الكلام، والقوم، نعني الأشاعرة، لا سيما المغاربة منهم، يستصعبون هذا الصنع، ولا يرون مخالفة أبي الحسن في نقير ولا قطمير. وربما ضعف مذهب مالك في كثير من المسائل، كما فعل في مسألة المصالح المرسلة، وعند ذكر الترجيح بين المذاهب".[33]

هذا على ما يظهر هو الذنب الذي لم يغفره الطرطوشي، ومعه المازري وثلة أخرى كما سنرى من علماء المالكية وغيرهم، لصاحب الإحياء. فالغزالي، بإقدامه على نقد هؤلاء الأعلام، أصبح عرضة " لوساوس الشيطان "، ولكن قبل أن يتعرض لذلك كان عليه أن يقطع مراحل رسمها له الطرطوشي باستنتاجاته، وجعل منها مقامات تتالت على الغزالي الواحدة بعد الأخرى حتى كادت تفضي به إلى " المروق عن الدين ". وأول هذه المقامات " خروج أبي حامد عن طريق العلماء "، ومعناه في لغة الفقيه المالكي نقدهم، والرد عليهم، ومخالفتهم، أو الاستقلال برأي غير الذي سطره الأولون.[34] ويعيد الطرطوشي الكرة بالتأكيد على هذا الأمر بقوله: " وهجر العلوم وأهلها. "[35] فالغزالي ضل الطريق، وابتعد عن السبيل، وانحرف واختار علوما أخرى هي من المحظورات، إذ هي ليست من العلوم التي يمكن حصرها أو تعلمها وأخذها عن الشيوخ المتفق على علو شأنهم، وارتفاع قدر ما خلفوه من الأقوال والمقالات التي بها

---

[33] السبكي، طبقات، ج 6، ص 244.

[34] قارن موقف الطرطوشي بما سيذكره ابن الجوزي في كتبه ردا على الغزالي كما سيأتي.

[35] سنرى مع ابن الجوزي أنّ العلماء هم على الخصوص الفقهاء. انظر ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/ 1995م، ج 17، ص 125- 126.

تعرف العلوم، وتدرك أصولها وغاياتها؛ بل إن ما اختاره الإمام الغزالي كسبيل للمعرفة يعد من الأمور التي يصعب ضبطها وإحكامها، لأن القلب أو " القلوب " كما ذكر الطرطوشي، أمرها صعب المنال، عسير الاستحصال، فغذاءها الخواطر، ومنافذها السرائر، ولا سبيل إذن إلى ضبط هذه المعارف والأحوال والوقوف على هذه الخواطر خصوصا إذا كان عمادها "المرامز". وهذا ما لا يقره أهل الرسوم كما يسميهم أغلب " العارفين بالله ". وأقرب سبيل من هذا المسلك بزعم الأستاذ الطرطوشي هو ما عبر عنه بوساوس الشيطان. فالطريق تؤدي إلى المهامه، والوساوس تفضي إلى الظلمات. وكأننا بالطرطوشي اطلع على قلب الإمام الغزالي، ورأى كيف أنه كان على الطريق المستقيم ثم آثر أن يتركه ليلحق بالذين تفرقت بهم السبل. لهذا السبب استعظم السبكي هذا الادعاء وتساءل: " كيف استجاز (يعني بذلك الطرطوشي) في دينه أن ينسب هذا الحبر إلى أنه دخل في وسواس الشيطان، ولا من أين أطلع على ذلك؟ "

النقطة الثانية التي تثير الانتباه في رسالة الطرطوشي هي ما عبر عنه بقوله: " وكاد ينسلخ من الدين ". وللعبارات المختارة للإفصاح عن رأي ما، أو لرسم صورة شعرية كانت أو نثرية أهميتها، إذ هي السبيل أو الواسطة التي تمكن القارئ أو المستمع من الوقوف بصفة دقيقة أحيانا على المرجعية التي نهل منها المتكلم، أو الكاتب، أو الشاعر للدلالة على ما يريد إيصاله إلى المتلقي. فما إن تقرع أذنك كلمة انسلخ حتى تأتيك مسرعة آيات الذكر الحكيم مدوية راسمة لك صورة ذلك الذي قال الله في حقه: " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (الأعراف؛ 175-177) " فالانصراف، والهجر، ووساوس الشيطان، والطعن في الفقهاء والمتكلمين، أدوات اختارها الطرطوشي ومهد بها للحط من قدر

الإمام الغزالي، والتشكيك في مقامه بين المسلمين، فكاد من أفعال المقاربة، وقد استعملت في هذه العبارة للتدليل على أن الإمام الغزالي قارب فعل الانسلاخ، أي الخروج عن الدين.

وكأن كل هذا لم يشف غليل صدر الطرطوشي فسارع إلى إضافة صفة أخرى ليست مما يحمد عقباه، ألا وهي الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان الطريق إلى ذلك ممهدا إذ جعل الوسيلة إليه كتاب إحياء علوم الدين. والغريب أن الذهبي (673-748 هـ /1274-1348م) عندما وصل إلى عبارة " ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله " كما نقلها السبكي، حورها على الأقل في سير أعلام النبلاء،[36] فصارت عنده " وشحن كتابه بالموضوعات " مما يدل على أنه استعظمها هذه المرة[37]، وبيْن التعبيرين كما سنرى فارق عظيم.

---

[36] الذهبي، سير، ج 19، ص 339.

[37] سبق للذهبي كما ذكرنا أن استشهد بكلام الطرطوشي دون أن يغيّر منه حرفا واحدا وذلك عند بداية ترجمته للغزالي. سير، ج 19، ص 334. إلّا أنّه من اللافت للنظر أنّ الذهبي جمع بين هذا الكلام وبين شهادة ابن عساكر التي يزعم فيها هذا الأخير أنّ الإمام الغزالي سمع صحيح البخاري من أبي سهل الحفصي، ومعلوم أنّ أمر سماع الإمام الغزالي لصحيح البخاري غير ثابت عند العلماء، فهل من وراء هذا الجمع بين القولين هدف ما أم أنّه محض الصدفة. الإمام الغزالي يكذب على نبيّ الإسلام وهو من الحفّاظ!؟ السياق والسباق واللّحاق عناصر لا يجهل حافظ مثل الذهبي تأثيرها في القارئ أو المستمع، وهو لا يخفى عليه أيضا أمر الرواة والحفّاظ، لذلك لا نستبعد من الجمع بين هذين القولين بخصوص الإمام الغزالي، ولو أنّهما متعارضان، (إذ الأول ذم أو قل جرح، والثاني مدح أو بالأحرى تعديل)، أن يكون وراءه، والله أعلم، أمر ما. ولقد تنبّه الإمام السبكي لهذه المسألة واستغرب وتساءل قبلنا فقال: " وقد تحزّب الحاكون لكلامه (أي الغزالي) حزبين، فمن ناقل لبعض الممادح، وحاك لجميع ما أورده ممّا عيب على حجّة الإسلام الغزالي، وذلك صنيع من يتعصّب على حجّة الإسلام، وهو شيخنا الذهبي فإنّه ذكر بعض الممادح نقلا معجرف اللفظ، محكيا بالمعنى،

ففي التعبير الأول نُسب الكذب إلى الإمام الغزالي فصار حجة الإسلام بهذا الفعل من الذين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبح في عداد من توعدهم الرسول الكريم بقوله: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار." [38] فالطرطوشي لم يحاول فقط إخراج الإمام الغزالي من الملة، بل أراد أن يضمن له حتى مصيره يوم القيامة حين زج به فيمن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مصيرهم إلى النار إن هم تعمدوا إضافة الكذب أو نسبته إليه. أما تحوير الذهبي أو إن شئت تعديله فإنه يحد من مفعول عبارة الطرطوشي، بل يدخل الإمام الغزالي في عداد كثير من العلماء الذين لم تكن لهم دراية كافية تحميهم من بعض الأحاديث الموضوعة التي قد يستشهدون بها، أو يبنون عليها بعض أقوالهم.

ربما يظن ظان بعد قراءة هذه الاستنتاجات أن فيما ذكرناه بعض التحامل على الأستاذ الطرطوشي أو على الإمام الذهبي، وليس لنا لدفع هذه الخواطر التي قد تلوح بألباب بعض القراء إلا إضافة ما أورده الذهبي تحت ترجمة الطرطوشي بخصوص الإمام الغزالي وهو جزء من نفس الرسالة التي رد عليها الإمام السبكي. يقول الطرطوشي متابعا نقده للغزالي: " ولقد شرف الله الإسلام، وأوضح حججه، وقطع العذر بالأدلة، وما مثل من نصر الإسلام بمذاهب الفلاسفة، والآراء المنطقية، إلا كمن يغسل الثوب بالبول، ثم يسوق الكلام سوقا يرعد فيه ويبرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، لا يجوز تسطيره في الكتب. ويقول: هذا من سر الصدر الذي نهينا عن إفشائه. وهذا فعل الباطنية وأهل

غير مطابق في الأكثر. ولمّا انتهى إلى ما ذكره عبد الغافر ممّا عيب عليه استوفاه، ثم زاد، ووشح، وبسط، ورشح ". السبكي، طبقات الشافعيّة، ج 6، ص 203- 204.

[38] البخاري، صحيح، حديث: 110؛ و5844.

الدغل والدخل في الدين، يستقل الموجود ويعلق النفوس بالمفقود، وهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فلئن كان الرجل يعتقد ما سطره، لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقده، فما أقرب تضليله.

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب[39]، فلعمري إذا انتشر بين من لا معرفة له بسمومه القاتلة، خيف عليهم أن يعتقدوا إذاً صحة ما فيه، فكان تحريقه في معنى ما حرقته الصحابة من صحف المصاحف التي تخالف المصحف العثماني "[40].

ولقد سبقنا كما قلنا للرد على الطرطوشي الإمام السبكي، ولكنه ربما لم يطلع على هذا المقطع الذي استثناه الذهبي ولم يورده عندما ترجم لحجة الإسلام، وأودعه موضعا آخر بحيث يمكنه أن يقدح في سيرة الإمام الغزالي مرتين، فإن دافع المتحمسون لصاحب الإحياء وردوا على المطاعن التي حشرها الذهبي تحت ترجمة الغزالي، فلربما سوف يغفلون عما ورد تحت ترجمة الإمام الطرطوشي، وهذا ما حصل لأن أغلب من دحضوا هذه التهم، أو استشهدوا بما طعن به الأستاذ الطرطوشي على الإمام الغزالي لم يقفوا حسب ما ظهر لنا على ما دسه الذهبي تحت ترجمة الطرطوشي.[41]

ولإنصاف هذا الأستاذ، نعني أبا بكر الطرطوشي، لابد من نقل بعض ما عارض به هذا الفقيه كتاب الإحياء عندما ألف كتاب " الأسرار والعبر في الرد على الإحياء " والذي أتحفنا العلامة محمد المنوني (1334-1420هـ/1915-1999م) بنشر بعض مقتطفات منه في كتابه حضارة الموحدين[42]. يقول

---

[39] سنعرض لهذه المسألة بعد الانتهاء من عرض كلام المازري.

[40] الذهبي، السير، ج 19، ص 495- 496.

[41] نستثني من هؤلاء من اطلع على الرسالة كاملة كما أوردها صاحب المعيار، ج 12، ص 186- 187.

[42] محمّد المنوني، حضارة الموحدين، ص 200.

الطرطوشي: " واعلم أنه قد صنف المصنفون في هذه الأبواب كتبا تفوت الحصر، فالدواوين الكبار الجليلة منها مثل كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني، وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتاب دليل القاصدين لأبي بكر السمنطاري المغربي[43]، وكتاب اللوليات[44] لمكحول[45] وكتاب

[43] عتيق بن عليّ بن داود بن عليّ بن يحيى بن عبد الله بن إبراهيم، أبو بكر التميمي الصقلّي الزاهد المعروف بالسمنطاري، رحل إلى المشرق في طلب الحديث. صنّف كتابا في الزهد وغيره سمّاه "دليل القاصدين" في اثني عشرة مجلّدة يشتمل على فوائد كثيرة، وجمع معجم البلدان التي سمع بها الحديث في جزأين، ذكر فيه تسميّة ما سمعه في كلّ بلدة دخلها عن كل شيخ، وجميع شيوخه سبعة وسبعون شيخا. توفّي سنة 464هـ/1071م. ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م، ج 38، ص 296- 298. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م، ج 3، 253- 254. إحسان عبّاس، العرب في صقلية، بيروت، دار الثقافة، 1395هـ/ 1975م، ص 101.

[44] هكذا ورد عنوان الكتاب في المصدر الذي أخذنا عنه هذا النصّ، ولعلّه كتاب اللؤلؤيات المأثور عن مكحول (السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، 1408هـ/ 1988م، ج 5، ص 373)، توجد صورة مخطوطة من هذا الكتاب بمقرّ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالكويت عن مخطوط بمكتبة الأحقاف للمخطوطات، والرقم في مصدر التصوير 87. عدد أوراقه 136 وهو من خطوط القرن السابع الهجري تقريبا أوّله: بسم الله الرحمن الرحيم، قال مكحول بن الفضل النسفي: " الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى، وأمات وأحيى، وأضحك وأبكى، الذي بكلمته قامت السبع الشداد...". وهناك نسخة أخرى منه في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية تحت رقم 5079 فلم. ونقل منه القرطبي في كتابه التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1987/1407م، ص 76.

[45] الحافظ الرحّالة الفقيه أبو مطيع محمّد بن الفضل النسفي المعروف بمكحول، عالم مصنّف سمع من أبي عيسى الترمذي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، روى عنه أحمد بن محمّد النسفي. كان حسب عبارة الذهبي في تاريخه من غلاة أصحاب الرأي، له كتاب في الحطّ

النصائح الكبير لأبي إسحاق المغربي[46]، وكتاب الرعاية[47] للمحاسبي[48] وكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي الطوسي وهو أكثرها علما، وأقواها حجة، إلا أنا كرهنا منه خلالا خمسة. "[49]

ثم انبرى الطرطوشي بعد ذلك يعدد هذه الخصال التي أنكرها على الإمام الغزالي. ولكن المثير للانتباه في هذا الكتاب هو لهجة الطرطوشي فيه، فبعد أن كان أسلوبه حادا لاذعا في كلتا الرسالتين المذكورتين فيما قبل، واللتان نقل منهما الذهبي وغيره المآخذ المذكورة سابقا، صار الأسلوب هنا مهذبا لطيفا لينا، فاختفت تلك الحدة التي فاجأتنا، بل إننا سنرى بأن الأستاذ الطرطوشي صار يلتمس الأعذار لصاحب الأحياء.

على الشافعي. توفي سنة 318هـ/ 930م، وليس كما جاء في كشف الظنون، 218هـ/833م. ج 2، ص 1071. انظر الذهبي، تاريخ، ج 7، ص 348. الذهبي، سير، ج 15، ص 33.

[46] لم نهتد لمعرفة من هو هذا العَلَم، ولم نجد ذكرا لكتاب النصائح الكبير فيما توفّر لدينا من المصادر.

[47] لعلّه يقصد كتاب الرعاية لحقوق الله والقيام بها، تحقيق عبد الحليم محمود، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1423هـ/ 2003م.

[48] أبو عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري. الزاهد العارف، شيخ الصوفية له كتب كثيرة في الزهد، وأصول الدين، والردّ على المعتزلة والرافضة. توفي ببغداد سنة 243هـ/ 857م. أبو نعيم، حلية الأولياء، القاهرة، مكتبة الخانجي،1416هـ/1996م، ج 10، ص 73- 109، السلمي، طبقات الصوفية، ص 56- 60. السبكي، طبقات، ج 2، ص 275- 284.

[49] محمّد المنوني، حضارة الموحّدين، ص 200.

قال الأستاذ الطرطوشي معددا لهذه الخصال: " إحداهما أن فيه ...[50]من الرسول عليه السلام ولعمري ما يقصد ... [51]من ألف ديوان بكذبة واحدة على رسول الله عليه السلام إلا أن الرجل لم يتعمد منها كلمة واحدة إن شاء الله، وإنما نقل من كتب لا معرفة له بها، وقد اعتذر الرجل على ذلك فقال: " بضاعتي في الحديث مزجاة. "

واعلم أن من رأى حديثا في كتاب لا يعرف صحته لا يجوز له أن يقول قال رسول الله عليه السلام، وهذه مسألة قد أوضحتها في أصول الفقه وبينت فيه اختلاف العلماء في كيفية رواية الحديث وإيراده...

والخصلة الثانية: أنه لما نوع العلوم، اعترضه علم التوحيد، فجعل ينقل فيه كلمات عن رجال من العلماء من القرن الثالث مثل مالك، والشافعي، وأحمد، وأن فلانا ذمه، وفلانا مدحه؛ وقد جاء فيه بطامة، لأن علم التوحيد ومعرفة الله تعالى هو شرط في سائر علوم الدين، وجميع علوم الدين مبنية عليه، وإنما هي فروع ونتائج لهذا الأصل، والخطأ في أكثرها بل المخطئ فيه مأجور، وهذا العلم فرض على أعيان الأمم، فالعامد والجاهل والمخطئ فيه غير معذورين، فكيف يجوز على ذي لب أن يعمد إلى قطب الدين وأساس الإسلام يغض من منصبه، ويحيل فيه على ما قيل وقال...

والخصلة الثالثة: مذاهب شنيعة نقلها من رسائل إخوان الصفا، وهم قوم باطنية كفار، يتأولون القرآن على غير تأويله، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

الخصلة الرابعة: إباحة الغناء والسماع.

---

[50] ذكر ناشر هذه المقتطف أنّ هذه الكلمة غير واضحة وتتعذر قراءتها.

[51] نفس الملاحظة.

الخصلة الخامسة: ما ذكر في كتاب الأطعمة من الحكايات التي لا تليق بالكتب الدينية ".[52]

يظهر من خلال هذه المآخذ التي استوقفت الأستاذ الطرطوشي، بالمقارنة مع ما ورد في الرسالة الموجهة لابن مظفر، أن فقيه الإسكندرية قرأ هذه المرة كتاب الإحياء قراءة متمعن ومدقق في الأمور، وأنه التزم إلى حد ما الانصاف، فبدا متثبتا غير ناقم على الإمام الغزالي ولا متعسف في حكمه على إحياء علوم الدين، فجاءت الألفاظ منتقاة، والعبارات متزنة، والنقد يكاد يكون موضوعيا، والرأي المُدْلى به له مبرراته وحججه التي تؤيده " كذا فليكن الرد بأدب وسكينة "[53]. وهذا دأب من أراد فتح طريق آخر غير مألوف ولا معتاد، أو رام حمل الناس على اتباع سبيل مستحدث، فمجادلته للخصم تكون بالتي هي أحسن، وإبرازه لعوراته تعتمد في أغلب الأحيان على الحكمة، واستمالته للقراء تكون مبنية على اللدانة. هدف الطرطوشي هذه المرة ليس انتقاد الإمام الغزالي فحسب، أو إرضاء مستفت، بل تأليف كتاب يُصلح الإحياء، ويستدرك عليه سقطاته، ويكمل ما فات الإمام الغزالي. وهذا الذي عبر عنه الإمام الطرطوشي عندما ذكر أن الإحياء: " ناقص الأبواب عما اشتمل عليه علو المقامات[54] والأحوال مثل كتاب معجزات الأنبياء، وكتاب كرامات الأولياء، وكتاب البكاء..." ثم بين الأستاذ ما فاق به كتابه مؤلف الإمام الغزالي فقال:

---

[52] المنوني، حضارة الموحدين، ص 200- 201.

[53] عبارة أخذناها من الذهبي عندما علّق على بعض الردود بخصوص الإمام الغزالي. الذهبي، سير، ج 19، ص 337.

[54] في الأصل المنشور " المقاومات " ولعلّه تصحيف لأن السياق يوحي بغيره، وسيتّضح للقارئ بعد هذا أنّ الصواب ما أثبتناه عندما سيتحدث الطرطوشي عن تجزئة كتابه.

"...فانتخبت غرر هذه الدواوين[55] وأنظارها، وجمعت حكمها ومحاسنها، وغصت فيه على أسرار القرآن وجواهره، واستخرجت الكثير من دقائقه وعجائبه، ولم آل جهدا في الاعتصام بالقرآن وصحيح السنة والآثار...

...فلعمري لو اقتصر عليه المريد ...لقرع به باب الجنة، وغلقت دونه أبواب جهنم، واستغنى به عما سواه، لأن السعادة منوطة بحرفين: أحدهما أن تعرف الله، والثاني أن تعرف خطابه إليك فتعمل به، وهذه الخلال موثوقة في هذا الكتاب، مسدودة بمسامير التحقيق...

... وأما تجزئته، فتجزئته على أربعة أرباع:

الأول: ربع المعارف.

والثاني: ربع العبادات.

والثالث: ربع المعاملات.

والرابع: ربع الأحوال والمقامات.

ثم أتبعته بالكتاب الجامع، يحتوي على كتب في فنون شتى شذت عن تراجم الأرباع، ومبلغ جميعها مائة كتاب "[56].

نجح الإمام الغزالي مرة أخرى، ونجح مشروعه إذ دفع بالعلماء إلى سد هذا الثلم الذي طالما غفل عنه حماة الدين وحراس العقيدة كما ذكر في الإحياء[57]، وها هو الإمام الغزالي الذي خرج عن طريق العلماء، يلحق به الطرطوشي فيأتي بكتاب يحدو فيه حدو حجة الإسلام، بل يقسمه نفس التقسيم الذي اخترعه

---

[55] لعلّه يعني بذلك كتب من سبقه في هذا الميدان والتي ذكرها في مقدمة الكتاب.

[56] المنوني، حضارة الموحدين، ص 202.

[57] انظر إحياء علوم الدين، ج 1، ص 9.

صاحب الإحياء ليوصد به هذا الباب ويصلح به هذا الخلل. ثم إنه بإمكاننا الآن، اعتمادا على ما ذكرناه عن الأستاذ الطرطوشي وموقفه من إحياء علوم الدين، القول بأننا لو اكتفينا بما ذكرته بعض المصادر، وعلى رأسها الذهبي، لكان حكمنا عليه حكما غير منصف، خصوصا وأنه قد تبين لنا أن الرجل قد عاد إليه رشده، فارتدى كساء الرزانة، ووزن الإحياء بميزان العقل، وكاله بمكيال الخُلد، ومعيار ذوي الألباب، الذين لا تكفيهم الأنباء الواردة من أقاصي البلاد، ولا الأقاويل الطاعنات في أعراض العلماء، الجارحة لهم، والمنقصة من شأنهم، بل يتحرون الأمور، ويدققون فيها حتى إذا حكموا على أمر ما جاء حكمهم فصلا، وقولهم قولا عدلا.

وهذا الحكم لا يدخل تحته الإمام الذهبي سيما ونحن نعلم أن هذا الحافظ كان خبيرا بأمور الرجال، عليما بطرقهم طريقة وأساليبهم، خصوصا منهم رواة الحديث، وذلك لأننا لا نستبعد ممن يترصد هذه الطرق ويترقبها أن يستغلها في بعض الأحيان في نقل الأخبار، وجلبها، واستخدامها لإبداء رأي، أو تأييد فكرة، أو مناصرة مذهب، أو الطعن في رجل. وهذا تلميذ الذهبي يقول عنه: " ونقلت من خط الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلائي[58] رحمه الله ما نصه: "

الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي لا أشك في دينه وورعه وتحريه فيما يقوله الناس، ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومنافرة التأويل، والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك في طبعه انحرافا شديدا عن أهل التنزيه، وميلا قويا إلى أهل

---

[58]أبو سعيد العلائي، صلاح الدين، خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي الشافعي الأشعري. مفسّر ومحدّث وفقيه ونحوي وأديب ومؤرخ. ولد سنة 694هـ/1294م في دمشق وتعلّم فيها، ورحل رحلة طويلة. ثم أقام في القدس زمانا، وعمل مدرّسا في الصلاحية سنة 731هـ/ 1314م، وتوفّي في القدس سنة 761هـ/ 1360م. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعيّة، ج 3، ص 121- 125. ابن العماد، شذرات الذهب، ج 8، ص 327- 328.

الإثبات، فإذا ترجم واحدا منهم يطنب في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن، ويبالغ في وصفه، ويتغافل عن غلطاته، ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحدا من الطرف الآخر كإمام الحرمين، والغزالي ونحوهما، لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول من طعن فيه، ويعيد ذلك ويبديه، ويعتقده دينا وهو لا يشعر، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها، وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها، وكذلك فعله في أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول في ترجمته: " والله يصلحه " ونحو ذلك، وسببه المخالفة في العقائد."

والحال في حق شيخنا الذهبي أزيَد مما وصف، وهو شيخنا ومعلمنا، غير أن الحق أحق أن يتبع، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه. وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية، فإن غالبهم أشاعرة، وهو إذا وقع بأشعري لا يبقي ولا يذر، والذي أعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من لعل أدناهم عنده أوجه منه، فالله المسئول أن يخفف عنه، وأن يلهمهم العفو عنه، وأن يشفعهم فيه، والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله. ولم يكن يستجرئ أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه.

...ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب، وأقطع بأنه لا يختلقها، وأقطع بأنه يحب وضعها في كتبه لتنتشر، وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بغضا للمتحدث فيه، وتنفيرا للناس عنه، مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ، ومع اعتقاده أن هذا مما يوجب نصر العقيدة التي يعتقدها هو حقا، ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعة. غير أني لما أكثرت بعد موته النظر في كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه، توقفت في تحريه فيما يقوله، ولا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه، فلينظر كلامه من شاء ثم يبصر هل الرجل متحر عند غضبه أو غير متحر، وأعني بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من

الحنفية والمالكية والشافعية، فإني أعتقد أن الرجل كان إذا مد القلم لترجمة أحدهم غضب غضبا مفرطا، ثم قرطم الكلام ومزقه، وفعل من التعصب مالا يخفى على ذي بصيرة، ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها. ودائما أتعجب من ذكره الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الميزان في الضعفاء، وكذلك السيف الآمدي. وأقول: ياالله العجب، هذان لا رواية لهما ولا جرحهما أحد، ولا سُمِع من أحد أنه ضعفهما فيما ينقلانه من علومهما، فأي مدخل لهما في هذا الكتاب؟ ثم إنا لم نسمع أحدا يسمي الإمام فخر الدين بالفخر، بل إما الإمام، وإما ابن الخطيب، وإذا تُرجم كان في المحمدين، فجعله في حرف الفاء وسماه الفخر، ثم حلف في آخر الكتاب أنه لم يتعمد فيه هوى نفسه، فأي هوى نفس أعظم من هذا؟ فإما أن يكون ورى في يمينه أو استثنى غير الرواة، فيقال له: فلم ذكرت غيرهم؟ وإما أن يكون اعتقد أن هذا ليس هوى نفس، وإذا وصل إلى هذا الحد والعياذ بالله، فهو مطبوع على قلبه ".[59]

ولكلام السبكي، زيادة على ما ذكر من أمثلة، ما يعززه ويعضضه في كتب الذهبي، وخير دليل على ذلك ما أوردناه بخصوص ترجمة الإمام الغزالي.

هذا بعض ما يمكن استنتاجه من نقد الطرطوشي للغزالي ومن موقف المؤرخَيْنِ (الذهبي، والسبكي) تجاه ما قيل عن العزالي. وأما بخصوص الفلسفة والتصوف وغيرهما فكلام السبكي أغنانا عن الخوض فيهما.

المازري وإحياء علوم الدين:

[59] السبكي، طبقات الشافعيّة الكبرى، ج 2، ص 12- 14.

المالكي الثاني الذي تصدى لنقد الإمام الغزالي وخاصة كتابه الإحياء، هو المازري[60] إذ يقول في كتاب الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء[61] " الحمد لله الذي أنار الحق وأداله، وأبار الباطل وأزاله ...[62].

ثم ينقل لنا الذهبي من هذا الكتاب بعض الفقرات التي توحي بمضمونه: " [...ولقد أعجب من قوم مالكية يرون مالكا الإمام يهرب من التحديد، ويجانب أن يرسم رسما، وإن كان فيه أثر ما، أو قياس ما، تورعا وتحفظا من الفتوى فيما يحمل الناس عليه، ثم يستحسنون من رجل فتاوى مبناها على ما لا حقيقة له، وفيه كثير من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم لفق فيه الثابت بغير الثابت. وكذا ما أورد عن السلف لا يمكن ثبوته كله، وأورد من نزغات الأولياء، ونفثات الأصفياء ما يجل موقعه، لكن مزج فيه النافع بالضار، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها، وإن أخذت معانيها على ظواهرها كانت كالرموز إلى قدح الملحدين، ولا تنصرف معانيها إلى الحق إلا بتعسف على اللفظ، مما لا يتكلف العلماء مثله إلا في كلام صاحب الشرع الذي اضطرت المعجزات الدالة على صدقه، المانعة من جهله وكذبه، إلى طلب التأويل كقوله: " إن القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن." وكقوله: " إن السماوات على إصبع..." وكقوله: " لأحرقت سبحات وجهه..." وكقوله: " يضحك الله..." إلى غير ذلك من الأحاديث الوارد ظاهرها بما أحاله العقل...

---

[60]سبقت ترجمته.

[61] هذا الكتاب الذي خصّصه المازري لنقد الإحياء لا ندري ماذا كان مصيره. والظاهر أنّ الذهبي قد اطلع عليه، فهو الذي يقول في السير: " وقد رأيت كتاب " الكشف والإنباء عن كتب الإحياء " ج 19، 330.

[62] السير، ج 19، ص 330.

...فإذا كانت العصمة غير مقطوع بها في حق الولي، فلا وجه لإضافة ما لا يجوز إطلاقه إليه، إلا أن يثبت، وتدعو ضرورة إلى نقله فيتأول...

...ألا ترى لو أن مصنفا أخذ يحكي عن بعض الحشوية مذهبه في قدم الصوت والحرف، وقِدَم الورق، لما حسن به أن يقول: قال بعض المحققين: " إن القارئ إذا قرأ كتاب الله، عاد القارئ في نفسه قديما بعد أن كان محدثا." أو قال بعض الحذاق: " إن الله محل للحوادث." إذا أخذ في حكاية مذهب الكرامية "[63].

وهذا الكتاب هو غير الرسالة التي تناقلتها المصادر في المشرق والمغرب، وإنما هي جواب أو فتوى على أسئلة وُجهت للإمام المازري بخصوص إحياء علوم الدين، وهي رِسالة، كما يقول ابن الصلاح: " يذكر فيها حال الغزالي وحال كتابه " الإحياء "، أصدرها في حياة الغزالي جوابا لما كوتب به من المغرب والمشرق في سؤاله عن ذلك، عند اختلافهم في ذلك، فذكر فيها ما اختصاره أن الغزالي كان قد خاض في علوم وصنف فيها، واشتهر بالإمامة في إقليمه، وبرع حتى تضاءل له المنازعون، واستبحر في الفقه..."[64] وقد قدم لها الذهبي في السير بقوله: " وللإمام محمد بن علي المازري الصقلي كلام في الإحياء يدل على إمامته "[65].

ومما جاء فيها:

وبعد، فقد تكررتْ مكاتبتُكُم في استعلام مذهبنا في الكتاب المترجم " بإحياء علوم الدين "، وذكرتم أن آراء الناس فيه قد اختلفت، فطائفة انتصرت وتعصبت

---

[63] الذهبي، سير، ج 19، ص 330- 332.

[64] ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعيّة، ص 255.

[65] الذهبي، سير، ج 19، ص 340.

لإشهاره، وطائفة منه حذرت، وعنه نفرت[66]، [وطائفة لعَنَتِهِ أظهرت][67]، وكتبه حرقت[68]، [ولم تنفردوا أهل المغرب باستعلام ما عندي، بل][69] كاتبني أهل المشرق بمثل ذلك[70]، [فوجب عندي إبانة الحق][71]، ولم يتقدم لي قراءة هذا الكتاب سوى نُبَذٍ منه، فإن نَفس الله في العُمر، مَدَدْتُ في هذا الكتاب الأنفاس[72]، وأزلت عن القلوب الالتباس، واعلموا أن هذا [الرجل، وإن لم أكن قرأت كتابه،][73]، [فقد] [74]رَأَيْت تلامذته وأصحابه[75]، فكلٌ منهم يحكي[76] لي نوعا من حاله [وطريقته، استلوح منها[77] من مذاهبه وسيرته،][78] ما قام لي مقام

---

[66] في السير، وطائفة حذّرت منه ونفرت، ج 19، ص 340.

[67] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 340. وقرأها تدمري محقّق طبعة دار الكتاب العربي لتاريخ الإسلام للذهبي، " لعيبه "، ج 35، ص 120.

[68] في السير، لكتبه " أحرقت "، ج 19، ص 340.

[69] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 340.

[70] في السير " يسألوني "، ج 19، ص 340.

[71] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 340.

[72] في نسخة تدمري " للأنفاس "، تاريخ الإسلام، ج 35، ص 120.

[73] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341.

[74] زيادة من طبقات السبكي، ج 6، ص 240.

[75] لم ترد كلمة " أصحابه " في طبعة السير، ووردت عند السبكي، ج 6، ص 240.

[76] في السير " حكى "، ج 19، ص 341، وعند السبكي " يحكي"، ج 6، ص240 .

[77] عند السبكي في الطبقات " فأتلوّح بها "، ج 6، ص240 .

[78] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341.

العيان، فأنا أقتصر [في هذا الإملاء][79] على ذكر حال الرجل، وحال كتابه، وذِكر جُمل مِن مذاهب الموحدين، والفلاسفة، والمتصوفة[80] وأصحاب الإشارات، فإن كتابه متردد بين هذه الطرائق [الثلاث[81] لا يعدوها، ثم أُتبع ذلك بذِكر حِيَل أهل مذهب علَى أهل مذهب آخر، ثم أبين عن طرق الغرور، وأكشف عما دفن[82] من خيال[83] الباطل، ليُحذَر مِن الوقوع في حبال مصائده][84].

...هُوَ (يقصد بذلك الغزالي) بالفقه أعرف منه بأصوله، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين، فإنه صنف فيه أيضا، وليس بالمستبحر[85] فيها، ولقد فطنت لسبب عدم[86] استبحاره فيها، وذلك أنه قرأ علوم[87] الفلسفة قبل استبحاره في

---

[79] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341، ولم يورده السبكي.

[80] وردت كلمة " الفلاسفة " في السير بعد " المتصوّفة "، ج 19، ص 341.

[81] لم ترد كلمة " ثلاث " عند السبكي.

[82] في طبعة بشّار عوّاد وردت " فيه " بدل " دفن "، تاريخ الإسلام، ج 11، ص 66.

[83] عند السبكي " من حبال "، ج 6، ص 240.

[84] لم يورد الذهبي ما بين المعقوفتين في السير، وإنّما سارع، بعد إعلام القارئ بذلك، إلى نقل ثناء المازري على الإمام الغزالي. السير، ج 19، ص341.

[85] عند السبكي في طبقات الشافعيّة، وفي السير "بالمتبحر "، ج 19، ص 341.

[86]في السير " لعدم استبحاره " وليس " لسبب عدم استبحاره "، ج 19، ص 341.

[87] عند السبكي " علم ".، ج 6، ص 241.

فن الأصول[88]، فكسبته[89] قراءة الفلسفة جُرأة على المعاني، وتسهلا[90] للهجوم على الحقائق، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها، وليس لها حكم شرع يزعها[91]، [ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها.][92]

وعرفني[93] بعض أصحابه[94] أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا، وهي إحدى وخمسون رسالة، ومصنفها فيلسوف[95] قد خاض في علم الشرع والنقل[96]، [وفي الحكمة][97] فمزج ما بين العِلمين، [وذكر الفلسفة، وحسنها في قلوب أهل الشرع بآيات يتلوها عندها، وأحاديث يذكرها][98]. ثم كَانَ [في هذا

[88] عند السبكي " في فن أصول الدين " ج 6، ص 241.

[89]في السير، " أكسبته الفلسفة " ج 19، ص 341. وفي طبعة تدمري " فأكسبته قراءة الفلسفة "، تاريخ الإسلام، ج 35، ص 66.

[90] السبكي " وتسهيلا "، ج 6، ص 241.

[91]السبكي، " ترعاه "، ج 6، ص 241؛ وفي السير " ولا يزعها شرع "، ج 19، ص 341.

[92] سقط ما بين المعقوفتين من السير.

[93] من هنا يبدأ سرد ابن الصلاح لكلام المازري في طبقاته بعد أن أورد ملخصا لهذا الكلام قدّم به لنقله. انظر طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 1، ص 259- 256.

[94] في السير "صاحب له "، ج 19، ص 341.

[95] في السير " ألفها من قد ..."، ج 19، ص 341.

[96] اختار محقّقا طبقات الشافعيّة " العقل "، ج 6، ص 241.

[97] زيادة من السير، ج 19، ص 341.

[98] ما بين المعقوفتين ليس له ذكر في السير.

الزمان المتأخر][99] رجل مِن الفلاسفة[100] يُعرف بابن سينا[101]، ملأ الدنيا تواليف[102] [في علوم الفلسفة، وهو فيها إمامٌ كبير، وقد][103] أداه[104] قوته في الفلسفة إلى أن حاول رد أُصول العقائد إلى علم الفلسفة، وتلطف جهده حتى تم لَهُ ما لم يتم لغيره، وقد رأيت جملا من دواوينه، ووجدت هذا الغزالي[105] يعول عليه في أكثر ما يشير إليه مِن علوم الفلسفة.

...وأما مذاهب الصوفية، فلست أدري[106] على من عول فيها، لكني رأيت فيما علق عنه[107] بعض أصحابه، أنه ذكر كُتُب ابن سينا وما فيها، وذكر بعد ذلك

---

[99] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341.

[100] سقطت " من الفلاسفة " من السير، ج 19، ص 341.

[101] أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن سينا البخاري والملقّب بالشيخ الرئيس، اشتهر بالطبّ، والفلسفة، والفلك وغيرها، (370- 427هـ/ 980- 1037م). القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 303- 312.

[102] في السير " تصانيف "، ج 19، ص 341.

[103] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341.

[104] في السير " أدّته "، ج 19، ص 341.

[105] في السير " أبا حامد "، ج 19، ص341.

[106] في السير " فلا أدري "، ج 19، ص 341.

[107] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341.

كتب أَبي حيان التوحيدي[108]، وعندي أنه عليه عول في مذاهب الصوفية[109]، وقد أُعلِمت[110] أن أبا حيان ألف ديوانا عظيما في هذا الفن، [ولم يُنقل إلينا شيء منه].[111]

... عادة المتورعين أن لَا يقولوا: قال مالك، قال الشافعي، فيما لم يثبُت عندهم، [وفي كتابه مذاهب وآراء في العمليات هي خارجة عن مذاهب الأئمة، واستحسانات عليها طلاوة، لا تستأهل أن يُفتى بها، وإذا تأملت الكتابَ وجدت فيه من الأحاديث والفتوى ما قلته،][112] فيستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له، مثل قص الأظفار أن تبدأ بالسبابة، لأن لها الفضل على بقية الأصابع، لأنها المسبحة، ثم تقص ما يليها مِن الوسطى، لأنها ناحية اليمين، وتختم بإبهام اليمنى [ثم باليسرى على هيئة دائرة، وكأن الأصابع عنده دائرة، فإذا أدار أصابعه مر عليها مرور الدائرة حتى يختم بإبهام اليمنى. هكذا حدثني بعض من أثق به

---

[108] أبو حيان عليّ بن محمّد بن العبّاس التوحيدي البغدادي (310 - 414هـ / 922 - 1023م) قال عنه ياقوت: " شيخ في الصوفيّة، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقّق الكلام، ومتكلّم المحقّقين، وإمام البلغاء. "ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 5، ص 1923- 1946. السبكي، طبقات، ج 5، ص 286- 289.

[109] في السير " مذهب التصوّف "، ج 19، ص 341.

[110] في السير " وأخبرت "، ج 19، ص 341.

[111] سقط ما بين المعقوفتين من السير، ج 19، ص 341. وذكر السبكي هذه الفقرة ملخّصة، ج 6، ص 241. واعلم أنّ الديوان العظيم المنسوب لأبي حيان التوحيدي هو على ما نعتقد كتاب " الإشارات الإلهية "، نشر بالقاهرة سنة 1370هـ/ 1950م بتحقيق عبد الرحمن بدوي بمطبعة جامعة فؤاد الأوّل. ثمّ بتحقيق وَداد القاضي، بيروت، دار الثقافة، 1393هـ/ 1973م.

[112] ما بين المعقوفتين مستدرك من الذهبي، تاريخ الإسلام، تدمري، ج 35، ص 121. إذ لم يذكره الذهبي في السير، بينما توقّف ابن الصلاح بعد:" ولم يُنقل إلينا شيء منه. " ليستأنف الكلام بـ: "فيستحسن".

عن الكتاب، فانظر إلى هذا الخباط كيف أفاده قراءة الهندسة وعلم الدوائر وأحكامها أن ينقله إلى الشرع، فأفتى به المسلمين][113]. وذكر[114] في ذلك أثرا.

... [وحمل إلي بعض الأصحاب حين هذا الإملاء الجزء الأول فوجدته يذكر فيه أن][115] من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن البارئ قديم، مات مسلما إجماعا، ومن تساهل في حكاية الإجماع في مثل هذا الذي الأقرب أن يكون فيه الإجماع بعكس ما قال[116]، فحقيق ألا يوثق بما نقل[117]. وقد رأيت له في الجزء الأول أنه ذكر أن في علومه هذه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب، فليت شعري، أحق هو أو باطل؟ فإن كان باطلا فصدق، وإن كان حقا، وهو مراده بلا شك، فلم لا يودع في الكتب، أَلِغُموضِهِ ودقته؟ فإن كان هو فهمه، فما المانع من أن يفهمه غيره؟"

ونضيف نصا بعد هذا يظهر منه أنه خاتمة الفتوى، لم نجده إلا عند ابن الصلاح، وقد قدم له بهذه الكلمات: " ثم تكلم الْمَازرِي فِي محَاسِن " الْإِحْيَاء " ومذامه، ومنافعه ومضاره، بِكَلَام طَوِيل ختمه بِأَن[118]:

---

[113] ما بين المعقوفتين من طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 1، ص 258.

[114] في السير " وروى "، ج 19، ص 342.

[115] زيادة من طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 1، ص 259.

[116] في السير " الإجماع في خلافه "، ج 19، ص 342.

[117] في السير " روى "، ج 19، ص 342. وفي طبقات الفقهاء الشافعيّة " بعكس ما قال "، ج 1، ص 259.

[118] طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 1، ص 259.

" من لم يكن عنده من البسطة في العلم ما يعتصم به من غوائل هذا الكتاب[119] فإن قراءته لا تجوز له، وإن كان فيه ما ينتفع به، ومن كان عنده من العلم ما يأمن به على نفسه من غوائل هذا الكتاب، ويعلم ما فيه من الرموز، فيجتنب مقتضى ظواهرها، ويكل أمر مؤلفها إلى الله تعالى، إن كانت كلها تقبل التأويل فقراءته لها سائغة، وينتفع به، اللهم إلَا أن يكون قارئه ممن يقتدى به ويغتر به فإنه يُنهى عن قراءته وعن مدحه والثناء عليه....

... ولولا أنا علمنا أن إملاءنا هذا إنما يقرأه الخاصة، ومن عنده علم يأمن به على نفسه، لم نتبع محاسن هذا الكتاب بالثناء، ولم نتعرض لذكرها، ولكنا نحن أمنا من التغرير، ولئلا يظن أيضا من يتعصب للرجل أنا جانبنا الإِنصاف في الكلام على كتابه، ويكون اعتقاده هذا فينا سببا لئلا يقبل نصيحتنا، والله أعلم[120] ."

سكتت المصادر التي رجعنا إليها لجمع ما تفرق في الكتب من هذه الرسالة عن المحاسن التي يشير إليها المازري في خاتمة الكتاب وكأنما كان الغرض ممن استشهد بما قاله الفقيه المالكي هو ذكر المآخذ التي أخذها على الغزالي والمثالب التي ألصقها بالإحياء لإبرازها ونشرها بين الناس. لكن الإمام السبكي وكما رد على الأستاذ الطرطوشي، تتبع أيضا بالنقد والتفنيد مزاعم الإمام المازري على حجة الإسلام الغزالي نقطة نقطة، وهذا ملخص لمختلف هذه النقاط[121]:

1- قوله " وذكر جملا من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة وأصحاب الإشارات. " فأقول إنْ عنى بالموحدين الذين يوحدون الله،

---

[119] يقصد به إحياء علوم الدين.

[120] ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 1، ص 259.

[121] انظر الردّ بأكمله في طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 6، ص 243- 252.

فالمسلمون أول داخل فيهم، ثم عَطْفُ الصوفية عليهم يوهم أنهم ليسوا مسلمين وحاشا لله؛ وإنْ عنى به أهل التوكل على الله، فهم مِن خير فرق الصوفية الذين هم من خير المسلمين، فما وجه عطف الصوفية عليهم بعد ذلك؟ وإن أراد أهل الوحدة المطلقة المنسوب كثير منهم إلى الإلحاد والحلول فمعاذ الله، ليس الرجل في هذا الصوب، وهو مصرِح بتكفير هذه الفئة، وليس في كتابه شيء من معتقداتهم.

2- وأما قوله " الغزالي ليس بالمتبحر في علم الكلام " فأنا أوافقه على ذلك، لكني أقول إن قدمه فيه راسخ، ولكن لا بالنسبة إلى قدمه في بقية علومه، هذا ظني. "

3- قوله " إنه اشتغل في الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول. " فليس الأمر كذلك، بل لم ينظر في الفلسفة إلا بعدما استبحر في فن الأصول. وقد أشار هو، أعني الغزالي، إلى ذلك في كتابه المنقذ من الضلال[122]، وصرح بأنه توغل في علم الكلام قبل الفلسفة.

4- ثم قول المازري " قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في علم الأصول " بعد قوله " إنه لم يكن بالمستبحر في الأصول كلام " يناقض أولُه آخرَه.

5- ودعواه أنه تجرأ على المعاني، فليست له جرأة إلا حيث دله الشرع، ويدعي خلاف ذلك من لا يعرف الإمام الغزالي ولا يدري مع من يتحدث.

6- ومن الجهل بحاله دعوى أنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدي، والأمر بخلاف ذلك. ولم يكن عمدته في الإحياء، بعد معارفه وعلومه وتحقيقاته التي جمع بها شمل الكتاب، ونظم بها محاسنه، إلا على كتاب " قوت القلوب " لأبي طالب المكي، وكتاب " الرسالة " للأستاذ أبي القاسم القشيري المجمع على جلالتهما وجلالة مصنفيهما.

---

[122] المنقذ من الضلال، ص 94- 95.

7- وأما ابن سينا فالغزالي يكفره، فكيف يقال إنه يقتدي به، ولقد صرح في كتاب المنقذ من الضلال أنه لا شيخ له في الفلسفة[123]. وقوله " لا أدري على من عول في التصوف. " فلقد عول على كتاب " القوت " و " الرسالة "مع ما ضم إليهما من كلام مشايخه، أي علي العلائي[124] وأمثاله، ومع ما زاده من قِبَل نفسه بفكره ونظره، وما فُتِح به عليه، وهو عندي أغلب ما في الكتاب، وليس في الكتاب للفلاسفة مدخل، ولم يصنفه إلا بعد ما ازدرى علومهم، ونهى عن النظر في كتبهم، وقد أشار إلى ذلك في غير موضع من الإحياء.

8- وأما ما عاب به الإحياء من توهنة بعض الأحاديث، فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة، وعامة ما في الإحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء، ولم يسند الرجل لحديث واحد، وقد اعتنى بتخريج أحاديث الإحياء بعض أصحابنا[125] فلم يشذ عنه إلا اليسير.

---

[123] المنقذ من الضلال، ص 95.

[124] أشار محققا كتاب طبقات السبكي إلى اختلاف في ضبط اسم هذا العَلَم في النسخ التي اعتمدا عليها، ولم يعيرا الأمر أي اهتمام بالرغم من أنّ السبكي يذكر هنا شيخا من شيوخ الغزالي في التصوّف. ونحن نرجّح أن هذا وهم من السبكي أو زلّة قلم منه أو من بعض النسّاخ، لأن شيخ الغزالي في التصوّف كما صرّح به حجّة الإسلام نفسه هو الفارمذي، أبو علي الفضل بن علي بن الفضل بن محمد بن علي الفارمذي الطوسي (407هـ - 477هـ/1016م- 1084م) والذي سيذكره ابن الجوزي في معرض حديثه عن الغزالي ونقده لكتاب الإحياء.

[125] يعني بذلك الحافظ العراقي، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم الشافعي شيخ الحديث، (725- 806هـ/1325- 1403م) انظر التقي بن فهد، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ، نشر مع ذيول طبقات الحفّاظ تحت عنوان ذيل تذكرة الحفّاظ لأبي المحاسن الحسيني، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ لمحمّد بن فهد المكّي، ذيل طبقات الحفّاظ للسيوطي، دمشق، مكتبة القدسي/ مطبعة التوفيق، 1347هـ/ 1928م، ص 220- 239. السيوطي، ذيل طبقات الحفّاظ، المصدر السابق، ص 370- 372. وللحافظ العراقي ثلاثة مؤلفات خصّصها

9- وأما ما ذكروه في قص الأظفار فالأمر المشار إليه يروى عن علي كرم الله وجهه، غير أنه لم يثبت، وليس في ذلك كبير أمر ولا مخالفة شرع، وقد سمعت جماعة من الفقراء يذكرون أنهم جربوه فوجدوه لا يخطئ، من داومه أَمِنَ مِن وجع العين.

10- وأما قول المازري " عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك " إلى آخره، فليس ما قال الإمام الغزالي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الجزم، وإنما يقول عزو بتقدير الجزم، فلو لم يغلب على ظنه لم يقله، وغايته أنه ليس الأمر على ما ظن.

11- وأما مسألة من مات ولم يعلم قِدَمَ الباري ففرق بين عدم اعتقاد بالقِدَم واعتقاد أن لا قِدَم، والثاني هو الذي أجمعوا على تكفير من اعتقده، فمن استحضر بذهنه صفة القِدم، ونفاها عن الباري، وأوجبها منفية، أو شك في انتفائها كان كافرا. وأما الساذج في مسألة القدم، الخالي الخِلو، المؤمن بالله

لتخريج أحاديث الإحياء. قال التقي بن فهد: " له (أي العراقي) المؤلفات المفيدة المشهورة في علم الحديث، والتخاريج الحسنة، من ذلك " إخبار الأحياء بأخبار الإحياء " في أربع مجلّدات، فرغ من تسويده في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، قرأ عليه شيئًا منه الحافظ عماد الدين بن كثير، وقد بيّض منه نحوًا من خمسة وأربعين كرّاسًا وصل فيها إلى أواخر الحجّ، قرأ عليَّ ذلك ابنه شيخنا الحافظ أبو زرعة أحمد، وينتهي إلى قوله: الحديث الثامن والعشرون... ثم اختصره في مجلد ضخم سمّاه " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأخبار "، فاشتهر، وكتب منه نسخ عديدة، وسارت به الركبان إلى الأندلس وغيرها من البلدان، فبسبب ذلك تباطأ الشيخ عن إكمال تبييض الأصل. وشرع قبل ذلك في مصنّف متوسّط بين المطوَّل والمختصر، فذكر فيه أشهر أحاديث الباب سمّاه " الكشف المبين عن تخريج إحياء علوم الدين "، كتب منه شيئًا يسيرًا وحدث ببعضه، قرأه عليه شيخنا نور الدين الهيثمي ". لحظ الألحاظ، ص229 - 230. وقد طبع " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار " عدة مرّات بهامش إحياء علوم الدين.

على الجملة، فهو الذي ادعى الإمام الغزالي الإجماع على أنه مؤمن على الجملة، ناج من حيث مطلق الإيمان الجملي.

12- من البلية العظمى والمصيبة الكبرى أن يقال عن مثل الإمام الغزالي إنه غير موثوق بنقله، فما أدري ما أقول، ولا بأن يلقى الله يعتقد ذلك في هذا الإمام.

13- وأما تقسيم المازري في العلم الذي أشار حجة الإسلام أنه لا يودع في كتاب، فوددت لو لم يذكره، فإنه شُبهَ عليه، وهذا المازري كان رجلا فاضلا، ركنا، ذكيا، وما كنت أحسبه يقع في مثل هذا، أو خفي عليه أن للعلوم دقائق نهى العلماء عن الإفصاح بها خشية على ضعفاء الخلق، وأمور أخر لا تحيط بها العبارات، ولا يعرفها إلا أهل الذوق، وأمور أخر لم يأذن الله في إظهارها لحكم تكثر عن الإحصاء. وماذا يقول المازري فيما خرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي الطفيل سمعت عليا رضي الله عنه يقول: " حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَب الله ورسوله. "[126] وكم مسألة نص العلماء عن عدم الإفصاح بها خشية على إِفْضاح من لا يفهمها. وهذا إمامنا الشافعي رضي الله عنه يقول: " إن الأجير المشترك لا يضمن." قال الربيع: " وكان لا يبوح به خوفا من أجير السوء ". قال الربيع أيضا: " وكان الشافعي رضي الله عنه يذهب إلى أن القاضي يقضي بعلمه، وكان لا يبوح به مخافة قضاة السوء ". فقد لاح لك بهذا أنه ربما وقع السكوت عن بعض العلم خشية من الوقوع في محذور، ومثل ذلك يكثر[127].

---

[126] جاء في صحيح البخاري عن عليّ رضي الله عنه في باب " من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا" من كتاب العلم حديث: 127 بهذه الرواية: " حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله ". وروى البيهقي حديثا في هذا المعنى عن رسول الله في شعب الإيمان، ج 3، ص 225، حديث: 1631.

[127] سيرى القارئ أن صاحب الإملاء سيجيب على هذا ببراهين متعدّدة، وسيدلّل على ذلك بأحاديث تعزّز ما ذهب إليه السبكي، وقد ذكرها مؤلّف الطبقات أيضا.

هذه بعض الجوانب التي استوقفت الإمام السبكي ودفعته للرد على انتقادات المازري للغزالي وإبطالها، مراعيا في ذلك القواعد التي اشترطها على نفسه عند قوله: " ولا تحسب أننا نفعل ذلك إزراء بالمازري وحطا من قدره، لا والله، بل بينا بطريق الوهم عليه، وهو في الحقيقة معذور، فإن المرء إذا ظن بشخص سوءا قلما أمعن بعد ذلك في النظر إلى كلامه، بل يصير بأدنى لمحة أدلت يحمل أمره على السوء، ويكون مخطئا في ذلك، إلا من وفق الله تعالى ممن برء عن الأغراض، ولم يظن إلا الخير، وتوقف عند سماع كل كلمة، وذلك مقام لم يصل إليه إلا الآحاد من الخلق، وليس المازري بالنسبة إلى هذين الإمامين (يقصد إمام الحرمين الجويني، وحجة الإسلام الغزالي) من هذا القبيل "[128].

والظاهر أن السبكي أخذ على عاتقه دفع كلام المازري، فآثر الكليات ولم يعر الجزئيات منها أي اهتمام. فلم يتوقف مثلا عند قول المازري الذي يصرح فيه أنه لم يقرأ كتاب الإحياء: " ولم نتقدم إلى قراءة هذا الكتاب (يعني إحياء علوم الدين) سوى نبذٍ منه، فإن نفس الله في العمر، مددت في هذا الكتاب للأنفاس ...واعلموا أن هذا الرجل وإن لم أكن قرأت كتابه ..." فما هي النبذ التي وقف عليها المازري من كتاب الإحياء؟ يجيبنا المازري في نفس الكتاب بقوله: " ورأيت له في الجزء الأول يقول (يعني الغزالي): " إن في علومه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب." ولنا أن نتساءل: لو قرأ المازري كتاب الإحياء، فهل كان سيغير وجهة نظره؟ لا نعتقد ذلك لأنه حمل نفسه على الرد على شيء لم يطلع عليه، وبنى رأيه على قيل وقالوا، وشوش على القارئ بإضافة أمور إلى الإمام الغزالي هو بريء منها كما ذكر السبكي وغيره، والإحياء شاهد على ذلك، كادعائه مثلا أن مصدر حجة الإسلام في التصوف كتاب لأبي حيان التوحيدي، وأغلب الظن أنه يقصد بذلك كتاب " الإشارات الإلـهية "، ودلت عبارة "

---

[128] انظر ردّ السبكي بتفصيل في طبقاته، ج 6، ص 247- 251.

وأخبرت أن أبا حيان التوحيدي ألف ديوانا عظيما في هذا الفن ". ثم إن المازري لم يطلع على كتب التوحيدي ولا كانت له بها دراية، وإنما اعتمد في ذلك، كما شهد على نفسه، على قول بعض أصحاب الإمام الغزالي " لكني رأيت فيما علق بعض أصحابه أنه ذكر كتب ابن سينا وما فيها، وذكر بعد ذلك كتب أبي حيان التوحيدي. " وهذا أمر تشهد به طائفة كبيرة من الأحكام أصدرها بعض العلماء على بعض المشاهير من الجهابذة المسلمين معتمدين في ذلك على الشائعات، وعلى أراء روج لها البعض للحط من قدر هؤلاء الأعلام كالغزالي، وأبي حيان التوحيدي، والمعري وغيرهم[129].

الغرب الإسلامي وقضية إحياء علوم الدين:

الطرطوشي والمازري عالمان معاصران للغزالي تصديا له كما بينا بالنقد والتجريح، وحملا عليه حملة قاسية مهدت الطريق لكل من سولت له نفسه بالأمس واليوم النيل من هذا الإمام، ومن اللافت للنظر أنهما يشيران أثناء نقدهما لحجة الإسلام إلى قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين في بلاد الغرب الإسلامي، وهي قضية كثر الكلام حولها قديما وحديثا، وقد رويت بشأنها الأخبار المتضاربة، إلا أن هناك عناصر ثوابت يمكن من خلالها ضبط بعض العناصر التي اتفق عليها المؤرخون منها:

---

[129] أنظر على سبيل المثال محمود محمّد شاكر في كتابيه، أباطيل وأسمار، طبع الجزء الأول منه بالقاهرة، مكتبة دار العروبة 1385هـ / 1965م؛ وطبع الجزءان الأول والثاني بالقاهرة أيضا بمطبعة المدني، 1392هـ/ 1972م القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1426هـ/ 2005م، وكتاب المتنبي، نشر أوّلا في عدد خاص من مجلة "المقتطف" سنة 1355هـ/ 1936م، ثمّ طبع ثانية في مجلدين القاهرة 1398هـ/ 1977م، ط. ثالثة، مطبعة المدني، القاهرة /دار المدني بجدة، 1407هـ/ 1987م

1. أن عملية الحرق تمت على الأرجح سنة ثلاث وخمسمائة للهجرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ارتباط الردين، رد الإسكندرية ممثلا بالطرطوشي، ورد مهدية ممثلا بالمازري، بهذه الحادثة. وما رسالتاهما إلا ردود على الأسئلة التي وردت من المغرب الإسلامي من بعد أن تمت عملية الإحراق. ورغم أن المازري يعظم الأمر، ويذكر أسئلة وردت عليه من المشرق فربما يقصد بذلك فقط شرق إفريقية القريب.

2. أن أمر الإحراق تم في عهد علي بن يوسف بن تاشفين.[130]

3. أن القاضي ابن حمدين[131] (439 -508هـ/1047-1114م) هو الذي أفتى بذلك وتبعه جماعة من العلماء. وتكمن أهمية كتاب سير أعلام النبلاء في

---

[130] ابن القطّان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود عليّ مكّي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/ 1990م، ص 70- 71. ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1404هـ/ 1983م، ج 4، ص 59. مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشيّة، تحقيق سهيل زكّار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1399هـ/ 1979م، ص 104.

[131] العلامة قاضي الجماعة أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي. وليّ القضاء ليوسف بن تاشفين. روى عنه القاضي عياض وعظّمه، وقال: توفي سنة ثمان وخمسمائة ولي قضاء قرطبة، وله إجازة من أبي عمر بن عبد البرّ، وأبي العبّاس بن دلهاث، وتفقّه بأبيه، وبمحمّد بن عتّاب، وحاتم بن محمّد، وكان ذكيا، بارعا في العلم، متفنّنا أصوليّا، لغويا شاعرا حميد الأحكام. مات في المحرم لثلاث بقين منه عن تسع وستين سنة. وكان يحطّ على الإمام أبي حامد في طريقة التصوف، وألّف في الردّ عليه. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهاءهم وأدباءهم، تحقيق بشّار عوّاد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1432هـ/ 2010م، ج 2، ص 204، ترجمة: 1254. الذهبي، سير، ج 19، ص 422.

جمعه لبعض من هذه الردود التي صدرت ضد إحياء علوم الدين، ومنها على وجه الخصوص كلام هذا القاضي الذي أفتى بحرق كتب الإمام الغزالي[132].

4. أن قرطبة كانت هي المركز الذي منه صدرت هذه الفتوى، ومن هذه المدينة بدأت حملة التحريق.
5. أنه لم يكن هناك إجماع على أمر الإحراق، ويدل على هذا الرسائل الواردة من تلك البلاد مستفتية في أمر الإحياء، وإجبار بعض من كان معروفا من العلماء بعكوفه على قراءة وإقراء الإحياء على إحضار نسخهم ودفعها للسلطات حتى يتم إفناؤها[133].

مر على تأليف إحياء علوم الدين ما يزيد على عشرة أعوام[134]، ومع أننا لا ندري على وجه الصحة ما هي السنة التي دخل فيها الإحياء أرض الأندلس، إلا أننا

---

[132] الذهبي، السير، ج 19، ص 332.

[133] ابن القطّان، نظم الجمان، ص 72. المنوني، حضارة الموحدين، ص 192 وما بعدها.

[134] قال ابن العربي في العواصم من القواصم: " ولقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالي حين لقائي به في مدينة السلام في جمادى الآخرة سنة تسعين وأربع مائة، وقد كان راضَ نفسه بالطريقة الصوفيّة من سنة ستّ وثمانين إلى ذلك الوقت نحوا من خمسة أعوام، وتجرّد لها، واصطحب مع العزلة ونبذ كلّ فرقة فتفرّغ لي لسبب بيّناه في كتاب " ترتيب الرحلة " فقرأت عليه جملة من كتبه، وسمعت منه كتابه الذي سمّاه " بالإحياء لعلوم الدين " فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته...." حقّقه ونشره عمّار الطالبي في مجلدين بالجزائر سنة 1394هـ/ 1974م، فجاء المجلّد الأوّل كدراسة لآراء ابن العربي الكلاميّة، وهو العنوان الذي نشر تحته المجلدان في الجزائر. وأمّا الجزء الثاني من كتابه آراء أبي بكر بن العربي الكلاميّة والذي يحتوي على النصّ الكامل لكتاب العواصم من القواصم، فقد أعادت نشره مكتبة دار التراث في القاهرة، انظر بخصوص هذا الاقتباس طبعة القاهرة، ص 24. وانظر أيضا ما قاله عبد الغافر بخصوص سنة تأليف إحياء علوم الدين، عند السبكي، طبقات الشافعيّة الكبرى، ج 6، ص 206. وقد ذكر الذهبي العواصم من القواصم باسم العواصم والقواصم، السير، ج 18، ص 188.

نرجح أن من بين الأوائل الذين حملوه حتى بلاد الأندلس، الإمام أبو بكر بن العربي[135] (468 -543هـ/1076- 1148م) والذي يذكر ابن خلكان أنه رجع إلى اشبيلية سنة 493هـ/1100م[136]. فلماذا انتظر المغاربة كل هذه المدة قبل التنبه إلى السبب أو الأسباب التي دفعتهم إلى إحراق هذا الكتاب؟ ولأي علة تساءل الناس بعد الإحراق، ألأنهم لم تقنعهم المبررات الرسمية، أم لأنهم لم يبلغوا بالدافع الذي جعل من الإحياء عرضة لاتهامات المحرقين له؟ ونحن نعتقد على عكس من رأى في هذا الكتاب مصدرا للثورات، أن الأمر ربما كان سببه الأول والأساسي خلاف مذهبي محض. فالخط الفقهي العام الذي يعتمده كتاب الإحياء أساسه المذهب الشافعي، وطريقة الإمام الغزالي في هذا الكتاب طريقة لطيفة جمعت بين الفكرة الصائبة والعرض الشيق، والأسلوب البليغ، والكلمات المؤثرة، واللغة الرشيقة السلسة، والإيقاع الهادئ الذي يأخذ

---

[135] ابن العربي محمّد بن عبد الله بن محمّد المَعافري الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم ولد في إشبيلية سنة 468 هـ/1076م، تأدّب ببلده، وقرأ القراءات، وسمع به من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمّد بن خزرج، ثم انتقل ورحل مع أبيه سنة 485 هـ/ 1092م، ودخل الشام فسمع من الفقيه نصر المقدسي، وأبي الفضل بن الفرات، وببغداد من أبي طلحة النعالي، وطراد، وبمصر من الخلعي، وتفقه على الغزالي، وأبي بكر الشاشي والطرطوشي، كما تتلمذ على يد المازري في المهديّة. الفتح ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمّد علي شوابكة، دار عمار / مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م، ص 297- 300. ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 227- 228. الضبّي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق فرانسيسكو كوديرا وزايدين جاليان ريبيرا، مدريد، 1884- 1892م، أعيد طبعه في بغداد بمكتبة المثنى، وفي القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 82- 88، ترجمة: 179. المقرّي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، 1388هـ/1968م، ج 2، ص 25- 43. الذهبي، السير، ج 20، ص 197- 204.

[136] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 296.

بالألباب، ويشد القلوب، ويوقظ الهمم عبر فكرة جسدت في قالب أدبي بديع ينبض بالدين. فلقد صور الإمام الغزالي كتابه بصورة تستدرج القارئ وتستميله فلا يشعر وهو مكب على مطالعة الكتاب أنه يخوض في فقه مخالف لما اعتاده من مذهب مالك لأن المقصود من كتاب الإحياء علم المعاملة. والمعاملات، لمن اطلع على كتاب الإحياء، أساسها الشعائر أو كما سماها الإمام الغزالي العبادات. فبعد كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد اللذان يستهل بهما حجة الإسلام موسوعته هذه، يشرع الإمام في تفصيل الحديثعن أركان الدين وما يتعلق بها من الفروع، مازجا كلامه بأنواع من الأسرار التي يكشف عنها حينا بعد حين، فجعل من الشعيرة التي يتحدث عنها وسيلة حية تقرب العبد من غايته، فالغزالي في الإحياء كالمربي يوحي للمسلم بالسر وراء كل حركة يقوم بها، أو يتفاداها، ويأخذ بيد تلميذه ويسعى به خطوة خطوة ليوصله إلى المبتغى من غير كثير عناء ولا كبير جهد. فخطر الإحياء يكمن إذن وراء النهج الذي اختاره الإمام الغزالي في الربع الأول من الكتاب حيث جعل من المذهب الشافعي مورده، ومن أركان الإسلام وما يتعلق بها من شعائر سبلا توصله إلى قلب العابد، كل ذلك بأسلوب سهل سلس غاية في الوضوح والدقة قلما تجد مثله في كتب العصر عند المالكية. ثم إن الإمام الغزالي تجاوز حد الفقه إلى حد الكشف عن أسرار العبادات وخبايا المعاملات، فأوصد الباب أمام النزاعات الفقهية وأعرض عن الخلافات في الفروع فرسم للمتعبد طريقا للنجاة، وبين له المخاطر التي نعتها بالمهلكات، فجاء الكتاب برنامجا جامعا مانعا لكل ما يسأل عنه الراغب في الآخرة، المعرض عن الدنيا. وهذا خطاب جديد لم يألفه إلى حد ما أهل المغرب، إذ كانت الخلافات الفقهية والفتاوى هي الغالبة على كتب الفقهاء. واستمع إلى الإمام الغزالي كيف لخص هذا البرنامج عندما قال:

" فأما ربع العبادات فأذكر فيه خفايا آدابها، ودقائق سُننها، وأسرار معانيها، ما يضطر العالم العامل إليه، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه، وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات.

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها، ودقائق سُننها، وخفايا الورع في مجاريها، وهي مما لا يستغني عنها متدين.

وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خُلُق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه، وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد، ثم الآفات التي عليها تترتب، ثم العلامات التي بها تتعرف، ثم طُرق المعالجة التي بها منها يتخلص، كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود، وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين، وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها، وسببها الذي به تجتلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تتعرف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب، مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ".[137]

كل هذه المادة مستقاة من كتب الفقه الشافعي ومؤلفات الزهاد، أمثال المحاسبي وأبي طالب المكي والقشيري وغيرهم، إلا أن الإحياء تميز عن بقية الكتب الأخرى بخمسة أمور:

الأول: حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه.

الثاني: ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه.

---

[137] الإحياء، ج 1، ص 11- 12.

الثالث: إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه.

الرابع: حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه.

الخامس: تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يُتَعَرضْ لها في الكتب أصلاً [138].

جمع الإحياء إذن بين الإيجاز والسهولة والجزالة ووفرة المادة الفقهية المبسطة، وغزارة المؤونة الأخلاقية حتى إن قارئه أصبح بين عشية وضحاها وكأنه يملك الزاد الذي طالما تمناه، وربما صار بإمكانه نهج سبيل آخر ومسلك غير الذي عهده عند من أحاط به من الأئمة والعلماء.

ثم لا بد من الإشارة إلى أن الإمام الغزالي كان حاد اللهجة عندما أراد أن يقوي العزائم ويوقظ الهمم، فانتقد الفقهاء[139]، والعلماء، والقضاة ومن تولى أمر دين المسلمين لأنه كان يعتقد بأن أدلاء الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وأنه شغر منهم الزمان " ولم يبق إلا المترسمون، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا، فصار يرى المعروف منكرا، والمنكر معروفا، حتى ظل علم الدين مندرسا، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسا. ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام. فأما علم طريق الآخرة، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها، وحكمة، وعلما، وضياء، ونورا، وهداية،

---

[138] الإحياء، ج 1، ص 13.

[139] الإحياء، ج 1، ص 66- 73.

ورشدا، فقد أصبح من بين الخلق مطويا، وصار نسيا منسياً ".[140] ولعل هذا النقد اللاذع هو الذي دفع ببعض علماء الغرب الإسلامي إلى الحمل على حجة الإسلام تلك الحملة التي كادوا يخرجونه بها من الدين. وهذا اللوم في اعتقادنا هو الذي سول لأمثال ابن حمدين وغيره حرق كتب الإمام عامة، وكتاب إحياء علوم الدين خاصة، إذ هو الذي يقرر فيه كاتبه أيضا بأن: "الداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعاً بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالأدوية، والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء ".[141]

ولقد حاول بعض من سبقنا أن يجد لهذا التصرف تفسيرا فأصاب أيما إصابة، وأنصف أيما إنصاف عندما حاول أن يقف على أسباب هذه الظاهرة، ففاق بتفسيره ذاك جل معاصرينا الذين دخلوا هذه المعركة بغير سلاح، وصاروا يطعنون في عقائد الناس متقدميهم ومتأخريهم رغم أنهم خريجو الجامعات، وحاملو كبار الشهادات، ومتسلحون بما يسمونه المناهج والبحوث العلمية إلخ، إلا أنهم في الحقيقة يتسترون وراء هذه الأنواط لشن هذه الهجمات، وترديد ما قاله مربوهم ومؤطروهم، فهم بوقات ينفخ فيها من شاء كما شاء، وإن تسمع لهم فما كتاباتهم، عندما تطلع على حصيلتها، إلا مكاء وتصدية. هذا العالم الجليل الذي وقف موضحا لهذه الظاهرة هو ابن طملوس[142] (560-620هـ

---

[140] الإحياء، ج 1، ص 8- 9.

[141] الإحياء، ج 5، ص 63- 64.

[142] أبو الحجّاج يوسف بن محمّد بن طملوس، ولد في بلنسية سنة 560هـ/ 1164م، وتوفى سنة 620هـ/ 1223م، طبيب وفيلسوف وأديب، درس في غرناطة. ذكره ابن الأبّار في كتاب التكملة لكتاب الصلة وقال عنه: " صحب أبا الوليد بن رشد وأخذ عنه علمه، وسمع من أبي عبد الله بن حميد، وأبي القاسم بن وضّاح، كان أحد العلماء، والفضلاء وآخر الأطباء بشرق

/1164-1223م) فاستمع إليه إذ يقول: " لعل القوم حملهم على هذا أمر من قِبَل الطباع، فالعادة أشد وألزم من الطباع، فلعلهم نشأوا على هذا واعتقدوه وعُودوه حتى صار ما اعتقدوه فيها على حال من يقين الضعفاء، وأعني بيقين الضعفاء، الأمر الذي يقع التصديق فيه عن التقليد، ويظن صاحبه أنه يقين، وهذه الحال موجودة كثيرا في كل ملة، وإنما يعصم الله منها من أيده بعنايته، وألهمه إلى طلب الحق من وجهه ".[143]

الأندلس مع الدماثة، والفضيلة، ولين الجانب، والتحقّق بعلوم الأوائل. وكان له حظّ صالح من النظم، وتصرّف في الآداب والعربية." كان طبيبا للخليفة الموحّدي الناصر. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق بشّار عوّاد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1432هـ/ 2011م، ج 4، ص 201 - 202، ترجمة: 3494.

[143] ابن طملوس، كتاب المدخل لصناعة المنطق، حقّق أسين بلاصيوس قسما منه ونشره، مدريد، المطبعة الإبيرية، 1335هـ /1916م، ص 9. ولم يفت أبا الحجاج بن طملوس أن يلخّص لنا ما وقع للإحياء في الأندلس فيقول: " *ولمّا امتدت الأيام، وَصَلَت إلى هذه الجزيرة كتبُ أبي حامد الغزالي متفنّنة، فقرعت أسماعَهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها، وكلامٍ خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس مناظرتهم، ولا محاورتهم، فبعدت عن قبوله أذهانهم، ونفرت عنه نفوسهم وقالوا: '' إن كان في الدنيا كفر وزندقة فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ''، وأجمعوا على ذلك، واجتمعوا للأمير إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال بزعمهم، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوه منه، فأُحرقت كتب الغزالي وهم لا يعرفون ما فيها، وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته بأمرهم بحرقها، ويُعْلِمهم أنّه هذا هو الذي أدّى إليه نظر العلماء، وقرئت مخاطبته على المنابر، وشنع الأمر بذلك تشنيعاً عظيماً، وامتحن من كان عنده منها كتاب، وخاف كل إنسان على نفسه أن يُرمى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه* ...". المدخل لصناعة المنطق، ص 11- 12.

ولكي تكتمل الصورة ويتضح الأمر ويظهر ما مدى اتصال قضية حرق الإحياء بالمذهبية، نورد مقتطفا من رسالة وجهها أمير المسلمين المرابطي، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين إلى أبي زكريا يحيى بن علي، والفقيه القاضي أبي محمد بن جحاف، وسائر الفقهاء، والوزراء، والأخيار، والصلحاء، والكافة ببلنسية، يشدد فيها على من سولت له نفسه الخروج على مذهب الإمام مالك بن أنس، ومن كانت بحوزته نسخة من كتب أبي حامد الغزالي. يقول تاشفين بن علي: " واعلموا رحمكم الله أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبُدا على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الاقتصار على إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه، فلا عدول لقاض ولا مفت عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل أو تحريم إلا به، ومن حاد برأيه بفتواه، ومال من الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه واتبع هواه، ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة فإياكم وإياه، وخاصة وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عنها وتغلظ الأيمان من يتهم بكتمانها. "[144]

وقضية المذهب هذه التي آثرناها وقدمنا على أنها قد تكون من بين الأسباب التي كانت وراء حرق الإحياء ليست بالمسألة السهلة خصوصا إذا علمنا أن كتبا أخرى قد أحرقت لأجل نصرة مذهب ضد آخر. فهذا صاحب كتاب "المدخل إلى صناعة المنطق" يحكي لنا كيف كان سلوك علماء تلك الفترات الحرجة أمام ما لم يألفوه: " وأعظم من امتحن على أيديهم من أفاضل العلماء، ولقي كل مكروه منهم "بَقِي بن مَخْلَد"[145]، وكادت نفسه تذهب وتمزق كل ممزق،

---

[144] عبد الواحد المرّاكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، صيدا / بيروت، 1426 هـ/ 2006 م، ص 202- 204.

[145] أبو عبد الرحمن بقيّ بن مخلد بن يزيد القرطبي، توفي سنة 276هـ/ 889م. فقيه وإمام ومفسّر أندلسي له تفسير للقرآن، وكتاب في الحديث رتّبه على أسماء الصحابة، وكتاب عن

لولا الأمير في ذلك الوقت، فإنه تثبت في أمره، وطالع ما عنده فاستحسنه، وكان من جملة الذي أتى به من علم الحديث مسند ابن أبي شيبة، فأمر الأمير بمطالعة ما عنده والأخذ عنه، فانصرف الناس إلى "بقي" قليلاً قليلاً، وأخذ عنه الحديث وما نقل عن الأئمة. وطالت الأيام، فعاد ما كان منكراً عندهم مألوفاً، وما اعتقدوه كفراً وزندقة إيماناً وديناً حقاً. فدانوا بهذا مدة ودأبوا عليه، إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين، فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولاً في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة، ولذلك قال القحطاني: " يا أشعرية، يا زنادقة الورى " فعُد القوم الذين هم أهل السنة والناصرون لدين هذه الملة كفاراً وزنادقة. ثم أنِسُوا أيضاً بهذا المذهب، أعني علم الأصول، ودرجتهم الأيام إلى أن طالعوه وتمهروا فيه، حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء، ولكن بقي في نفوس أرباب المسائل، أعني أهل الفروع، استنكار لذلك إلى قريب من زماننا هذا، فإن ذلك الاستنكار لم ينتسخ من نفوسهم بالكلية، كما استنسخ استنكار المنكرين لعلوم الحديث قبل ذلك، ولكن صار الحامل لهذا العلم آمناً منهم في نفسه وماله، متكلماً بما شاء من علمه، يملي فيه غير مترقب ولا خائف. فصار هذا العلم

فتاوي الصحابة والتابعين. قال عنه أبو الوليد بن الفرضيّ في "تاريخه": "ملأ بقي بن مخلد الأندلس حديثا، فأنكر عليه أصحابه الأندلسيّون، أحمد بن خالد، ومحمّد بن الحارث ،وأبو زيد، ما أدخله من كتب الاختلاف، وغرائب الحديث، فأغرَوْا به السلطان وأخافوه به، ثم إنّ الله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه وقرأ للناس روايته. ثم تلاه ابن وضّاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد. وممّا انفرد به ولم يدخله سواه مصنّف أبي بكر بن أبي شيبة بتمامه، و "كتاب الفقه" للشافعي بكماله - يعني "الأم" - و"تاريخ خليفة"، و"طبقات خليفة"، وكتاب "سيرة عمر بن عبد العزيز"، لأحمد بن إبراهيم الدورق . . . وليس لأحد مثل مسنده". ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشّار عوّاد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1429هـ /2008م، ج 1، ص 143- 145. ترجمة: 281.

وعلم الحديث، ومذاهب الأئمة ومسائل الفروع، كل ذلك دين الله تعالى يجب الإِيمان به والعمل بمقتضاه، بعد أن كان فيه ما كان". [146]

حصل هذا قبل دخول كتاب إحياء علوم الدين الأندلس والمغرب، ثم إن ما أصاب كتب الإمام الغزالي وأتباعه من فتنة وابتلاء، ذاقه من جاء بعدهم فأصبح المبتلي مبتلا، ذلك ما نجده مسطرا عند صاحب " بيوتات فاس الكبرى " إذ يقول: " وسبب إحراق المدونة[147] أن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل على محض الظاهرية، ولما قلدوا القضاء بالمغرب إلى قاضي القضاة عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني، أمروه أن يأمر القضاة بالمغرب أن يحكموا بمحصل الظاهرية، فامتثلوا أمره وصاروا لا يحكمون إلا بمحض الظاهرية "[148]. ويضيف المراكشي في " المعجب ": " وفي أيامه (يعني أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي) انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون ... ولقد شهدت منها، وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها

---

[146]ابن طملوس، كتاب المدخل لصناعة المنطق، ص 10- 11.

[147] كتاب في الفقه المالكي، وهي مجموعة من الأسئلة والأجوبة عن مسائل الفقه وردت للإمام مالك، جمعها وصنّفها ورواها عبد السلام بن سعيد التنّوخي الملقب بسحنون (توفي سنة 240هـ/ 854م). الذهبي، السير، ج 12، ص 63- 69.

[148]إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1392هـ / 1972 م، ص 19.

بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار... وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة، وحَمْل الناس على الظاهر من القرآن والحديث "[149].

ثم إنك إذا ذكرت المذاهب ذكرت القضاء وعلاقته بالسلطة، والقاضي ابن حمدين كما أشرنا كان من بين الأوائل الذين شنوا الحملة التي قامت ضد الإمام الغزالي وكتابه الإحياء، والظاهر أنه ما فعل ذلك إلا لنفوده وقوته وتمكنه، وذلك دفاعا عن المذهب، وردعا لكل من سولت له نفسه اتباع ما جاء به الإحياء من أراء فقهية شافعية في معظمها، أو انتقاد العلماء، أو التطاول عليهم، أو الإعراض عما كانوا عليه من اختيارات فقهية وفتاوى مبنية أساسها على فقه المذهب المالكي. ولقد نقل الذهبي بعضا من كلامه فقال: " وقال قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن حمدين القرطبي: "إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه، ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية، والنحلة الصوفية، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد إمام بدعتهم، فأين هو من شنع مناكيره، ومضاليل أساطيره المباينة للدين؟! وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية الذي لا يسفر عن قناعه، ولا يفوز باطلاعه إلا من تمطى إليه ثبج ضلالته التي رفع لهم أعلامها، وشرع أحكامها. قال أبو حامد: وأدنى النصيب من هذا العلم التصديق به، وأقل عقوبته ألا يرزق المنكر منه شيئا. فاعرض قوله على قوله، ولا يشتغل بقراءة قرآن، ولا بكتب حديث، لأن ذلك يقطعه عن الوصول إلى إدخال رأسه في كم جبته، والتدثر بكسائه، فيسمع نداء الحق، فهو يقول: ذروا ما كان السلف عليه، وبادروا ما آمركم به. "[150] وختم الذهبي كلام ابن حمدين بقوله: " ثم إن هذا القاضي

---

[149] المعجب، ص 202- 204.

[150] الذهبي، سير، ج 19، ص 332.

أقذع، وسب، وكفر، وأسرف، نعوذ بالله من الهوى ".[151] وابن حمدين هذا لا تكاد تسمع عنه في أغلب المصادر إلا المدح[152]، وهو النموذج الذي يمثل قمة ما وصل إليه نفود الفقهاء والقضاة في تلك الفترة التي عرفت هذا الأخذ والرد في مسائل الأصول والفقه، فذهب إلى حد اعتبار القوم الذين هم أهل السنة والناصرون لدين هذه الملة كفاراً وزنادقة حسب عبارة ابن طملوس. وهذا عبد الواحد المراكشي ينقل لنا لوحة عما كان عليه حال القضاة والفقهاء في تلك الحقبة التي عرفت بإحراق كتب الإمام الغزالي ندرجها هنا تتميما للفائدة: " واشتد إيثاره (يعني بذلك أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين) لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء؛ فكان إذا ولى أحدا من قضاته، كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرا ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء. فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس. ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طول مدته، فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم، وفي ذلك يقول أبو جعفر أحمد بن محمد اليعمري المعروف بابن البِني[153]، من أهل مدينة جَيان من جزيرة الأندلس:

أهلَ الرياء لبِستم ناموسكم   كالذئب أدلج في الظلام العاتمِ

---

[151] نفس المصدر، ج 19، ص 332.

[152] سنرى فيما بعد كيف أنّ هذا القاضي كان عرضة للهجاء.

[153] الفتح بن خاقان الإشبيلي، مطمح الأنفس، ص 369- 380.

فملكتم الدنيا بمذهـب مالـكٍ[154] وقسمتم الأمـوال بابن القاسـمِ[155]
وركِبتم شُهْب الدواب بأشهبٍ[156] وبأصبغ[157] صبغت لكم في العالمِ

وإنما عرض أبو جعفر هذا في هذه الأبيات بالقاضي أبي عبد الله محمد بن حمدين قاضي قرطبة، وهو كان المقصود بهذه الأبيات؛ ثم هجاه بعد هذا هجاء صريحا بأبيات أولها:

أدجال هذا أوان الخـروج ويا شمس لُوحي من المغربِ

---

[154] المقصود به مالك بن أنس بن مالك.

[155] أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة (191 -132هـ/ 750- 806 م)، من تلاميذ الإمام مالك المخلصين، صحبه عشرين عاماً يسمع منه، ويعمل بنصحه، وكان ابن القاسم أعلم تلاميذ الإمام مالك بعلمه، وآمنهم عليه، وكان رجلاً زاهداً تقياً. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 129- 130. الذهبي، سير، ج 9، ص 120- 125.

[156] أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داوود بن إبراهيم القيسي الجعدي الفقيه المالكي المصري، وقيل: اسمه مسكين ولقبه أشهب (140. 204 هـ / 757- 819) مفتي مصر، وكان أشهب على خراج مصر، وكان صاحب أموال وحشم. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 238- 239. الذهبي، سير، ج 9، ص 500- 503.

[157] أبو عبد الله أصبغ بن الفرج ابن سعيد بن نافع الأموي مولاهم المصري المالكي، (150- 225هـ/ 767- 840م) الشيخ الإمام مفتي الديار المصرية وعالمها. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 240. الذهبي، سير، ج 10، ص 656- 658.

يريد ابن حَمْدين أن يعتفي وجدواه أنأى من الكوكــبِ
إذا سُئل العُرْف حك استه ليُثبت دعواه في تغلـــبِ."[158]

سيقول بعضهم إن الهجاء ليس حجة تاريخية خصوصا إذا صدر عن شاعر ماجن مثل ابن البِني، ولكننا نستدرك على هذا بالقول بأن المستشهد به هو عبد الواحد المراكشي الذي يعد كتابه من طليعة الكتب التي أرخت لهذه الفترة، وأنه من بين أهم مصادر تاريخ الأندلس والمغرب. والمطلع على حياة هذا الرجل وعلى تراجم من أخذ العلم عنهم يدرك تمام الإدراك أن المراكشي مؤرخ متقن ومتمكن من هذا الفن، سيما وأنه اعتمد في كتابه المعجب على المشاهدة الشخصية والمعاينة والنقل عن شهود عيان اطلعوا على الأحداث وخبروا تفاصيلها. فشهادته التي يذكر فيها الفقهاء والقضاة ليست شهادة يستهان بها، خاصة إذا علمنا أنه عندما انتقل إلى الأندلس، التقى العديد من الأعلام البارزين. فهذا المتحدث عما جرى للمدونة وغيرها، والناقل لحديث غير معهود عن القاضي ابن حمدين، إذا مزجنا كلامه بملاحظات ابن طملوس، كان بوسعنا أن نقول بأن القاضي أو الفقيه في تلك الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها كان الوصي على العلوم المتداولة آنذاك، خصوصا منها ما تعلق بالأحكام وأصول الدين، وأنه في الحقيقة كان الرقيب على ما يقرأ ويدرس في المساجد والمدارس، والراصد للأفكار التي تروج هنا وهناك، والمشرف على ما يجول بين العلماء والطلاب من كتب. والقادمون من الشرق سواء منهم الحجاج أو طلاب العلم لا بد ناقلون في طيات أمتعتهم ما جد من علوم ومعارف قد تهدد بمناهجها الجديدة ومفاهيمها المبتكرة هيبة هؤلاء العلماء والفقهاء والقضاة الذين قضوا ردحا من الزمن يبنون صرحها الذي جعلوا منه قلعة حصينة تدر عليهم المنافع، وتحميهم من المعارضين. في ظل هذا الجو أصبح كل من أبدى

[158] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 130- 131.

رأيا مخالفا عرضة للريبة، والطعن، والتجريح الذي قد يصل إلى حد الإخراج من الدين. انظر إلى القاضي ابن حمدين مثلا كيف يعرض بأحد معاصريه الذي تجرأ على دراسة الإحياء والدفاع عنه فاستعمل كلمة الغزالية لتعظيم الأمر وتهويله وكأنما هي فرقة من الفرق الشاذة والخارجة عن الملة، ووصل به الحد إلى أن جعل من معاصريه أهل بدعة ومناكير وأضاليل.

وحتى نطلع على مدى القوة التي كان يتمتع بها القضاة في العصور الوسطى في الغرب الإسلامي، ونقف على الطريقة التي بنى بها بعض العلماء هذه المرجعية وهذا الصرح الذي ظنوه منيعا، لا بد من الإلمام بالكيفية التي حلل بها ابن حزم ظاهرة انتشار المذاهب في بعض البقاع الإسلامية. قال الحافظ ابن حزم (384-456هـ / 994-1064م): " مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان، مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه؛ ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة، وكان لا يلي قاضٍ في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه. "[159]

من كل هذا الأخذ والرد الذي ارتجت به أرجاء الصرح المذهبي الذي أقيم بأرض الغرب الإسلامي، والذي كان سببه دخول كتاب إحياء علوم الدين هذه البلاد، وتأثيره القوي في بعض من رأى فيه وسيلة لبعث روح جديدة في الحياة الدينية التي أمست حسب رأي من دافع عن هذا الكتاب تقليدا يكاد جموده يقضي على تلك الخيرية التي تميزت بها أمة الإسلام، يمكننا أن نستخلص النقاط التالية:

---

[159] المقرّي، نفح الطيب، ج 2، ص 10.

1. يتفق كل من انتقد الإحياء من المالكية على أن نقطة الضعف الأولى فيه هي مادته الحديثية التي تأرجحت بين الضعيف والموضوع.
2. مادة صوفية تحمل في طياتها المقبول والمنبوذ أو قل المحرم والشنيع.
3. مادة كلامية خصوصا منها ما تعلق بالتوحيد، استبشعها علماء الأندلس رغم أنهم يقرون بأشعريتهم.
4. مادة فلسفية لم يستسغها أهل الحل والعقد فاستشنعوها واستنكروها وانتقدوها أيما انتقاد.

هذه هي المآخذ التي لم يغفرها علماء المغرب والأندلس للغزالي وهي التي كانت سببا في المصير الذي كان من نصيب إحياء علوم الدين بالغرب الإسلامي.

ابن الجوزي أو ردود مشرقية:

أما بالمشرق فإن الأمر لم يصل إلى حد الإحراق، بل هناك من العلماء من أخذ على عاتقهم الرد على الإحياء وانتقاد ما فيه، ومنهم من أراد صد الناس عن قراءته وذلك بتأليف كتاب، كما فعل الأستاذ الطرطوشي، أو كتابين يحلان محل هذا الإحياء الذي شغف به الناس خاصتهم وعامتهم. ومن هؤلاء الذين نهجوا هذا النهج أبو الفرج بن الجوزي[160] (508-579هـ/ 1116-1201م) الذي استهل نقده للإحياء بالتنبيه على ما بدا له أنه مخالف " لقانون الفقه " كما جاء في المنتظم[161]، حيث ذكر نبذة من حياة الإمام الغزالي، وخصص أكثر من

[160] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن عليّ بن محمّد القرشي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي، فقيه حنبلي محدّث ومؤرّخ وأصولي، برز في كثير من العلوم والفنون. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 140- 142. الذهبي، السير، ج 21، ص 365- 384.

[161] ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 125- 126.

نصف هذه الترجمة للحط من إحياء علوم الدين، وسرد ما اعتقد أنه معايِب، معززا ذلك ببعض الأمثلة. يقول ابن الجوزي: " ثم رحل إلى الشام، وأقام ببيت المقدس ودمشق مدة يطوف المشاهد، وأخذ في تصنيف كتاب الإحياء في القدس، ثم أتمه بدمشق إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية، وترك فيه قانون الفقه... وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته: إعلام الأَحياء بأغلاط الإحياء[162]، وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى: بتلبيس إبليس[163] ... وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه أنه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية، وقال (يعني الغزالي): " إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمذي[164]، وامتثلت وظائف العبادات واستدامة الذكر إلى أن جزت تلك العقبات، وتكلفت تلك المشاق، وما حصلت ما كنت أطلبه ". ثم إنه نظر في كتاب أبي طالب المكي، وكلام المتصوفة القدماء، فاجتذبه ذلك بمرة عما يوجبه الفقه، وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة وما لا يصح غير قليل، وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف، وإنما نقل

---

[162] هذا الكتاب في عداد المفقودات.

[163] لهذا الكتاب طبعات متعدّدة غير محقّقة نذكر منها طبعة دار القلم، بيروت، 1403هـ/1983م.

[164] أبو عليّ، الفضل بن محمّد الفارمذي، الخراساني، الإمام الكبير، شيخ الصوفيّة الواعظ. (407هـ - 477هـ/1016م- 1084م). صحب الإمام القشيري، وكان له قبول عظيم في الوعظ، وكان نظام الملك يتغالى فيه، وكان ينفق على الصوفية أكثر ما يفتح عليه به. الذهبي، السير، ج 18، ص 565- 566.

حاطب ليل... وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء فأعلمته بعيوبه، ثم كتبته له[165]، فأسقطت ما يصلح إسقاطه وزدت ما يصلح أن يزاد "[166].

نستنتج من هذا المقتطف أن ابن الجوزي قطع عدة مراحل مهتما بإحياء الغزالي كانت أولاها تلك التي أنتجت كتابا لا نستطيع الحكم عليه لأنه ظل في عداد المفقودات. ومن اللافت للنظر أن الذين ذكروا هذا الكتاب المسمى " إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء "، والذي يتضح من خلال عنوانه أنه رد على مؤلف الغزالي، وإحصاءٌ لما عده الفقيه الحنبلي غلطا وخروجا عن الطريق القويم الذي رسمه الفقهاء وأهل الحديث، لم يوردوا من هذا النقد حرفا واحدا. ثم جاء الرد الثاني متمثلا في كتاب "تلبيس إبليس"، ويختلف هذا الكتاب عن سابقه لأن ابن الجوزي لم يخصصه للحديث أو لنقد كتاب الإحياء خاصة، بل اتخذه منبرا للتنديد بما تشابه على الناس من المعتقدات حتى ظنوا أنها من الدين. وابن الجوزي عد هذه المعتقدات من تلبيسات الشيطان على العباد والزهاد والعلماء حتى إنه لم يسلم، في نظر ابن الجوزي، من هذه التلبيسات أحد. قال في تلبيس إبليس: " وإذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم (يعني بذلك شيوخ الصوفية)، وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم، فإن كان ذلك صحيحا عنهم توجب الرد عليهم إذ لا محاباة فِي الحق، وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أي شخص صدر. وأما المتشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة، ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة، والغيرة عليها من الدخَل، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما نؤدي بذلك أمانة العلم.

---

[165] لعلّه يقصد كتابه منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، تحقيق كامل محمّد الخرّاط، دمشق، دار التوفيق، 1431هـ/ 2010م.

[166] ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 125- 126.

وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصدا لبيان الحق، لا لإظهار عيب الغالط، ولا اعتبار بقول جاهل يقول: كيف يرد عَلَى فلان الزاهد المتبرك به؟ لأن الانقياد إنما يكون إِلَى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص. وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات، فلا تمنع منزلته بيان زلله ".[167]

ويستطيع من تصفح هذا الكتاب أن يدرك من الوهلة الأولى أن حظ الصوفية من تلبيس إبليس كان هو الأوفر لأن الكاتب قد خصص لهم ما يزيد على مائتي صفحة، حسب الطبعة التي اعتمدنا عليها، أي ما يزيد على ثلثي الكتاب. ولقد ذهب ابن الجوزي في هذا المصنف مذهبا لم يترك فيه مرجعا من مراجع أهل التصوف، أو مؤلفا مما عده المؤرخون والعلماء مصدرا من مصادر من عُدوا من أهل الطريق إلا حط من قدره. يقول: " ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فِي الجوع، والفقر، والوساوس، والخطرات، وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة، والسماع، والوجد، والرقص، والتصفيق، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة. ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعا، ويتكلمون بواقعاتهم، ويتفق بُعْدُهم عن العلماء، لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ...وهؤلاء بين الكفر والبدعة. ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من قال بالحلول، ومنهم من قال بالاتحاد، وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سُننا. وجاء أبو عَبْد الرحمنِ السلمي فصنف لهم كتاب السنن، وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إِلَى أصل من أصول العلم، وإنما حملوه عَلَى

[167] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 163.

مذاهبهم..... وصنف لهم أَبُو نصر السراج كتابا سماه لمع الصوفية، ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر مِنْهُ جملة إن شاء الله تعالى. وصنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة، وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد، وردد فيه قول " قال بعض المكاشفين "، وهذا كلام فارغ ....

قَالَ المصنف: وجاء أَبُو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية، وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة، ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا، وسادات الصحابة رضي الله عنهم، فذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شريحا القاضي، والحسن البصري، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وكذلك ذكر السلمي فِي طبقات الصوفية الفضيل، وإبراهيم بْن أدهم، ومعروفا الكرخي، وجعلهم من الصوفية بأن أشار إِلَى أنهم من الزهاد. فالتصوف مذهب معروف يَزِيد عَلَى الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف ... وصنف لهم عَبْد الكريم بن هوزان القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فِي الفناء، والبقاء، والقبض والبسط، والوقت، والحال، والوجد والوجود، والجمع والتفرقة، والصحو والسكر، والذوق والشرب، والمحو والإثبات، والتجلي والمحاضرة، والمكاشفة واللوائح، والطوالع واللوامع، والتكوين والتمكين، والشريعة والحقيقة، إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء. وتفسيره أعجب منه. وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف، فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى ... وجاء أَبُو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه... وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند

إِلَى أصل، وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن "[168].

ومن اللافت للنظر أن ابن الجوزي ما ذكر عالما من هؤلاء المشهود لهم عند غيره من العلماء بالاستقامة أو على الأقل بالورع وحسن السيرة، إلا وضع من شأنه، وحط من مكانته[169]. وليس بإمكاننا سرد كل ما أورده ابن الجوزي في حق هؤلاء الذين عرض بهم في كتابه هذا، لأن مقصدنا هو إظهار نقده الموجه للإحياء وما أورده بشأن الإمام الغزالي. والظاهر أن ما أثار حفيظة ابن الجوزي هو الأحاديث الموضوعة التي استشهد بها حجة الإسلام، وما ذكره من أمور تتعلق بعلم المكاشفة، وهذه هي النقطة التي ألقت بالغزالي خارج زمرة الفقهاء، وألحقته بهؤلاء المتصوفة الذين هم أنداد الجهلة وأهل البدعة والضلالة، البعيدون عن السنة، والذين لا سند لهم ولا مرجعية. فالفقيه ابن الجوزي هو المتحدث والواصف لحال هؤلاء والمنتقد لتصرفاتهم، ومن تتبع خطة مؤلف التلبيس، وكيفية تعريضه بالمشاهير من كتاب الصوفية يكتشف أنها تشبه إلى حد ما طريقة الذهبي في إيراده ورصه للمعلومات والجذاذات التي يهيئ بها بعض التراجم، فهو ينظمها وينسق بينها كما يفعل الرسام عندما يستعد لرسم لوحة ما فيهيئها على الشكل الذي أراد، والحجم الذي اختار، فيسوي بين ألوانها

---

[168] تلبيس إبليس، ص 158- 161.

[169] من الغريب أنّ ابن الجوزي جمع في كتابه " صفوة الصفوة " تراجم خيرة الأخيار من الناس، فتجده يترجم لجمع غفير من الصوفية ويذكرهم بكلّ خير، نذكر منهم الحارث المحاسبي، ج 2، ص 376؛ والسرّي السقطي ج 2، ص 371؛ وأبو سعيد الخرّاز، ج 2، ص 435؛ وأبو الحسين النوري، ج 2، ص 439؛ وشقيق البلخي، ج 2، ص 442؛ وحاتم الأصمّ، ج 4، ص 161؛ والشبلي، ج 2، ص 456؛ وخير النسّاج، ج 2، ص 451؛ والجنيد، ج 2، ص 416. صفوة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، بيروت، دار المعارف، 1405هـ/ 1984م.

حتى يتمكن من التحكم في الانطباع الذي يريد هو أن تثيره اللوحة في الناظر لها والمتطلع إليها. فإذا كان مراد ابن الجوزي من تأليفه تلبيس إبليس توجيه ضربة قوية للتيار الصوفي قد لا تقضي عليه وإنما قد تحد بعض الشيء من قوة انتشاره، سيما إذا عرض بأساطينه وانتقدهم وحط من قدرهم، واتهمهم بالكذب والجهل وسوء الطوية، فإنه لم يتجاوز عند حديثه عن الإحياء حد التعجب، والغضب، والتنديد، ولكن بالتزام وحيطة.

ثم إن هناك كتابا ثالثا جعل منه ابن الجوزي نداً للإحياء، بل كان يطمح بوضعه طمس ذكر الإحياء ومحو أثره بحيث يصبح مصنفا بديلا يتم الاستغناء به عن كتاب حجة الإسلام والنجاة مما يحمله هذا الأخير في طياته من آفات حسب رأي ابن الجوزي. وهذا الكتاب هو " منهاج القاصدين "، والذي يلفت الانتباه هو أن المؤلف لم يخرج على الرسم الذي وضعه الإمام الغزالي في كتاب الإحياء، وليس لنا أن نستغرب هذا الأمر ونحن نعلم أن ابن الجوزي لم يضع هذا الكتاب للرد على حجة الإسلام، وإنما وعد أحد المعجبين بالإحياء أن يكتبه له ولكن بعد " إسقاط ما يصلح إسقاطه وزيادة ما يصلح أن يزاد ". وقد وفى ابن الجوزي بوعده، وخير دليل على ذلك فهرسة الكتاب التي جاءت مطابقة إلى حد ما لكتاب إحياء علوم الدين التي سبق وأن اطلعنا عليها. وبهذا يصبح ابن الجوزي ثاني عالم يعارض حجة الإسلام بعد الأستاذ الطرطوشي الذي، كما سبق وذكرنا، وضع هو أيضا كتابا لنفس الغرض. سعى العالمان كلاهما إلى معارضة الإحياء، تشوفا إلى تجاوز مرتبته والتفوق عليه وطمس ذكره؛ وإذا كان هدف ابن الجوزي التلخيص والبتر والإصلاح، فإن قصد الطرطوشي كان الانتقاء والتنويع وتضخيم المادة، إلا أنهما مع ما بدلاه من جهد، لم يتمكنا من التخلص من الخطة التي وضعها الإمام الغزالي لإحيائه، فظل شبح إحياء علوم الدين مخيما عليهما، ورغم كدهما وسعيهما لمحو أثر إحياء علوم الدين، فإنهما لم يتمكنا من الجري وراءه بله تجاوزه. أما كتاب "

منهاج القاصدين " فقد اختصره ابن قدامة المقدسي لأنه كما قال: " رأيته كتابا مبسوطا فأحببت أن أعلق منه هذا المختصر الذي احتوى على أكثر مقاصده، وأجل مهماته وفوائده، سوى ما ذكر في أوائله من مسائل ظاهرة تتعلق بالفروع فإنها مشهورة في كتب الفقه المستفيضة بين الناس "[170]. وأما كتاب " الأسرار والعبر " للطرطوشي، فلم يعره القراء والعلماء على ما يبدو أي اهتمام حتى أوشك أن ينطمس ذكره لو لم يُعثر في السنين الأخيرة على السفر الأول منه، ثم إن المصادر تكاد تجهل وجوده، بل إن المترجمين للطرطوشي لم ينسب له أحد منهم كتابا بهذا العنوان.

كتب الغزالي بين الرفض والقبول:

وأما الردود الأخرى التي سجلها المؤرخون، وكان الإمام الغزالي ومؤلفاته عرضتها، كانتقادات ابن الصلاح في طبقات الفقهاء الشافعية[171] التي تصدى للرد عليها السبكي في كتابه " رفع الحاجب على مختصر ابن الحاجب "[172]، أو ردود أبي الوليد ابن رشد في كتابه " تهافت التهافت "[173] وغيره، فهي لم تكن موجهة لإحياء علوم الدين، ولم تستهدف جانبا من الجوانب التي تضمنها هذا الكتاب، بل كان مرادنا الرد على كتب وآراء أخرى للغزالي انتقد فيها الفلاسفة، أو تعرض فيها لعلم المنطق، أو غير ذلك من المواضيع التي تتعلق بالحكمة والشريعة وما بينهما من اتصال أو انفصال، وهذا ليس شأننا في هذا

---

[170] ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دمشق/ بيروت، مكتبة دار البيان/ مؤسسة علوم القرآن، 1398هـ/ 1978، ص 10.

[171]طبقات الشافعيّة، ج 1، 252- 254.

[172] السبكي، رفع الحاجب على مختصر ابن الحاجب، تحقيق محمّد عليّ معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، عالم الفكر، 1419هـ/ 1999م، ج 1، ص 278- 283.

[173]ابن رشد، تهافت التهافت، بيروت، دار الفكر، 1414هـ/ 1993.

التقديم الذي يدور حول كتاب إحياء علوم الدين والرد الذي ينسب للغزالي والذي عَنْوَنه بالإملاء على مشكل الإحياء. ولا بأس إن نحن عرضنا نموذجا من تلاعبات بعضهم بكلام من كان قبلهم وسبقوا بفعلهم هذا ما قام به الذهبي وانتقده عليه السبكي. فهذا مقتطف من كلام ابن رشد تكلم فيه عن الإحياء سنُظهر من خلاله أن هذا العالم الأندلسي لم يكن له حكم سلبي على الكتاب، بل إنه بين أن مواضيع كتاب الإحياء تتعلق بنوع خاص من العلم العملي: " والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء. والمعرفة بهذه الأفعال هي التي تسمى العلم العملي وهذه تنقسم قسمين:

1. أحدهما أفعال ظاهرة بدنية، والعلم بهذه هو الذي يسمى الفقه.
2. والقسم الثاني أفعال نفسانية مثل الشكر، والصبر، وغير ذلك من الأخلاق التي دعا إليها الشرع أو نهى عنها، والعلم بهذه هو الذي يسمى الزهد وعلوم الآخرة.

وإلى هذا نحا أبو حامد في كتابه. ولما كان الناس قد اضربوا عن هذا الجنس وخاضوا في الجنس الثاني، وكان هذا الجنس أملك بالتقوى التي هي سبب السعادة، سمى كتابه إحياء علوم الدين ".[174]

ولكن هناك من الناس من عمدوا إلى بيت من الشعر استشهد به ابن رشد لنعت الطريقة التي تبناها الإمام الغزالي في كتبه للتقريب بين الحكمة والشريعة بحسب قول صاحب فصل المقال، فاستنتجوا منه أن حكيم الأندلس وفقيهها انتقد أبا حامد وأنكر عليه هذا التصرف، وللقارئ المتبصر أن يحكم على كلام ابن رشد كاملا بعد اطلاعه عليه دون بتر أو تحوير أو حذف أو تزوير. قال أبو

[174] ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق محمّد عمارة، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د- ت، ص 54- 55.

الوليد: «ولهذا يجب ألا تثبت التأويلات إلا في كتب البراهين، لأنها إذا كانت في كتب البراهين لم يصل إليها إلا من هو من أهل البرهان. وأما إذا أُثبتت في غير كتب البرهان، واستعمل فيها الطرق الشعرية، والخطابية أو الجدلية، كما يصنعه أبو حامد، فخطأ على الشرع وعلى الحكمة، وإن كان الرجل إنما قصد خيراً، وذلك أنه رام أن يُكَثر أهل العلم بذلك، ولكن كثر بذلك أهل الفساد بدون كثرة أهل العلم. وتطرق بذلك قوم إلى ثلب الحكمة، وقوم إلى ثلب الشريعة، وقوم إلى الجمع بينهما. ويشبه أن يكون هذا أحد مقاصده بكتبه. والدليل على أنه رام بذلك تنبيه الفطر، أنه لم يلزم مذهباً في كتبه، بل هو مع الأشعرية، أشعري، ومع الصوفية، صوفي، ومع الفلاسفة فيلسوف، حتى أنه كما قيل:

يوماً يمان إذا لاقيتُ ذا يمن وإن لقيتُ معدياً فعدنان[175] "[176]

هذا جل ما أثاره ابن رشد في فصل المقال، وبين من خلاله أن مقصود الإمام الغزالي بطريقته هذه كان مقصودا نبيلا (تكثير أهل العلم)، وأن نيته كانت حسنة عندما لجأ في كل مرة إلى مذهب معين لأنه أراد بذلك حسب ابن رشد " تنبيه الفطر". وأما ما ذكره ابن خلصون في رسالته من كلام ابن رشد فإنه خلط بين ما جاء في فصل المقال وكتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، وزاد ونقص، وقدم وأخر، وأجمل واختصر، وتصرف في أقوال ابن رشد تصرفا أخل

---

[175] البيت لعمران بن حطّان (توفي 84 هـ / 703 م) وله رواية أخرى جاءت في الكامل في اللغة للمبرد كالتالي:

وما يمان إذا لاقيتُ ذا يمن وإن لقيتُ معدّيّاً فعدناني

انظر الكامل في اللغة والأدب، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1417هـ/ 1997م، ج 3، ص 126.

[176] ابن رشد، فصل المقال، ص 52- 53.

بالمضمون، فجاء كلام أبي الوليد على غير المعنى الذي ورد في الكتابين، بل على عكس ما أراد.[177] يقول ابن رشد: " والذي يجب على أئمة المسلمين أن ينهوا عن كتبه التي تتضمن العلم إلا من كان من أهل العلم، كما يجب عليهم أن ينهوا عن كتب البرهان من ليس أهلا لها وإن كان الضرر الداخل على الناس من كتب البراهين أخف..."[178] وإليك كيف نقلها ابن خلصون: " والذي يجب على أهل العلم أن ينهوا الجمهور عن كتبه فإن الضرر فيها بالذات والمنفعة بالعرض "[179].

بين الغزالي وأبي بكر بن العربي:

لربط إحياء علوم الدين بكتاب الإملاء على مشكل الإحياء كان لا بد لنا من تأجيل الكلام عن مالكي آخر من المغاربة الذين انتقدوا الإمام الغزالي بصفة عامة، والإحياء بصفة غير مباشرة. وتأخير الحديث عن هذا العالم الأندلسي جاء لسببين اثنين، أحدهما أن هذا المالكي كان من تلامذة الإمام الغزالي، وثانيهما أنه يعد من بين أولئك الذين ساهموا في إدخال ونشر عدد لا بأس به من مؤلفات الإمام الغزالي بالغرب الإسلامي وعلى رأسها الإحياء. ولقد أثار انتباهنا ونحن نبحث عن العلاقة بين هذا العالِم، ونقصد بذلك أبا بكر بن العربي، وكتاب الإحياء مقالان خُصصا للحديث عن الإمام الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين باعتباره النموذج الأساسي لتصوف حجة الإسلام، فأقحما الإحياء في غياهب من الافتراضات التي لم تضف على علاقة مؤلفات الغزالي بالمغاربة إلا غموضا والتباسا. وكان من شأن أحد المقالين، ونعني به مقال " البعد

[177] انظر رسالة ابن خلصون، الإحاطة، ج 4، ص 25- 26.

[178] ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلّة في عقائد الملّة، تحقيق محمود قاسم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1384هـ/ 1964م، ص 183- 184؛ وفصل المقال، ص 53.

[179] الإحاطة، ج 4، ص 26.

السياسي في نقد القاضي ابن العربي لتصوف الغزالي "[180] لعبد المجيد الصغير، أنه تبنى دون تحفظ جل ما وجهه أبو بكر بن العربي من نقد لهذا التصوف في بعض مؤلفاته، فجاء مقاله، لولا ربطه بهم سياسي ذو نفحة معاصرة، وكأنك تقرأ فتوى لأحد علماء المالكية في العهد المرابطي. ثم إنك تفاجأ منذ الوهلة الأولى بتحمس الكاتب وشدة رغبته في أن يجعل من ابن العربي الند والنظير للغزالي؛ فبعد أن قرر الأستاذ الصغير أن نبوغ ابن العربي الفكري " وتميزه العلمي إنما جاء بمناسبة اتصاله وارتباطه بالغزالي " استدرك بعد عدة فقرات وقال: " إن نظرة سريعة إلى التراث الفقهي وخاصة التراث الأصولي لكل من الغزالي وابن العربي تجعلنا ندرك مدى الروابط الوثيقة التي تجمع بينهما خصوصا وقد حمل كل منهما لواء الاجتهاد المطلق داخل مذهبه الفقهي. ومقارنة بسيطة بين "شفاء الغليل" أو " المستصفى " للغزالي وبين " أحكام القرآن " لابن العربي، تبين لنا مدى تقارب فكرهما، وخاصة في مجال قواعد الاستنباط العقلي والاجتهاد الأصولي و"السياسة الشرعية" أيضا. "[181] وما جاء هذا المدخل الذي مهد به الأستاذ الصغير لمقاله إلا ليفتح الباب بمصراعيه أمامه حتى يتمكن من تفكيك تلك الصورة التي أَلِف الناس رؤية الإمام الغزالي عليها. وقد كان المنطلق سعي كاتب المقال دون دليل إلى نفي تأثر ابن العربي بكتاب المستظهري واعتماده عليه في نقد الباطنية: " نعم إن ابن العربي سيشير إلى كتاب المستظهري في كتابه " العواصم" لكن تأليفه جاء متأخرا عن رحلته وتجربته الفعلية مع الفرق الباطنية. وهذا ما يجعلنا نجزم بأن إطنابه في الرد

---

[180] أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط :سلسلة ندوات ومناظرات، 1409هـ/1988م، ص 173- 193.

[181] نفس المصدر، ص 175.

على الباطنية لم يكن منه مجرد اتباع للغزالي، ولكنه كان تسجيلا لتجربة فعلية وحوار وصدام فكري وسياسي "[182].

أما الغرض الثاني الذي قصده كاتب المقال فهو جعله من نقد ابن العربي للباطنية وسيلة " يقيم بها الغزالي كمفكر يجمع بين كونه صوفيا غاليا، باطنيا، فيلسوفا، إضافة إلى كونه ريبيا متشككا. إذ من المعلوم عند الغزالي وابن العربي، حسب عبد المجيد الصغير: "أن هذه الأوصاف مجتمعة قد تحققت لذى العديد من أقطاب الإسماعيلية، فكيف تجتمع أيضا في الغزالي؟ "[183] ومما زاد الطين بلة إقدام الأستاذ الصغير على التماس العذر للغزالي فانتقل بحجة الإسلام من السذاجة إلى البلادة عندما أعلن: " أن الغزالي سقط في كل ذلك من غير قصد منه ولا إرادة، بل تم ذلك بسبب إقباله بكل همه على التصوف؛ فلم يميز أحيانا كثيرة بين التأويل الشرعي والمعقول، والتأويل الغالي الذي هو قاسم مشترك بين التصوف الإشراقي والاتجاه الإسماعيلي. "[184].

لن نطيل على القارئ ولن نتعبه بسرد بعض الإشاعات التي اعتمد عليها الأستاذ للتدليل على أفكاره خصوصا عندما ذكر أن الإمام الغزالي كان يضن على الناس بكتاب " الجفر من علوم أهل البيت"[185]، فالمقال مليء بالمغالطات التاريخية،[186] والاستنتاجات المتسرعة، والعموميات التي كان على الكاتب

---

[182] نفس المصدر، ص 180.

[183] نفس المصدر، ص 188.

[184] نفس المصدر، ص 188.

[185] نفس المصدر، ص 183.

[186] سيما عندما يؤكد الكاتب ص 175، أنّ والد ابن العربي: " كان مبعوثا سياسيا من طرف يوسف بن تاشفين إلى الخليفة العبّاسي طلبا لتأييده ضدّ ملوك الطوائف." ومعلوم أنّ ابن العربي ووالده خرجا من أشبيلية كما يقول ابن العربي نفسه: " والأعداء يشمتون بنا ...

الاحتراز منها بل تفاديها. ثم إن هناك بعضا من الجرأة على تقرير بعض الأمور التي كان ينبغي التريث قبل الإدلاء بأي رأي إزاءها خصوصا ونحن نعلم أن السنة التي طبع فيها المقال، كانت متقدمة جدا، إذ لم تكن صدرت بعدُ بعض مؤلفات ابن العربي، هذا إذا استثنينا منها المفقود[187].

وأما المقال الثاني الذي كان لا بد لنا من الوقوف عليه فهو من تأليف الأستاذ محمد قبلي وعنوانه: "رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط، الخطاطة العامة وأرضية الاختلاف"[188]، وأول ما يصدك عن قراءة هذا المقال هو عجمة

مكرمين أو قل مكرهين، آمنين وإن شئت خائفين. وفررت منهم لمّا خفتهم. "انظر مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملّة، التي نشرها سعيد أعراب في كتابه مع القاضي ابن العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1407هـ/1987م، ص 191 و ص 193 وانظر أيضا القول الآخر لابن العربي: " ثم حالت هذه الحالة الخاصّة بالاستحالة العامّة عند دخول المرابطين بلدنا سنة أربع وثمانين وأربعمائة ..." وللمزيد من الفائدة انظر مقال الدكتور إحسان عبّاس، " الجانب السياسي من رحلة ابن العربي "، مجلة الأبحاث، 1963م، ص 219. ومقدّمة محققي الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى، ج 1، ص 20.

[187] ثم إنّ هناك بعضا من الأسئلة التي كان يجب على الكاتب طرحها قبل الخروج علينا بمثل هذه التقريرات، مثل متى كتب ابن العربي العواصم من القواصم؟ لماذا حمل معه من المشرق مؤلفات الإمام الغزالي إذا كان يعلم أنّه إشراقي؟ لماذا امتُحن ابن العربي بسبب امتلاكه لكتاب الإحياء؟ ما الذي دفعه إلى تغيير رأيه وإقحام الإمام الغزالي في زمرة الباطنيّة؟! إلى غير ذلك من الأسئلة التي كان لا بدّ من طرحها قبل الخوض في مثل هذا الموضوع الشائك. أضف إلى ذلك أنّ الباحث الذي ليس له استئناس بالمؤلفات القديمة، وبعلوم العرب التي وضّفت كسبل لفكّ رموز هذه النصوص، خير له أن يهتمّ بما يتقن لأن إسقاط المناهج والأفكار الحديثة والمصطلحات العريضة غير كاف لفكّ رموز الكتب التي نحن بصدد الحديث عنها.

[188] يقول المؤلف: " هيّئت النواة الأولى لهذا البحث المفصل وألقيت في إطار الندوة التي نظمت من طرف كلّ من كلية الآداب بالرباط، وجمعية البحث في الآداب والعلوم الإنسانية، من 25 إلى 28 شتنبر 1405هـ/1985، بمناسبة مرور تسعة قرون على وفاة أبي حامد الغزالي

قد علقت بقلم كاتبه حتى إنك لتقرأ العربية ببنية أو بأسلوب فرنسي مقلق. ونحن لا نقول هذا حطاً من قدر الكاتب، ولكن لأن هذه الظاهرة أصبحت متفشية[189] حتى إن بعض القراء الذين قد لا تكون لهم دراية باللغات الأجنبية التي اعتاد بعض الكتاب التعبير بها عن آراءهم وكتابة مقالاتهم أو كتبهم، قد يحسبون أن هذا الأسلوب أو هذا النوع من المقالات صعب المنال لقوة عبارة صاحبه، أو لعجزهم على استيعاب الأفكار التي أودعت في المقال أو الكتاب. فخذ مثلا هذه العبارات التي تجدها في هذا المقال وقسها بعيار النثر العربي واحكم بعد ذلك: " تشويش ملح "، " العموميات العفوية الشائعة "، " ... حول تاريخية الإحياء منذ دخوله المغرب وتعامله مع الحكام "، " لن نكتفي بالتنكيب عن هذه المباشرة المفقرة "[190]. فإذا كانت الصفحة الأولى تشتمل على هذا

". وقد نشر المقال في كتاب " مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط "، الدار البيضاء، دار توبقال، 1407هـ /1987م، ص 21- 51. وأعيد نشر نفس المقال دون تغيير في أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط :سلسلة ندوات ومناظرات، 1409هـ/ 1988م، ص 139- 171، وعليها اعتمدنا.

[189] ذلك ما لاحظناه خلال فترة الانتخابات التي جرت في إحدى البلدان العربية وكان من بين العبارات التي أثارت انتباهنا والتي تناقلتها وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمكتوبة عبارة: " لغة الخشب " وهي ترجمة حرفيّة لعبارة فرنسيّة أخذها أهل فرنسا عن اللغة البولونيّة. ولله درّ حافظ إبراهيم يوم قال يبكي مصير اللغة العربيّة:

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

انظر حافظ إبراهيم، ديوان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1407هـ/ 1987م، ص 255.

[190] رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط، ص 139.

العدد من الجمل التي تشوش على القارئ تلك السيولة التي ألفها في التآليف العربية الرصينة فما بالك بباقي صفحات المقال؟ ولا تغتر بقول أولئك الأساتذة: " هذه لغة العصر "، فإنهم يكتبون أيضا باللغات التي تأثروا بها، وقد تفاجأ بحرصهم على أن تكون كتاباتهم بتلك اللغات أرتل، وهم يفتخرون بذلك لأن دور النشر الغربية لن تسمح لأحد أن يحط من قدر لغاتها، ولها لجان مكونة من قراء مختصين لا يساومون في مسألة اللغة.

قلنا إذن إن لغة الكاتب كانت أول العراقيل التي عانينا منها من أجل الوقوف على محتوى المقال. والنقطة الثانية التي تضايقنا منها هي خلو المقال من أية إشارة أو عزو للبحوث أو الدراسات الكثيرة المحررة باللغة العربية. وكأن العرب بجامعاتهم ومعاهدهم ومجامعهم ومؤسساتهم العلمية لم يخرجوا للوجود ولو باحثا واحدا يستحق ببحثه أو دراسته أو تأليفه أن يُعتمد عليه أو أن يُشار إليه ولو بالنقد إن كان رأيه لا يستحق القبول. لم يذكر الكاتب من المؤرخين العرب المعاصرين إلا حسين مؤنس لأنه أخرج إلى الوجود الرسائل الرسمية المتعلقة بالفترة التاريخية المدروسة، والتي تنص على إحراق إحياء علوم الدين، ومحمد عبد الله عنان لأنه ترجم كتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين للمستشرق الألماني (يوسف أشباخ)، ولأنه أيضا من الأوائل الذين اهتموا بتاريخ الأندلس بصفة خاصة. وما عدا هذين الباحثين فلن تجد في هذا المقال إلا كتب المؤرخين القدامى التي لم يكن بوسع الكاتب الاستغناء عنها. لن يجد القارئ إذا إلا كتب ومقالات المستشرقين، وأغلبها كتبت منذ عقود وتجووزت أفكارها لما نشر من كتب ومخطوطات جديدة أضفت على الحقبة التاريخية المرابطية، والموحدية، والمرينية التي شغلت الكاتب، صبغة جديدة، وأتاحت لمن يهتم بتاريخ الغرب الإسلامي الفرصة للمزيد من الإيضاحات والتفسيرات على بعض الإشكاليات التي كانت تفتقر للوثائق للحسم فيها. لكن، وبالرغم من هذه الهفوات آثرنا قراءة المقال واتضح

لنا من خلاله أن كاتبه جعل من إحياء علوم الدين نصا "مقاوِما" كان إلى حد ما وراء زعزعة النظام، أو كما يسميه كاتب المقال " البلاط المرابطي ". ثم " إذا كان لقضية الاصطدام بين الحكم المرابطي و" الإحياء" من معنى أولي بارز، فالظاهر أنه يتلخص في اهتمام الحكم بالدفاع عن النفس من خلال الدفاع عن "الواقع" واهتمام "الإحياء" بالدفاع عن "الرعية" من خلال الدعوة إلى "الدين" "[191]. وبهذا أصبح إحياء علوم الدين مجانسا لبرنامج ثوري يهدد الحكام، ويحط من قدر أهل الدين بانتقاده للفقهاء، ودفاعه عن الرعية التي حلت محل الطبقة الكادحة في البيانات السياسية المعاصرة. كل هذا كان نتيجة قراءة أراد الكاتب من خلالها أن يخرج كما قال: " عن القراءة التقليدية " المنغلقة " التي دأبت على مباشرة الإحياء كمجرد نص ديدكتيكي، خطي، توقيفي، قد يحاكم تارة ويحتكم إليه تارة أخرى. " ويضيف الأستاذ قبلي " وأكثر من هذا، فإننا لن نكتفي بالتنكيب عن هذه المباشرة المفقرة وإنما سوف نعمل على فك الحصار حول النص المكتوب بالرجوع إلى وضعية الحاكم ومقابلتها بوضعية الإحياء كخطاب حركي وشحنة فاعلة متجددة بتجدد المخاطب وتطور الظروف "[192].

وهكذا اكتفى إحياء علوم الدين بنفسه حيث أصبح كتابا مقاوما ظهر إلى الوجود من العدم، فلم يكن له كاتب، ولم يكن هذا الكاتب يوما ما فقيها ولا إماما ولا حتى أصوليا، ولم يقرب علم الكلام، ولا حام حول حمى التصوف، ولم يرتع في رياض القرآن، بل ظهر هذا الكتاب إلى الوجود كبيان سياسي ينتقد الحكام ومن ساندهم من الفقهاء، ويأنبهم على ما جمعوه من أموال، ويثير من القضايا التي تكون غالبا مصدرا للثورات والانتفاضات التي تخبط خبط عشواء، ثم تعصف بالأنظمة فتهوي بها إلى حيث لا رجعة. نتيجة هذه القراءة، بسبب ما

---

[191] نفس المصدر، ص 168.

[192] نفس المصدر، ص 139- 140.

اعتمدت عليه من الإسقاطات التي تعبر عن رؤى وقناعات أفرزها القرن العشرين، أنها أفقدت إحياء علوم الدين تلك النفحة الروحية التي يستقي منها كل من العابد، والزاهد، والشيخ، والمريد، والعالم، والمربي ما يستنيرون به كلما اشتد عليهم ظلام الجهل والوهم والشهوات. وهذا الذي نستشفه من شهادات أبي بكر بن العربي الذي عاصر أبا حامد الغزالي[193]، وحاوره، ودرس على يديه، وأقام مدة عنده حتى تشبع بأفكاره، وارتوى من حياض علمه، وتلقى عنه جملة من كتبه، وحملها معه إلى بلده، وأداع منها ما شاء الله له أن يُداع[194]. ولهذه القرابة العلمية التي تربط الإمام الغزالي بابن العربي ميزتها الخاصة، إذ

---

[193] لا يهمّنا من هذا اللقاء إلّا الجانب الذي له صلة بكتاب الإملاء على مشكل الإحياء وذلك لأنّنا نعتقد أن حجّة الإسلام الغزالي أجاب في هذا الكتاب عن سؤالات الإمام أبي بكر بن العربي كما سنبيّن ذلك. أمّا بخصوص ردود وانتقادات ابن العربي لشيخه الغزالي فمعالجتها في هذه المقدمة سيخرج بنا عن الموضوع الذي نحن بصدد التمهيد له سيما وأن الحيّز لا يتسع لذلك. ولكننا، ولمجرّد المقارنة والاعتبار، نحيل القارئ على ما ذكره ابن العربي بخصوص ابن حزم شيخ أبيه في العلم وكيف تجرّأ عليه حين قال: " فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلّق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكلّ واستقل بنفسه وزعم أنّه إمام الأمّة يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب منهم، وخرج عن طريق المشبهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوامّ، واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلّا بالمسائل، فإذا طالبهم بالدليل كاعوا، فيتضاحك مع أصحابه منهم، وعضّدته الرئاسة بما كان عنده من أدب، وبشبه كان يوردها على الملوك، فكانوا يحملونه، ويحمونه، بما كان يلقي إليهم من شبه البدع والشرك..." وقد علّق الذهبي الذي ذكر هذا الكلام في "السير" بقوله: " قلت: لم ينصف القاضي أبو بكر - رحمه الله - شيخ أبيه في العلم، ولا تكلّم فيه بالقسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر (يقصد ابن العربي) فعلى عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمّد (يعني ابن حزم)، ولا يكاد ، فرحمهما الله وغفر لهما" انظر الذهبي، السير، ج 18، ص 189- 190.

[194] ابن خير الإشبيلي، فهرسة، ص 395، رقم: 1315.

تكشف لنا عن بعض الجوانب من حياة حجة الإسلام التي لولاها لظلت في طي الكتمان، خصوصا منها تلك التي تتعلق باعتزاله الناس، وتفرغه للعبادة وتربية النفس.

يقول أبو بكر بن العربي عند حديثه عن لقاءه بالإمام الغزالي في بغداد: " ورد علينا دانشمند[195] (يعني الغزالي) فنزل برباط أبي سعيد، بإزاء المدرسة النظامية، معرضا عن الدنيا، مقبلا على الله تعالى، فمشينا إليه، وعرضنا أمنيتنا عليه، وقلت له: " أنت ضالتنا التي كنا ننشد، وإمامنا الذي به نسترشد ". فلقينا لقاء المعرفة، وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة، وتحققنا أن الذي نقل إلينا من أن الخبر عن الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم... فإنه كان رجلا، إذا عاينته، رأيت جمالا ظاهرا، وإذا عالمته وجدت بحرا زاخرا، وكلما اختبرت احتبرت، فقصدت رباطه، ولزمت بساطه، واغتنمت خلوته ونشاطه، وكأنما فرغ لي، لأبلغ منه أملي، وأباح لي مكانه، فكنت ألقاه في الصباح والمساء، والظهيرة والعشاء، كان في بزته أو بذلته، وأنا مستقل في السؤال، عالم حيث تؤكل كتف الاستدلال. وألفيته حفيا بي في التعليم، وفيا بعهدة التكريم... ثم شرعت في القراءة عليه والسماع، والمباحثة والتتبع للمشكلات بالكشف عن خباياها، والدخول إلى زواياها، واشتفاف رواياها، واستطعمته التحقيق، وباحثته عنه خالصاً من غير مشارك، واستقصيته عما كان إمام الحرمين[196] رحمه الله يحوم في كتبه عليه، ويشير في أثناء كلامه إليه، فواساني مواساةَ الوالد، وآساني بما

---

[195] لقب بالفارسية مركب من " دانش " التي تعني المعرفة، و" مند " ومعناها مهتمّ. وجمع الكلمتين يستعمل كلقب لنعت كبير العلماء أو الحكماء.

[196] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمّد بن عبد الله بن حيوة الجويني النيسابوري أبو المعالي إمام الحرمين (419 - 478هـ/1028 - 1085م) فقيه شافعي وأحد أبرز علماء السنة، من أساتذة الإمام الغزالي الذين تأثّر بهم. الذهبي، سير، ج 18، ص 468- 477. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، ص 165- 222، ترجمة: 475.

لم تنله قط الجماعة ولا الواحد. فلما طلع لي ذلك النور، وانجلى عني ما كان يغشاني من الديجور. قلت: "هذا مطلوبي حقا، هذا، بأمانة الله، منتهى السالكين، وغاية الطالبين للعلم المبين، إني تارك لما تطلبون، ونابذ ما كنتم تقولون. " وقد علم هذا الإِمام أني من السالكين في سبيل المهتدين، فَسَددَنِي إلى سوائها، وأوجد لي معلوم دليلها، وأرشدني إلى لَقَم ظاهرها وتأويلها، وليس التحصيل بطول الصحبة، وإنما هو فضل من الله وموهبة..."[197].

لا يدل هذا النص الذي أوردناه مختصرا على علاقة ابن العربي العلمية بالإمام الغزالي فحسب، بل يمكن اعتباره أيضا حجة على أن صاحب *الإحياء* قد خص طالب العلم الأندلسي بما لم يحض به ربما باقي طلبته ، كما يظهر من خلال ما جاء في "ترتيب الرحلة". كان ابن العربي سباقا إلى السؤال، ملحاحا، مصرا على معرفة الشاذة والفاذة، وهذا طبعه كما نستشفه من باقي ما ذكر من مراحل طلبه للعلم بالمشرق[198]. ولقد كان طواقا لمسائل الخلاف، متتبعا لها، حريصا على تقييدها ونقلها، لهذا لا نستبعد أن يكون ابن العربي هو السائل في كتاب الإملاء على مشكل الإحياء، وأنه لما بلغ الإمام الغزالي ما يقال عن كتابه

---

[197] ابن العربي، قانون التأويل، تحقيق محمّد السليماني، بيروت، مؤسسة عُلوم القرآن، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، 1406هـ/1986م، ص 450- 452. وهو نصّ مقتبس من مختصر ترتيب الرحلة الذي أعاد ابن العربي كتابته بعد أن ضاع منه النصّ الأصلي، وهو يحكي فيه كيفية بدايته لطلب العلم، ورحلته إلى المشرق، ولقاءه العلماء إلخ.

[198] انظر على سبيل المثال، ص 447- 449 من قانون التأويل. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الأسلوب الذي كتب به ابن العربي شهادته يميل فيه كثيرا إلى طريقة الأدباء التي تحرص على تحسين العبارة وتنميقها وتزويقها، وعلى تطويل النفس عندما تجد الكلمة مطيعة، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّنا نشكّ في شهادة ابن العربي وما نقله لنا ممّا رآه وعاينه من أمور بالمشرق أو المغرب، ولكنّنا ندعوا إلى شيء من التحفظ عندما نطالع هذه الفقرات التي ينقل فيها ما عاينه في رحلته، أو ما ذكره من انتقادات ومآخذ استهدف بها أفكار شيخه الغزالي وغيره.

الإحياء، جلس يرد على منتقديه، ويفند ما ادعوه، والطالب المتعطش لهذه الردود يكتب من إملاء شيخه. يقول الغزالي مفتتحا كتاب الإملاء: "سألت، يَسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها، وقرب لك مقامات الولاية تحل معانيها، عن بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء، مما أشكل على من حُجِب فهمه، وقصر علمه، ولم يفز بشيء من الحظوظ المَلَكِية قَدَحُه وسهمه، وأَظْهَرْتَ التحَزُنَ لما شاش به شركاء الطغام، وأمثال الأنعام، وأتباع العوام، وسفهاء الأحلام، وعار أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته، وأفتوا بمجرد الهوى، على غير بصيرة، باطراحه ومنابذته، ونسبوا مُمْليه إلى ضلال وإضلال، ونبزوا قراءه ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال."
وليست هذه الجوابات هي الأولى التي صدرت عن الغزالي، فلقد طرح الطالبُ طيلة مكوثه بين يدي شيخه عدة مرات أسئلة كثيرة، ودون إجابات حجة الإسلام، فوصلتنا منها بصفة غير مباشرة بعض الردود التي تجدها في مواضع مختلفة من كتب ابن العربي، كالعواصم من القواصم[199] وغيره[200]، أو بصفة مباشرة كالتي نشرت تحت عنوان " أجوبة الغزالي عن أسئلة ابن العربي "[201].
ونحن نعتقد أن كتاب الإملاء كان جوابا على أسئلة طرحها ابن العربي على شيخه حجة الإسلام، عندما قامت تلك الضجة في العراق[202] حول بعض محتويات إحياء علوم الدين. وذلك لقول ابن العربي: " وسمعت كتابه الذي سماه *بالإحياء لعلوم الدين*، فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته، المستكشف

---

[199] أنظر على سبيل المثال العواصم من القواصم، ج 2، ص 93.

[200] ذكر الونشريسي بعضا من هذه الأسئلة في المعيار، انظر على سبيل المثال، ج 11، ص 18 وص 163.

[201] تحقيق محمّد عبدو، بيروت، دار الكتب العلمية، 1433هـ/2012م.

[202] ابن العربي، الأمد الأقصى، ج 2، ص 394.

عن طريقته، لأقف من سر تلك الرموز، التي أومأ إليها في كتبه، على موقف تام المعرفة، وطفق يجاوبني، مجاوبة الناهج لطريق التسديد للمريد لعظيم مرتبته، وسمو منزلته، وما ثبت له في النفوس من تكرمته "[203].

ثم إنك تجد ابن العربي، رغم ما بينه له شيخه الغزالي يعيد النظر في تلك الأجوبة عندما رجع إلى بلده، وتقلد المناصب، وداخل السلطان[204]، فيرد بعضا من هذه الإجابات والتفاسير، بل يعلن مخالفتها أو رفضها موافقا بذلك الرأي السائد آنذاك، وهذا قد بيناه عندما تعرضنا لمسألة حرق إحياء علوم الدين بالغرب الإسلامي.

يبقى أن نضيف أن علاقة ابن العربي بكتاب الإملاء على مشكل الإحياء قد يُنظر إليها من زاوية أخرى لو وقع بأيدينا كتاب "مراقي الزلف" الذي أُحيل عليه في الإملاء، خاصة إذا علمنا أن المؤرخين ينسبون للغزالي ولابن العربي كليهما كتابا بنفس العنوان. جاء في الإملاء بخصوص مسألة وجوب الإيمان مع عدم المعرفة المشروطة عند آخرين: " ومن المتكلمين أيضاً من أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك. وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع، وإنما غرضنا تبعيد ما أشاعه في الإحياء أهل الغلول والإغلاء، فلا نفتح مثل هذا الباب، وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقي الزلف ما يغني فيها بإذن الله عز وجل ". ونحن نعلم أن "مراقي الزلف" لم ينسبه إلى الغزالي إلا المتأخرون من أصحاب الطبقات وكتب التاريخ كصاحب

---

[203] ابن العربي، العواصم من القواصم، ص 24.

[204] ابن العربي، قانون التأويل، ص 657.

المطالب العلية في مناقب الشافعية[205]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[206]، وعبد الرحمن بدوي الذي ذكره، معولا على المطالب العلية، في القسم السادس من كتابه مؤلفات الغزالي، ضمن الكتب المجهولة الهوية[207]. ونحن لا نعرف عن هذا الكتاب المنسوب للغزالي شيئا، وكل من أشار إليه من المتأخرين كان اعتماده في ذلك على ما ذكره شمس الدين الحسيني الواسطي (توفي سنة 776هـ/1374م) في مطالبه. يظل إذن "مراقي الزلف" المنسوب لحجة الإسلام كتابا مجهول المحتوى كما قلنا.

ومما يزيد المسألة تعقيدا أن لابن العربي، كما سبق أن ذكرنا، كتابا يحمل نفس العنوان[208]، ذكره صاحب *نفح الطيب*،[209] ومؤلف *سلوة الأنفاس*[210] وغيرهما. ومن حسن الحظ أن بعض العلماء احتفظوا لنا بفقرات معدودة اقتبسوها من

---

[205] نشر عبد الأمير الأعسم الترجمة التي خصّصها الواسطي للغزالي في " الطبقات العليّة في مناقب الشافعيّة " كملحق لكتابه " الفيلسوف الغزالي إعادة تقويم لمنحنى تطوّره الروحي "، القاهرة، دار قباء، طبعة، 1419هـ/ 1998م. ص 167- 194. وجاء ذكر كتاب مراقي الزلف في ص 183. وتجد هذه الترجمة أيضا عند عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص 471- 477.

[206]حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول، 1360هـ/1941م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 2، ص 1652.

[207] عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص 401، رقم 302.

[208] وعنوانه الكامل "*كتاب مراقي الزلف فيما يقرب إلى الله تعالى وما يزلف* ".

[209]*نفح الطيب*، ج 2، ص 35.

[210] الشريف أبو عبد الله محمّد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، تحقيق عبد الله الكامل الكتّاني، وحمزة بن محمّد الطيّب الكتّاني ومحمّد حمزة بن عليّ الكتّاني، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1425هـ/ 2004م، ج 3، ص 246.

هذا الكتاب، أي *مراقي الزلف* لابن العربي[211]، وهي وإن لم تمكنا من الحكم على مضمون هذا المصنف أو الوقوف على محتواه، فإنها كافية للبرهنة على أن هذا الكتاب كان له وجود حقيقي، وأنه من مؤلفات الفقيه المالكي أبي بكر ابن العربي. ثم هذا لا يعني أن المؤرخين أخطأوا في نسبة الكتاب بين الغزالي وابن العربي، وليس بالإمكان مساندة هذا الرأي وذلك لسبب بسيط يرجع إلى أن ابن العربي كان من عادته تقليد الغزالي في بعض عناوين كتبه، وقد كان هذا شأنه في *قانون التأويل*[212]، *والانصاف في مسائل الخلاف*[213] وهذا التأثر بالشيخ حتى في العناوين يزيد من صعوبة التحري والتحقق لمن أراد نسبة الكتب لأصحابها سيما إذا لم نعثر لها على أثر[214].

---

[211]انظر على سبيل المثال ما نقله منه ابن الحاج العبدري، أبو عبد الله محمّد الفاسي، في " *مدخل الشرع* "، القاهرة، دار نشر التراث، ج 1 ص 66- و119؛ ج 2 ص 123 و125؛ ج 4، ص 23 و25، و 294- 295.

[212]ألّف الغزالي كتابا يحمل عنوان *قانون التأويل*، مؤلفات الغزالي، ص 168

[213] جاء ذكره في نفح الطيب، ج 2، ص 36.

[214] اكتفينا في هذه المقدّمة بعرض بعض الانتقادات التي كانت موجّهة ضدّ كتاب *إحياء علوم الدين*، ولم يكن قصدنا التصدّي بالبحث والتنقيب عن كلّ من أشار لهذا الكتاب من قريب أو بعيد، فالناقمون على الغزالي كثيرون، ولكننا حرصنا في هذه المقدّمة على ألّا نتجاوز حدود القرن السابع الهجري، فتوقّفنا عند ابن الجوزي ولم نتعدّه لأنّ ذلك قد يكون، إن شاء الله تعالى، موضوع كتاب خاصّ نستطيع من خلاله إبراز الدور الذي لعبته هذه المصنَّف في إثراء الفكر العربي والإسلامي وتجديده من عهد حجّة الإسلام إلى يومنا هذا.

طبعة المنهاج لكتاب الإملاء على مشكل الإحياء.

لو دخلت أي مكتبة، وطُلب منك اختيار إحدى طبعات إحياء علوم الدين لاخترت طبعة دار المنهاج لأنها هي الأفضل من حيث الشكل. فمما اتسمت به هذه الطبعة جودة الورق، والإطار المزخرف الرائع، وحجم الكلمة المتوسط والمريح جداً في القراءة، زد على ذلك أن معظم الكتاب مشكول. إلا أنه على القارئ ألا يغتر بالشكل ولا بالعدد الكبير من المخطوطات والمطبوعات التي ذكرت في مقدمة الكتاب، سيما إذا علمت أنها لم تستغل لتحقيق الكتاب، ولا للمقارنة بين الطبعة الجديدة والطبعات الأخرى السابقة. وإذا استثنينا العمل الذي قامت به دار المنهاج لجمع المخطوطات فإننا نقول بخصوص هذا الكم الهائل من النسخ إنما رصعت به هذه الطبعة ولم يصلح لشيء سوى لتزيين الكتاب، وتشويق القارئ وإغراءه، وإدخال طابع الجدية وصفة العلمية على هذا الإصدار. والقارئ النبيه يتمكن من إدراك ذلك للوهلة الأولى، لأنه أدنى الشروط الواجب توفرها في المحقق افتقدتها اللجنة العلمية التي ادعت أنها: " عقدت العزم على إعادة نشر بعض المراجع العلمية التي هي بحاجة ملحة إلى العناية العلمية تحقيقا، وتعليقا، وجودة طبع وإخراج"[215]. ولقد نجحت الدار

[215] إحياء علوم الدين، طبعة المنهاج، جزء المقدّمات، ص 99.

في الوفاء بالشق الثاني من المهمة التي أخذت على عاتقها، ونقصد بذلك جودة الطبع، لكنها فشلت في الشق الأهم والذي يتوق إليه مئات الملايين من قراء الإمام الغزالي، اللهم إلا إذا كان لهذه اللجنة العلمية تصور أو تعريف خاص بها لمفهوم التحقيق العلمي. أضف إلى ذلك أن التعاليق التي رافقت الطبعة، وسيتبين القارئ ذلك عندما يطلع على تحقيقنا لكتاب الإملاء، لم تكن لتشفي الغليل، وتطفأ الظمأ، وتلبي الرغبة التي طالما انتظرناها واشتاقت نفوسنا إليها، ألا وهي طبع إحياء علوم الدين طبعة علمية بالمعنى المتعارف عليه لدى المختصين.

ثلاثون محققا أو يزيدون[216] اجتمعوا على الإحياء وما يدور حوله من كتب[217]، وكانت النتيجة ما يزيد على ثلاثين أسلوبا في ضبط النص والتعليق عليه، مما يدل على أن المشارب كانت متعددة. وبالرغم من أن قواعد التحقيق المعهودة لا تكاد تختلف إلا في بعض الجزئيات المرتبطة غالبا بالشكل، فإن الحلة التي خرج بها الإحياء والكتب التي رافقته، رغم أنها قشيبة في الظاهر، فإنها لم تكن في الباطن سليمة ولا على المنهاج الذي ألف الباحثون تحقيق ونشر الكتب على منواله. ما يزيد على ثلاثين محققا لم يستطيعوا الوقوف على استشهادات الإمام الغزالي في الإحياء، ولا على الموارد التي نهل منها حجة الإسلام، ولم يتمكنوا في غالب الأحيان حتى على استنتاج ما ورد من الآيات بصفة ضمنية، ولا حتى على الأحاديث أو الأمثال أو غيرها من الأقوال المأثورة.

ومن الغريب جدا أن المخطوطات قد جمعت ولا تكاد تعثر في كتاب الإحياء المطبوع بدار المنهاج على هامش يحيلك ولو على واحد من المخطوطات

---

[216] إحياء علوم الدين، طبعة المنهاج، جزء المقدّمات، ص 102.

[217] نقصد بذلك كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروس، والإملاء على مشكل الإحياء للغزالي.

التي وصفت في جزء المقدمات، فلماذا جمعت إذن؟ وما دور المخطوط إذا لم يكن الأساس في ضبط الكتاب تحقيقه ونشره؟

تلك إذا بعض الملاحظات التي كان لا بد من إبداءها قبل الخوض في تقديم كتاب الإملاء على مشكل الإحياء. ولقد أقدمت طبعت المنهاج على طبع هذا الكتاب كملحق لإحياء علوم الدين، وحرصت أيضا على جمع العديد من المخطوطات لهذا الكتاب، ولم تشر إلى طبعاته السابقة ولم تلق لها بالا، ولم تعر أي اهتمام لما حصل في الطبعات السابقة من تقديم وتأخير وحذف وإقحام. ثلاثون محققا ولم يتفرغ فرد واحد منهم لقراءة ولو طبعة واحدة سابقة حتى يتبين له أن ما تداوله الناس من طبعات الإملاء من قبل كان مشوها بسبب ما طرأ على النص من اضطراب كما سنبينه. ادعت طبعت المنهاج أنها اعتمدت على سبع نسخ من كتاب الإملاء .... ولكن فاتها أن تذكر بأن المخطوطات التي قام المكلفون بوصفها وتصوير ما يجب تصويره منها لتقديم نماذج منها للقارئ، لم يُعتمد عليها لإخراج وتحقيق النص، فجاء ذكر المخطوطات ووصفها كتمرين أبانت به طبعة المنهاج على مدى حرصها وقدرتها على اقتناء المخطوطات أينما كانت ومهما كلف ذلك من ثمن، مما يدفعنا إلى التساؤل مرة أخرى عن الفائدة من جمع النسخ المخطوطة للكتاب إذا لم تستغل لضبط وتحقيق النص؟ وبالرغم من هذا العدد الهائل من المخطوطات والحشد الكبير من المحققين، فإن الطبعة التي كانت نتيجة جهدهم لا تبرهن على أن هذا الحشد من المخطوطات استغل استغلالا علميا، وأنهم قرأوها وقاموا بمقابلة بعضها ببعض لإخراج النص وتقديمه للقراء.

على عكس دار المنهاج لم أحصل رغم ما بدلت من جهد إلا على ثلاث نسخ مصورة من كتاب الإملاء، ومع ذلك فلقد بينت من خلال المقابلة التي قمت بها، معتمدا على هذه الصور وعلى بعض طبعات الإملاء السابقة، أن هناك اختلافات عديدة بين النسخ من جهة، ثم بين المخطوطة التي اتخذتها كأصل

لإخراج الكتاب وباقي طبعات كتاب الإملاء، هذه الاختلافات التي كان حصيلتها هوامش نرجو أن تكون نافعة. وللوقوف على ما نقوله فما على القارئ إلا أن يحصي الهوامش المتعلقة بضبط النص والمقارنة بين النسخ في طبعة المنهاج ليتأكد أنها لم تتجاوز 78 هامشا، ولذلك لن يجد القارئ مثلا أن المخطوط رقم (3)، والمرموز لها في طبعة المنهاج بحرف (ت)، سقطت منه عدة أوراق، أو أنه مليء بالأخطاء والتصحيفات إلخ. ثم إنك تفاجأ أحيانا ببعض التغييرات التي أدخلتها طبعت المنهاج على النص دون أي تعليل ولا تبرير. ولكيلا نطيل على القارئ نحيله على الهوامش التي اجتهدنا على وضعها للتعليق على النص المحقق حتى يتسنى له الوقوف على ملاحظات أخرى يمكن ضمها لما ذكرناه هنا.

عنوان الكتاب

جاء ذكر كتاب الإملاء في المصادر التي اعتمدنا عليها بعناوين مختلفة وهي:

1. الإملاء في إشكالات الإحياء[218].
2. الإملاء في مشكلات الإحياء[219].

---

[218] تحت هذا العنوان نشر كتاب الإملاء بهامش إحياء علوم الدين في كثير من الدول الإسلاميّة، وكذلك على هامش كتاب إتحاف السادة المتّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لمرتضى الزبيدي، القاهرة، المطبعة الميمنية، 1311هـ/ 1891م، ج 1، من ص 41 إلخ.

[219] هكذا ذكره ناشرو كتاب الإحياء في ختام كتاب الإملاء.

3. الإملاء على مشكل الإحياء[220].

4. الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة[221].

5. الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبكتة[222].

6. الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المنكتة[223]

---

[220]انظر كشف الظنون، ج 1، ص 169. وإسماعيل باشا البغدادي في هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين، إستانبول، 1375هـ/1955م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د- ت، ج 2، 79. الزبيدي، إتحاف السادة المتّقين، ج 1، من ص 41. عليّ رضا قرّه بلّوط وأحمد طوران قرّه بلّوط، معجم التاريخ التراث [كذا] الإسلامي في مكتبات العالم، قيصري، دار العقبة، 1422هـ/2001، ج 1، ص 3185، رقم 2، حيث ذكر المؤلّفان أنّ هناك نسخة منه في مدرسة غرب همدان تحت رقم 2/10121.

[221]ذكر المرتضى دفاعاً كتبه الغزالي بعنوان " الإملاء على مشكل الإحياء "، وفيه أجاب عن بعض ما اعترض عليه في كتابه؛ وقال إنّه يسمّى أيضاً " الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة ". وقد ورد بعنوان: " الإملاء على كشف مشكلات الإحياء "، وطبع مع كتاب " إتحاف السادة " للمرتضى، ج 1، من ص 41، وذكره مختصرا هكذا " الأجوبة المسكتة " ط 1، ص 33، ووهم بدوي فظنّه عنوانا آخر لهذا الكتاب. عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص 323.

[222] جاء هذا العنوان في مخطوطات: عليّ قلش بإستانبول رقم 1026؛ ودار الكتب المصرية الطبعة 1 ص268؛ والظاهرية عام 7557. نقلا عن عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص 113.

[223] بهذا الاسم ذكره ابن أبي قصيبة الغزالي، كما سنرى فيما بعد، في كتابه الموسوم ب: " تنويه العاقل بتنبيه الغافل وتذكرة المؤمن وتبصرة الموقن " ورقة 66/ب.

7. الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المشكلة[224].

8. الإملاء على كشف مشكلات الإحياء[225].

9. كتاب الإملاء على كشف مشكلة الإحياء[226].

10. الانتصار لما في الإحياء من الأسرار[227].

11. الانتصار لما وقع في الإحياء من الأسرار[228].

---

[224] توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية بدمشق بهذا العنوان مسجّلة تحت رقم 7714، اسم الناسخ: أحمد بن أبي بكر الأزهري، عدد أوراقها 44 ورقة، 21س؛ 21سم،5×15سم،5. نقلا عن عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص 323.

[225] في مخطوطات برلين برقم 1714، 9، 42؛ والديوان الهندي 1235؛ وسراى برقم 7 b - 72 a (A III 1419).

[226] هكذا ذكره مؤلّفا معجم التاريخ التراث في ج 1، ص 3193، رقم 108، وأضافا أنّه توجد نسخة منه ترجع إلى سنة 696هـ/1297م في مكتبة فيض الله أفندي، 2123، ورقة 55- 75 إلّا إنهما أشارا إلى نسخة أخرى توجد في تشستر بيتي، غير أن هذه المخطوطة التي نملك نسخة منها واعتمدنا عليها في تحقيق نصّ الإملاء، قد عنونها المشرفون على مكتبة تشستر بيتي ب " الإملاء على كشف مشكلات الإحياء " وهو تصحيف بما أن كاتب النسخة خطّ بيده عنوان الكتاب فجاء كالتالي: " الإملاء على مشكل الإحياء ".

[227] بهذا العنوان ذكره السيوطي في الحاوي للفتاوي ونقل منه الفقرة الأولى فجاءت مطابقة للأصل. الحاوي للفتاوي، القاهرة، 1352هـ/1933م، وأعيد طبع الفتاوى مصورة ببيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م، ج 1، ص 266 - 267.

[228] علي رضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط، معجم التاريخ، ج 1، ص 3186، رقم 20، وذكر المؤلّفان نسخة له في خزانة القرويين بفاس، تحت رقم 6/723، ورقة، 133- 154.

12. الانتصار لما وقع في الأجناس من الأسرار[229].

وأما المخطوطات المعتمد عليها لإخراج هذا النص وتحقيقه فقد اتفق اثنان منها في العنوان فكان " الإملاء على مشكل الإحياء " وتفرد واحد فكان عنوانه " الانتصار لما وقع في الإحياء من الأسرار "، وبذلك يكون مجموع هذه العناوين يدور حول محاور ثلاثة هي الأسئلة أو الإشكالات، ثم الأجوبة التي أملاها الغزالي ردا على انتقادات: " من حُجِبَ فهمه، وقَصُرَ علمه، ولم يفز بشيء من الحظوظ المَلَكِية قَدَحُه وسهمه "، وختامها " الانتصار" الذي يترجم ردة فعل تجعل من البراهين المعتمدة في الرد سلاحا يكسر شوكة من تجرأ على انتقاد الإحياء. ونحن لا نستبعد أن يذكر هذا المؤلف بأسماء وعناوين أخرى[230] كما هو شأن الكثير من كتب التراث الإسلامي. ولقد نسب صاحب هدية العارفين[231] كتابا عنوانه " الإملاء عن مشكلات الإحياء للغزالي [كذا] " لجمال الدين محمد بن عبد الله العيدروس باعلوي اليمني (935 - 1005هـ/1529-1597م)[232] ولعله زلة قلم في النسبة إذ نسب الكثير من المؤلفات لغير أصحابها.

---

[229] هكذا أورده صاحب كشف الظنون، ج 1، ص 172.

[230] ربّما يصدق هذا القول على المخطوط الموجود بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 7060، ورقة 139، وعنوانه " تعليق على إحياء علوم الدين للغزالي ". انظر عليّ رضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، معجم التاريخ، ج 1، ص 3189، رقم 41.

[231]إسماعيل باشا البغدادي، هديّة العارفين، ج 2، ص 273.

[232]ولد ونشأ وتوفي في مدينة (تريم)، من بلاد حضرموت، وفيها دفن. عالم، فاضل، متصوّف. اشتهر بالزهد والصلاح فكان مبجّلاً عند عامّة الناس وخاصّتهم. من مؤلفاته " إيضاح أسرار علوم المقربين "، في التصوّف. انظر المشهور عبد الرحمن بن محمّد بن حسين، كتاب شمس الظهيرة في نسب أهل البيت، تحقيق محمّد ضياء شهاب، جدة، ج 1، ص 105، هامش: 1. كحّالة، معجم المؤلّفين، ج 10، ص 220.

الطبعات المتداولة من كتاب الإملاء:

لم نقف رغم الجهد الذي بذلناه على الأسباب التي دفعت بالناشرين الأوائل لكتاب إحياء علوم الدين بأن جعلوا طبعة هذا الكتاب مرتبطة بكتابين اثنين لا تكاد طبعة من طبعات الإحياء تخلو منهما[233] وهما: " الإملاء على مشكل الإحياء للغزالي "، و " تعريف الأحياء بفضائل الإحياء " للشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس[234]. قد يكون السبب الذي دفع بالمشرفين على دور الطباعة هو استغلال هوامش الكتب لنشر مؤلفات أخرى اقتصاديا بما أن ثمن الورق كان باهظا[235]، وقد يكون أيضا لسبب آخر ألا وهو الرغبة في نشر العلم.

---

[233] من المؤلّفات الأخرى التي تنشر عادة كحاشية لإحياء علوم الدين كتاب " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار " لعبد الرحيم بن زين العراقي، وكتاب " عوارف المعارف " لأبي حفص عمر السهروردي (ت 632هـ/1234م).

[234] ، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس الملقّب بمحيي الدين، الشيخ الإمام أبو بكر اليمني الحضرموتي الهندي أحد أكابر علماء حضرموت (978-1038هـ/ 1570- 1628). انظر المحبّي، محمّد أمين بن فضل الله بن محبّ الدين بن محمّد، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، 1284هـ/ ج 2، ص 440- 442. كامل سلمان الجبّوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م، ج 4، ص 11- 12.

[235] هناك ملاحظة مفيدة وضعها ناشر كتاب إتحاف السادة المتقين نوردها تتميما للفائدة: "حيث تحقّق أنّ الشارح (يعني الزبيدي) لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه، فتتميما للفائدة وضعنا الإحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أوّل الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء " للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدّس الله سرّه ... ". إتحاف السادة المتقين، ج 1، الصفحة الأولى من الكتاب.

لكن اللافت للانتباه في هذه الطبعات هو كثرة أغلاطها[236] وسقوط كثير من الكلمات وبعض الفقرات، وخير دليل على ذلك كثرة الهوامش التي تطلبته منا مقارنة النسخ المطبوعة[237] مع باقي النسخ المخطوطة حيث استلزم منا ذلك 688 هامش في حين أفردنا لنسخة مكتبة الملك عبد العزيز 465 هامش، الأسكوريال 270 هامش، ونسخة تشستر بيتي 143هامش، وطبعة المنهاج 236. وإطلالة سريعة على فهري كتاب الإملاء المطبوع تمكن القارئ من الاطلاع على ذلك التداخل الذي حصل بين فصول الكتاب فكانت نتيجته كتابا آخر. ففصل " إفشاء سر الربوبية كفر" أقحم بفصول متعددة تبدأ بفصل " معنى أن الله خلق آدم على صورته "؛ وفصل ما معنى " للإلهية سر لو انكشف لبطلت النبوة " لم يكتمل حتى أدخل فيه قسم من فصل آخر هو: " معنى ليس في

---

[236] من المؤسف جدا أن تجد عددا من دور النشر الحديثة تعيد طبع هذه الكتب كملاحق لإحياء علوم الدين، ولكن بنفس الأخطاء، بالرغم من أنّها تدّعي في مقدّماتها، أو على الواجهة الأولى للكتاب أنّها " طبعة مصحّحة ومنقّحة ". والدليل القاطع أنّ هذا الادّعاء غير صحيح هو ما أشرنا إليه عند تحقيقنا لكتاب الإملاء بخصوص الخلط الذي وقع بين الأوراق، فتداخلت فصول الكتاب بعضها ببعض، بل ضمّت بعض فقرات إحياء علوم الدين لكتاب الإملاء، وظلّ الناشرون يطبعون الكتاب مشوّها لمدّة تزيد على قرن ونصف من الزمن. بالرغم من أنّ المستشرق ماكدونالد قد نبّه على ذلك في مقال له خصّصه للحديث عن حياة الغزالي وعقيدته وآراء الكلامية وذلك سنة 1899م. انظر:

MacDonald, D.B., “The Life of al- Ghazzali, with Especial Reference to his Religious Experiences and Opinions”, in JAOS, 20, 1899. pp 74- 75, n: 3.

[237] طبعة دار القلم، بيروت ص 15- 44.

الإمكان أبدع من صورة هذا العلم ". فحدث تقديم وتأخير وإدغام، ورتب الكتاب على غير النسق والطراز الذي وضعه عليه صاحبه.[238]

ثم لما اتفقت النسخ جميعها، المطبوعة منها والمخطوطة، بشأن بداية كتاب الإملاء واختلفت خواتيمها، ارتأينا أن نذكر عند عرض مواصفات كل نسخة خاتمتها، فكانت نهاية المطبوع سواء طبع في فاس، أو القاهرة، أو إستانبول، أو في أقاصي آسيا، على الشكل التالي:

" انتهى الجواب عما سألت عنه، وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام، ونسأل الله تعالى المباعد بين حيلات [كذا] قلوب البشر، أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومراتب الغين [كذا]، فبيده مجاري المقدورات، وهو إله من ظهر وغير [كذا]، وإليه يرجع من آمن وكفر، ومجازي الخلائق بنعيم أو سقر، والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافي الضرر، وعلى آله السادات الغرر، وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

تم كتاب الإملاء في [كذا] مشكلات [كذا] الإحياء ".

وقد رمزنا لهذه الطبعات المختلفة في ضبطنا وتحقيقنا للنصوص ب (مط).

---

[238] "حُكي أنّ الجاحظ صنّف كتابا وبوّبه أبوابا، فحذف منه بعض أهل عصره أشياء، فأحضره وقال له: " يا هذا، إنّ المصنّف كالمصوّر، وإنّي قد صوّرت في تصنيفي صورة كانت لها عينان فعورتهما، عور الله عينيه [كذا]، وكان لها أذنان فجدعتهما، جدع الله أذنيه [كذا]، وكانت لها يدان فقطعتهما، قطع الله يديه [كذا]... حتى عدّ أعضاء الصورة، فخجل الرجل وتاب على يديه، فاعلم." نقلا عن القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، تحقيق عبد المولى هاجل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1442هـ/ 2020م، ص 406.

مخطوط تشستر بيتي:

نسخة مصورة تقع ضمن مجموع مجموع يحوي أربع مخطوطات (99 ورقة إذا استثنينا الورقة الأخيرة من الكتاب الثاني من المجموع (ورقة 71)، والتي صُورت مرتين، والورقة 75 كذلك) ويحمل هذا المجموع رقم: 4259[239]، وجاءت المخطوطات على الترتيب التالي:

1- الإملاء على مشكل الإحياء (1- 55).
2- تنويه العاقل بتنبيه الغافل، وتذكرة المؤمن وتبصرة الموقن. (59- 71) إذا استثنينا الورقة 71 التي تم تصويرها مرتين كما ذكرنا.
3- عرف روح الفلاح، وعرف روح الصلاح. (74- 93). وقد تم تصوير الورقة 75 مرتين أيضا.
4- نشر عرف الهدى المحمدي وبشر الهدى الأحمدي. (94-101).

عدد أوراق نسخة كتاب الإملاء 55 ورقة، وعدد سطور الورقة في كل صفحة 19 سطرا، وعدد كلمات السطر الواحد تراوح بين 8 و10 كلمات. إلا أن هذا الوصف لا ينطبق على الكتب الأخرى التي ضمها المجموع، لحرص الناسخ على تحسين شكل نسخة الإملاء بينما كان متسرعا في نسخ الكتب الأخرى مما أثر في شكل النص.

نجد على الورقة الأولى من المجموع عنوان: " كتاب الإملاء على مشكل الإحياء، تصنيف الشيخ الإمام حجة الإسلام الغزالي [كذا] قدس الله روحه ونور ضريحه آمين ".

---

[239] Arberry, A.J. The Chester Beatty Library, A Handlist of the Arabic Manuscripts, Dublin, 1955- 1964, vol 5, p80- 81.

مجلة المورد العراقية، مجلد 7، عدد 1، 1398هـ/ 1978م، ص 196- 197.

وعلى يسار هذا العنوان تملك هذا نصه: " تملكه من فضل الله ذي اللطف الخفي محمد بن إبراهيم الغزي الحنفي بالابتياع الشرعي في ست وثمانين و... ".

ويتلو هذا التملك ذكر عناوين الكتب التي يضمها المجموع مستهلة بعبارة " فهرست هذا الكتاب وما يضمه من الكتب ".

وهناك تملكان آخران أحدهما أعلى الورقة لم نتبين منه إلا ما يلي: " ملكه بفضل...محمد... الحنبلي في سنة 955. "

والثاني في أسفل الورقة الأولى استطعنا فك بعض رموزه وهي: " الحمد لله رب العالمين ملكه من فضل الله به ...وحسن ...يدعى الغزالي ".

وعلى نفس الورقة، وبنفس الخط كتب الناسخ هذه الأبيات:

قال بعض الفضلاء:

يا من يروم سلامـــــة في دينـــــه ... ليفوز في أخـــراه بالجنـــات

صن اللسان مع اليـدين مـــن الأذى ... لأخيك كي تنجو من الآفـات

واسلك على نهج الرســول فإنـــه ... نعم الدليل لنهـــج الســادات

واصرف عن التنقيص طرفك واعتمد ... نظر الكمال على مدا الأوقات

فالنقص وصفك والكمال محـقـــق ... لله ثم لصفـــــوة وتقـــــاة

لم يذكر اسم ناسخ هذه الكتب إلا في آخر الكتب التي هي من تأليفه (وهي ثلاثة كما ذكرنا)، إلا أنه قرر في كتابه " تنويه العاقل بتنبيه الغافل، وتذكرة المؤمن وتبصرة الموقن "، بعد أن قدم تلخيصا لكتاب الإملاء على مشكل الإحياء: " لكنني اكتفيت بإبراز كتاب الإملاء لأئمة الهدى والتحقيق وأولي

الألباب. "[240] مما يدل على أنه هو الذي قام بنسخ كتاب حجة الإسلام وصدر به هذا المجموع من الكتب التي كما قلنا من تأليفه.

أما اسم الناسخ/المؤلف فهو علي بن محمد بن علي الشهير بابن أبي قصيبة الحسيني الغزالي[241]، عالم له مشاركة في علوم شتى من تصانيفه: " استعطاف المراحم واستسعاف المكارم "، " الدر المنظوم في خلاصة العلوم "، ألفه للسلطان محمد الفاتح (833- 886هـ/1429-1481م)، و" طوالع أنوار القلوب من مطالع أسرار الغيوب ". وله غيرها.

ومما يجب التنبيه عليه أن الكتاب الثاني الذي يضمه هذا المجموع والموسوم " بتنويه العاقل بتنبيه الغافل، وتذكرة المؤمن وتبصرة الموقن " هو في الحقيقة رد كَتَبه ابن قصيبة الغزالي للدفاع عن كتاب " الإملاء على مشكل الإحياء " وتفنيد آراء منتقديه، أو بالأحرى منتقده، والذي لم يفصح ابن أبي قصيبة عن اسمه. واستمع له يقول: " هذا، وإني لما ورد على سمعي ما ضاق لسماعه فسيح ذرعي، واشغل تصديق تصوره فكر لبي، وأشعل حريق ضرره نار قلبي، وهو ما شاع بدمشق بهذا العصر، وذاع واستقر في نفوس الخاص والعام، ووقر في الأسماع، ونسب قوله إلى بعض معاصري من العلماء الخيرة، فتارة نُقل إلي أنه ذكره، وتارة نُقل إلي أنه أنكره، وأُونَةً نُقل إلي أنه ادعى أن بعض المبغضين

---

[240] ابن أبي قصيبة، تنويه العاقل بتنبيه الغافل وتذكرة المؤمن وتبصرة الموقن، مخطوط تشستر بيتي، رقم (4259) ورقة 62/أ.

[241]ذكره البغدادي في إيضاح المكنون فقال: " عليّ بن محمّد القصبي المحمّدي الشرعة، الغزالي الزرعة، المعروف بابن قصيبة الحسني، المتوفى سنة 878هـ [1473م]" ويظهر من خلال ما ذكرته المصادر التي رجعنا إليها أنّ سنة وفاته مشكوك فيها. انظر حاجي خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 735، ج 2، ص 1360، 172، 1916. البغدادي، إيضاح المكنون، ج 1، ص 151، 426، ج 2، ص 87. البغدادي، هديّة العارفين، ج 1، ص 734- 735، الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 10. كحّالة، معجم المؤلفين، ج 7، ص 220.

له افتراه عليه وزوره، وأُونَةً نُقل إلي أن بعض القائلين بالوحدة المطلقة رماه به، وعنه بين الناس نشره، والله سبحانه متولي علم حقائق ما ظهر وبطن من الأقوال والأفعال الصادرة من عباده، ومجازي كل مجترح لسوء منهم بعدله في يوم معاده.

وملخص ما نقله النقلة في ذلك من الأقوال المجملة والمفصلة أن هذا العَلَمَ المنقول عنه هذا المقول، يجري سكيت لسانه في ميدان تفاخره ويصول ويجول، ويلقي إلى سامعيه [كذا] أنه انتقد كلام من تقدمه من العلماء والصوفية، المشتهرين شرقا وغربا وسار كلامهم نثرا ونظما بين الأمة المحمدية إلى أمصار البسيطة بعدا وقربا، وأنه زيف جملة من أقوالهم بوافر علمه، وأقام البراهين على صحة لما انتقده بثاقب فهمه، وأن من جملة ما انتقد لفظه، وسبر تحرير عباراته، وأظهر تزييف صرائح معانيه وإشاراته كتاب الإملاء على مشكل الإحياء... ".[242]

وقد جاء في آخر نسخة كتاب " الإملاء على مشكل الإحياء "ما نصه:

" انتهى الجواب عما سألت عنه، وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام، ونسأل الله تعالى المباعد بين جبلات قلوب البشر، أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء، ومواريث الغِبر، فبيده مجاري المقدورات [والقدر]، وهو إله من ظهر وغبر، وإليه مرجع من آمن وكفر، ومجازي الخلائق بنعيم أو سقر، والصلاة على محمد سيد البشر، وعلى آله، وسلم تسليماً.

آخر الإملاء على مشكل الإحياء والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ".

[242] ابن أبي قصيبة، تنويه العاقل بتنبيه الغافل وتذكرة المؤمن وتبصرة الموقن، مخطوط تشستر بيتي، رقم (4259) ورقة 65/و- 66/ظ.

وقد رمزنا لهذه النسخة ب (ش).

نسخة مصورة محفوظة بمكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض تحت رقم: **933**

عدد أوراقها 49 ورقة، وعدد سطور الورقة 19 سطرا، ومتوسط عدد كلمات السطر 8 كلمات.

كتب المخطوط بخط نسخي مقروء يكاد يخلو من الضبط، إلا أنه يعاني من كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية، وكثرة التحريف والتصحيف. سقط من هذه النسخة كثير من السطور، بل سقط منها أحد الفصول وهو الذي خصصه المؤلف " لشرح معنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الرفيق الأعلى "، وسقط مقدار ورقة من الفصل الذي يجيب فيه الغزالي عن السؤال التالي: " ما الذي صد الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى يعلموا، أو عن الاعتقاد حتى يخلصوا؟ ".

كتبت عناوين أبواب هذه النسخة بالخط الأحمر، وكذلك كل المصطلحات التي قام الغزالي بتعريفها في مقدمة الكتاب، والكلمات التي افتتحت بها الفقرات وكل كلمة استهل بها الكاتب حكاية أو بيتا من الشعر أو فقرة اشتملت على تقسيم، كل هذا ورد كما قلنا باللون الأحمر المميز.

ناسخها أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن محمد بن الدعيم.

أولها:

كتاب الإملاء على مشكل الْأَحْيَاءِ [كذا وردت هذه الكلمة]. من تأليف حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي تغمده الله برحمته والحمد لله وحده.

جاء في آخرها ما نصه:

" قد انتهى الجواب عما سألت عنه، وفرغنا منه بحسب الوسع والطاقة والقدرة في الكلام، فنسأل الله تعالى المباعد بين القلوب [كذا] البشر، أن يصرف عنا حجب الكدورات ومح[كذا] الأهواء ومواريث العر[كذا]، فبيده مجار [كذا] المقدورات والقدر ، وهو إله من ظهر وغبر، وإليه مرجع من آمن وكفر، ومجازي الخلائق بنعيم أو سقر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلق سيد البشر، وعلى آله وصحبه أولي العزم والظفر، وعلى عترته الظاهرين خير العتر، وسلم تسليماً كثيرا دائما أبدا مؤبدا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا به، ونسأله الصفح الجميل ".

وجاء بعدها بلون أحمر مغاير:

"والحمد لله وحده وصلى الله عليه [كذا] سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما".

ثم ختم الناسخ المخطوط بتعيين اليوم والسنة واسم الناسخ فكتب:

"وكان الفراغ منه نهار الجمعة المباركة ثالث عشر ربيع الأول من شهور سنة ست وتسعين وثمان مائة، باسم الفقير إلى الله سبحانه لأمل فضله وإحسانه، أبي العباس أحمد بن إسماعيل بن الدعيم، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله وحده".

ورمزنا لهذه النسخة ب (ر)

مخطوط الأسكوريال:

ذكر غزيري في تعليقه على المجموع (رقم: 1125 في فهرسته، رقم: 1130 في الفهرسة الحالية لمكتبة الأسكوريال)[243] بأن تاريخ نسخ هذه المخطوطات يرجع إلى سنة 611هـ/1214م. وتصدرت هذا المجموع قائمة بأسماء الكتب التي يحتوي عليها، وهي في أغلبه من تأليف الإمام الغزالي، وجاءت هذه القائمة بخط مخالف للخط الذي كتبت به سائر المخطوطات وهو خط أندلسي. ثم لابد من الإشارة هنا إلى أن غزيري فاته ذكر عدد من الكتب التي ضمها هذا المجموع[244] وقد تبعه في ذلك عبد الرحمن بدوي[245]. وقد شمل المجموع أيضا نسخا لكتب أخرى للغزالي لم تسلم من الضياع، ودليلنا على ذلك أن مخطوط كتاب المنقذ من الضلال انتهى بهذه العبارة: يتلوه كتاب كيمياء السعادة بإذن الله تعالى" ولم يسبق لهذا الكتاب ذكر لا في القائمة التي تصدرت

*

243

Casiri, Michael, Bibliotheca Arabico- hispana Escurialensis sive librorum omnium mss. quos Arabicè ab auctoribus magnam partem Arabo- hispanis compositos Bibliotheca Coenobii Escurialensis complectitur, recensio & explanation, Matritum (madrid), Perez de Soto, 1760. T1, p 465.

[244] وهذه الكتب هي: معراج السالكين، مشكاة الأنوار، ورسالة أخرى تنتصر للإحياء كتبها ابن النحوي كما سيأتي.

[245] عبد الرحمن بدوي، مؤلّفات الغزالي، ص 145، تحت رقم 37؛ وص 343، تحت رقم 211، وهناك اختلاف في أسماء العناوين بين اللائحتين، ففي ص 145 تجد جواهر القرآن مثلا، وفي ص 343 صار الجواهر في القرآن، ونلاحظ نفس الشيء بالنسبة لكتاب الانتصار حين تحوّلت كلمة " لما " إلى " بما " إلخ.

المجموع، ولا في الجرد الذي قام به غزيري. كذلك الشأن بالنسبة لكتاب الأربعين الذي جاء ذكره في العبارة التي اختتم بها كتاب الجواهر: " نجز كتاب الجواهر للإمام أبي حامد رضي الله عنه، يتلوه كتاب الأربعين. " وهذه لائحة كتب أبي حامد الغزالي التي سلمت من الضياع حسب ورودها في المجموع:

كتاب بداية الهداية[246].

كتاب الجواهر[247].

كتاب شرح أسماء الله الحسنى[248].

كتاب معراج السالكين[249].

كتاب المعارف العقلية[250].

---

[246] وبه يبتدأ المجموع، (من ورقة 2 إلى ورقة 8 /أ حسب ترقيم المخطوط). انظر مؤلفات الغزالي، ص 138- 140، رقم: 35.

[247] هكذا ورد ذكره في المجموع (ورقة 8/ب إلى 19أ) والمقصود به جواهر القرآن. انظر مؤلفات الغزالي، ص 143- 148، رقم: 37.

[248] بهذا العنوان ورد اسم هذا الكتاب في المجموع (19/ب- 44أ) وجاء في آخر المخطوط: " كمل جميع كتاب المقصد الأسنى والحمد لله ..."، حول مختلف أسماء هذا الكتاب، انظر مؤلفات الغزالي، ص 135- 136، رقم: 33.

[249] (ورقة 45- 59) لم ينتبه عبد الرحمن بدوي لوجود هذا الكتاب في المجموع الذي بين أيدينا. انظر مؤلفات الغزالي، تحت معراج السلوك الذي هو من بين العناوين التي ذكر بها هذا الكتاب في المصادر، ص 254- 257، رقم: 80.

[250] (ورقة 67- 73/أ) وجاء اسم الكتاب في آخر المخطوط: "المعارف العقليّة ولباب الحكمة الإلـهيّة". انظر ما قاله عبد الرحمن بدوي عن هذا الكتاب، وهذا المخطوط أيضا في مؤلّفات الغزالي، ص 93- 97، رقم: 27.

كتاب النفخ والتسوية[251].

كتاب مشكاة الأنوار في توحيد الجبار[252].

كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة[253].

كتاب الميزان[254].

---

[251] (ورقة 67- 73)، ويسمّى أيضا "المضنون الصغير" ويسمّيه البعض أيضاً " المضنون به على أهله " وكذلك يسمّى " الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية ". وهذا الكتاب ليس للغزالي بل هو منحول عليه، ومما يثبت أنّه ليس من المعين الذي يغرف منه الغزالي عادة قول ابن عربي في كتابه "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار": "كان هذا الشيخ المسفر (يعني به أبا الحسن علي المسفر) جليل القدر ... رأيته بسبتة له تصانيف منها "منهاج العابدين" الذي يعزى لأبي حامد الغزالي، وليس له وإنّما هو من مصنّفات هذا الشيخ، وكذلك كتاب "النفخ والتسوية" الذي يعزى إلى أبي حامد أيضا، وتسمّيه الناس المضنون الصغير (وليس كما ذكر في المطبوع المضنون الصغير)". انظر محاضرة الأبرار، دمشق، دار اليقظة العربية، 1388هـ/ 1968م، ج 1، ص 224. وقد أفرد عبد الرحمن بدوي لهذا الأمر خمس صفحات من كتابه مؤلفات الغزالي، ص 156- 158 و318- 319.

[252] على الورقة 73/ب جاء ذكر عنوان الكتاب مرفقا ببعض الحواشي على هامشي الورقة، ويستمرّ الكتاب إلى ورقة 81 من المجموع، ولم يذكره عبد الرحمن بدوي في جرده لأسماء كتب هذا المجموع، ولا غزيري قبله رغم وروده في القائمة التي تصدّرت هذا المجموع. انظر مؤلفات الغزالي، ص 193- 198، رقم: 52.

[253] (ورقة82- 87/أ) لم يشر عبد الرحمن بدوي في معرض حديثه عن هذا الكتاب لمجموع الأسكوريال رغم أنّه يذكره مرتين في كتابه عندما قدّم جردا لأسماء الكتب التي يحويها هذا المجموع. انظر مؤلّفات الغزالي، ص 166- 167، رقم: 43.

[254] هكذا ورد اسمه في أوّل وآخر المخطوط (ورقة 89- 105/أ) والمقصود به ميزان العمل. انظر مؤلّفات الغزالي، ص 79- 81، رقم: 21.

كتاب الانتصار لما وقع في الإحياء من الأسرار.

الانتصار للإمام الزناتي[255].

---

[255](ورقة 116- 119/أ) وهذا هو عنوانه في المجموع، وليس كما ذكر عبد الرحمن بدوي في كتابه مؤلّفات الغزالي، ص 343، "الانتصار على الإمام الزناتي" وكذلك فعل محقّقا كتاب المنقذ من الضلال، جميل صليبا وكامل عياد واعتبراه من كتب الغزالي المفقودة. ثمّ إن هذا الانتصار، ليس كما هو مذكور في بداية المخطوط لأبي زكريا يحيى القُلَيْعي (وليس القلعي كما جاء في المخطوط) لأنّ القليعي توفي سنة 442هـ/ 1050م (انظر ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج 2، ص 668، ترجمة: 1471.) وإنّما الراجح أن هذا الانتصار هو لأبي زكريا يحيى بن أبي ملّول بن عشيرة القيسي (وليس القلعي) الزناتي، وهو كما تقول المصادر، فقيه كامل محقّق، تفقّه على أبي الحسن الطبري (الكيا الهراسي) ببغداد، ثمّ عاد إلى الإسكندرية ودرس بها وانتُفع به في علوم شتّى، ثمّ مال إلى طريقة الزهد فخرج إلى الحجاز، ثمّ إلى اليمن، ورجع إلى العراق، وتوفّي على ما قيل بالبصرة أو بعبادان، وكان شافعي المذهب، وبقوله كان يفتي طول إقامته بالإسكندرية، لكنّه كان لا يتظاهر إلّا بمذهب مالك، وعند خروجه أظهر مذهبه. لم يذكر أحد ممّن ترجم له سنة وفاته. انظر السِّلَفي، أبو طاهر أحمد بن محمّد، معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر، 1414 هـ /1993م، ص 438- 439، ترجمة: 1491. ابن ناصر الدين شمس الدين محمّد بن عبد الله بن محمّد القيسي الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمّد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ/ 1993م، ج 4، ص 104. ابن العمادية، منصور بن سليم الإسكندراني، ذيل تكملة الإكمال، تحقيق، عبد القيّوم بن عبد ربّ النبيّ، مكّة المكرّمة، جامعة أمّ القرى، 1419هـ/ 1999م، ج 1، ص 310، رقم: 401. ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمّد عليّ النجّار وعليّ محمّد البجاوي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامّة للتأليف والأنباء والنشر، 1387هـ/ 1967م، ج 2، ص 624 حيث صحفت كنيته فصارت بلّول. نشر هذا الانتصار تحت عنوان: "انتصار الإمام الزناتي لأبي حامد الغزالي وكتابه الإحياء" بتحقيق سعدي شخوم، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مجلد 1، عدد 1، 1437هـ/ 2016، ص 11-33.

انتصار آخر[256].

كتاب المنقذ[257].

وأما كتاب " الانتصار لما وقع في الإحياء من الأسرار "، (الأسكوريال، برقم 1130، من ورقة 107- 113)، فهو مخطوط كما ذكر غزيري نسخ في غرناطة سنة 611هـ/1214م، بخط مغربي دقيق ومسطرته 45 سطرا، ومتوسط عدد كلمات السطر 22 كلمة. وكله مضبوط بالشكل وواضح الأقسام، وأوائل الفصول والفقرات مكتوبة بحروف كبيرة. وقد تلت هذا المخطوط مباشرة نبذة عن حياة حجة الإسلام الغزالي بخط مخالف تماما للخط الذي كتبت به جميع مؤلفات أبي حامد التي وردت في هذا المجموع، والنبذة هذه مستلة من كتاب طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح[258]، وقد أوردها ناسخها بكاملها (ورقة 115-114-/ب من المجموع). وكأن من نقل هذه الترجمة ودسها في هذا المجموع أراد أن يفصل بها بين مؤلفات الغزالي وبين الفتويين اللتين تلتا كتاب الانتصار لما في الإحياء من الأسرار، ولعله رام بذلك أن يبين للقارئ بعضا من

---

[256] (ورقة 119/ب)، هو عبارة عن فتوى لأبي الفضل يوسف بن محمّد المعروف بابن النحوي (433 - 513هـ/1041- 1119م) نشرها المغراوي محمّد ضمّن متنوعات محمّد حجي، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1418هـ/ 1998م. ص 126- 128. وقد اعتبرها عبد الرحمن بدوي نقدا لكتاب الإحياء وليس الأمر كذلك. انظر مؤلفات الغزالي، ص 113. انظر بخصوص ابن النحوي، التنبكتي، أحمد بابا التكروري، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس (ليبيا)، 1420هـ/ 2000م، ص 622- 625، ترجمة: 766.

[257] (ورقة 120- 125) وهو آخر كتب المجموع. لم يرد في مجموع الأسكوريال إلّا بهذا الاسم المختصر عن "المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال". انظر مؤلفات الغزالي، ص 202- 204، رقم: 56.

[258] ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعيّة، ج 1، ص 249- 262.

الانتقادات التي وُجهت لإحياء علوم الدين كما جاءت في كتاب طبقات الفقهاء الشافعية.

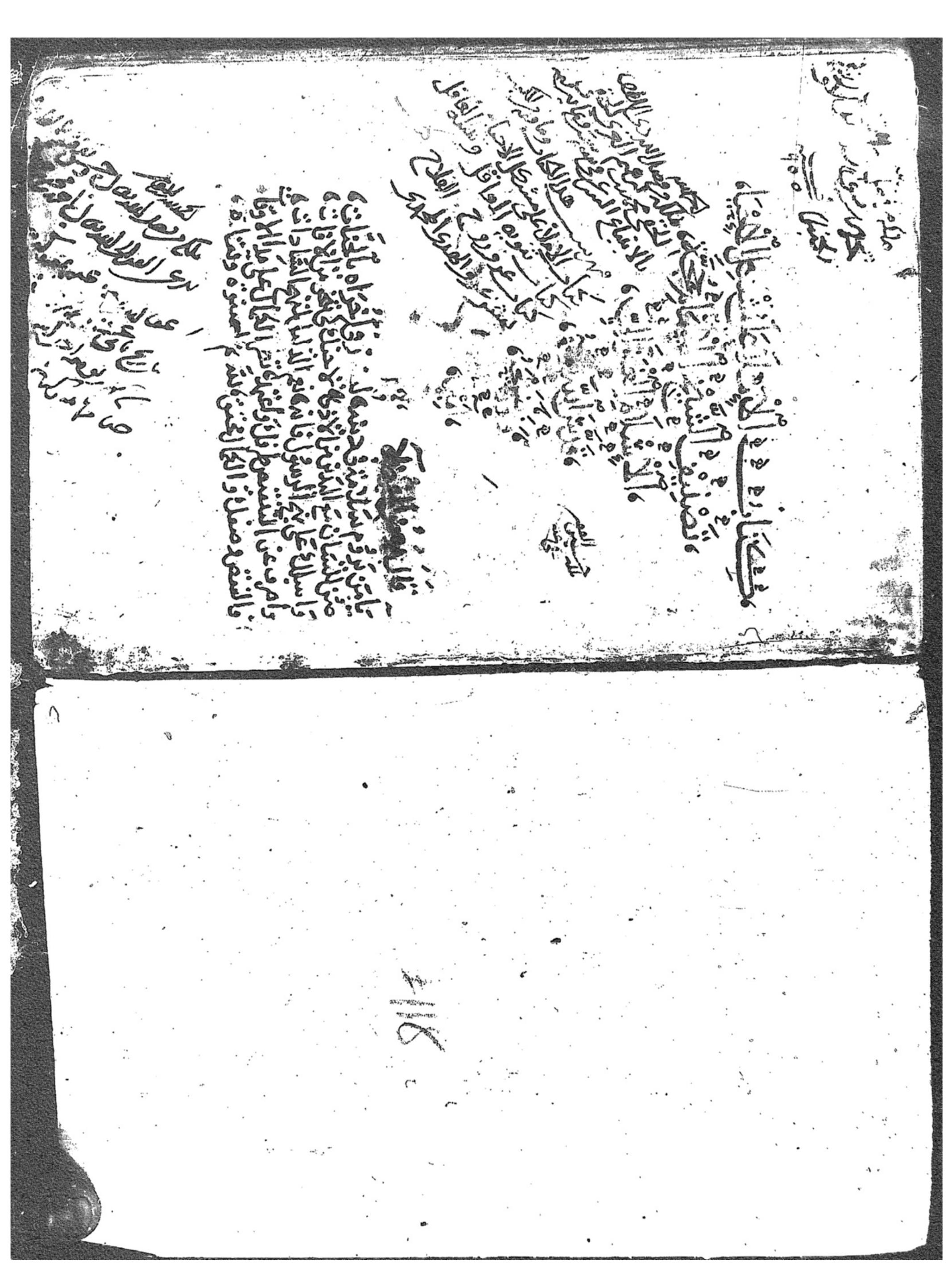
وإذا كان مخطوط الانتصار لما وقع في الإحياء من الإسرار مطابقا لباقي المخطوطات والتي تحمل عنوان الإملاء على مشكل الإحياء فإن فقرته الأخيرة جاءت كالتالي:

" انتهى الجواب عما سألت، وفرغنا حسب الوسع من الكلام، ونسأل الله تعالى المباعد بين جبلات قلوب البشر، أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومواريث الغِبر، فبيده مجاري المقدرات والقدر، وهو إله من ظهر وغبر، وإليه مرجع من آمن وكفر، ومجازي الخلائق بنعيم أو سقر، والصلاة على محمد سيد البشر، وعلى آله، وسلم تسليماً.

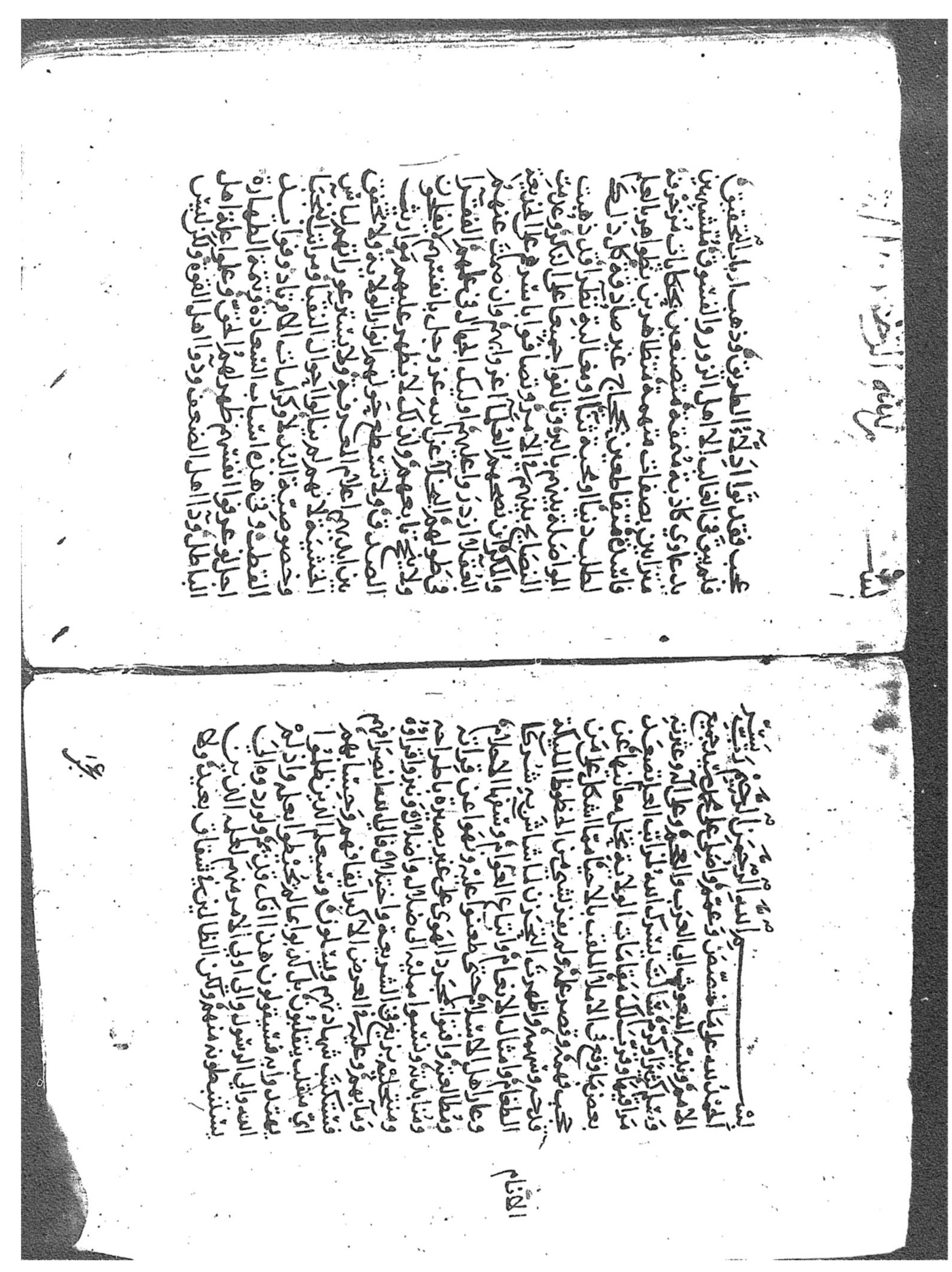
تم كتاب الانتصار للإمام أبي حامد رضي الله عنه والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على محمد خاتم النبيين وعلى آله وأهله الطاهرين. يتلوه إن شاء الله كتاب انتصار الإمام الزناتي له رضي الله عنه ". ولقد رمزنا لهذه النسخة ب (س).

وليس يفوتني أن أتوجه بالشكر لصديقي وأخي الدكتور الحسن الضعيف الذي أفدت كثيرا من علمه ورأيه، كما أوجه تشكراتي لابني تيمية الذي ساعد في إخراج هذا الكتاب.

صور من المخطوطات

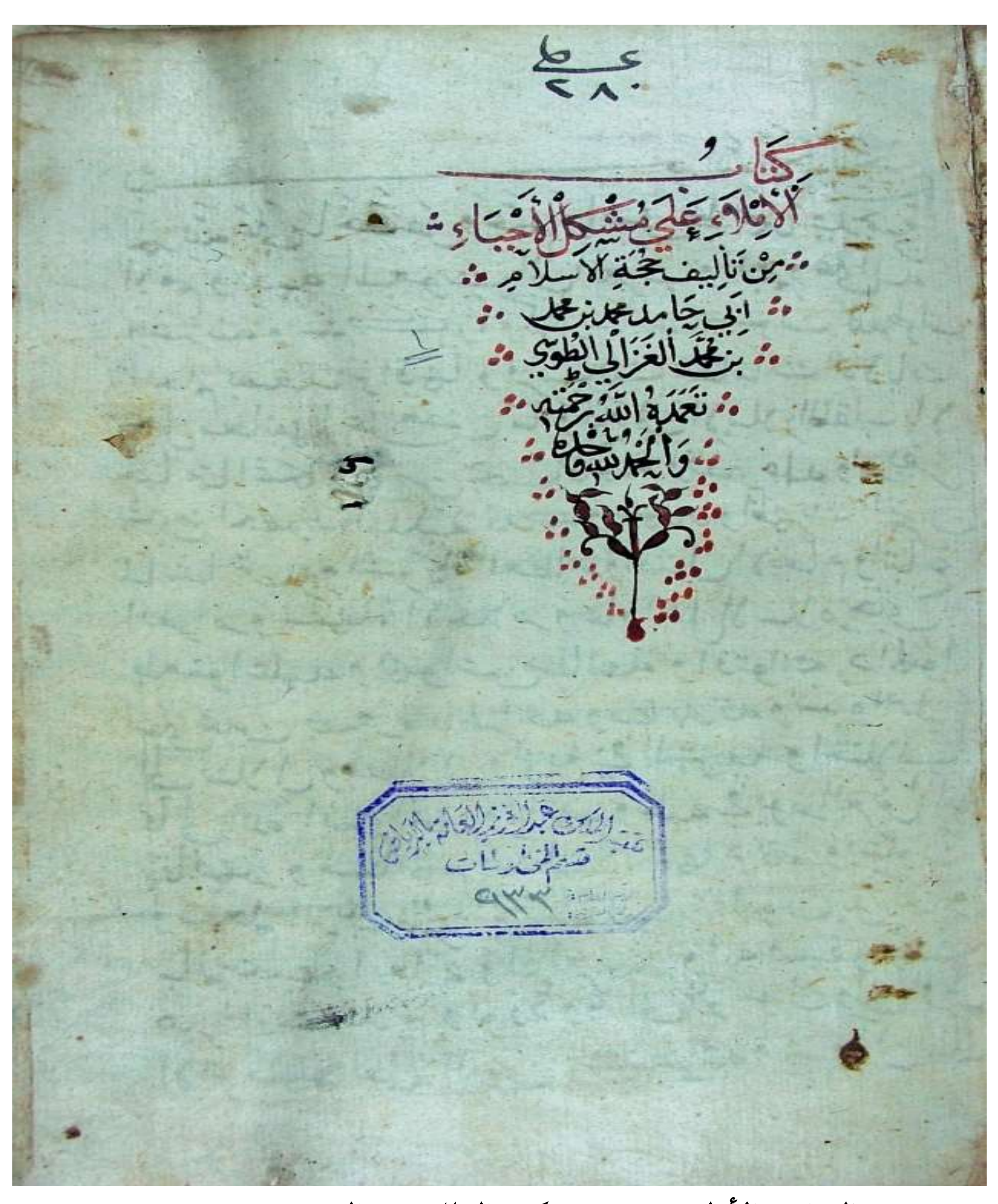


الصفحة الأولى من نسخة تشستر بيتي (ش)



الصفحة الثانية من نسخة تشستر بيتي (ش)

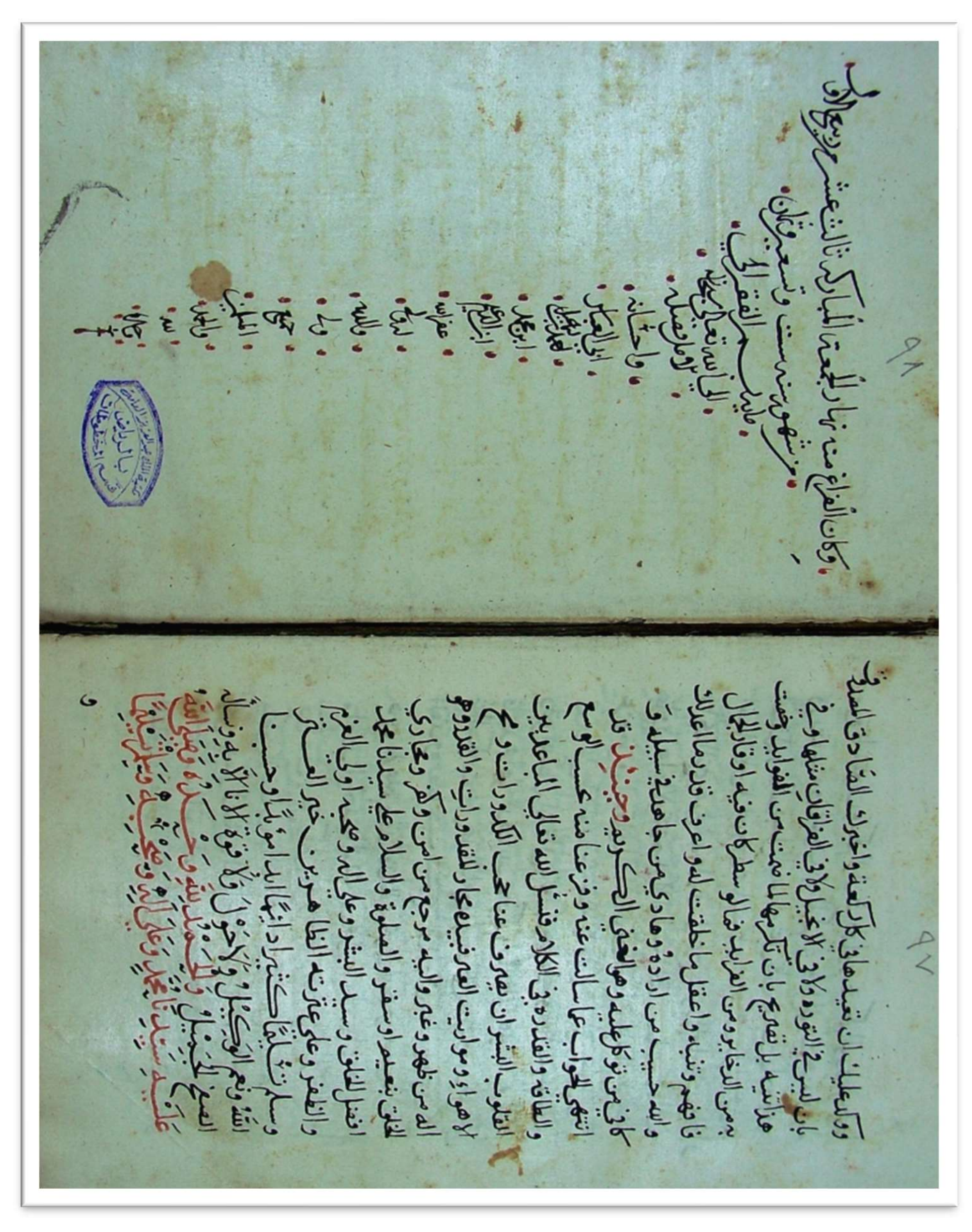
الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة تشستر بيتي (ش)


كتاب
الإملاء على مشكل الإحياء
من تآليف حجة الإسلام
أبي حامد محمد بن محمد
بن محمد الغزالي الطوسي
تغمده الله برحمته
والحمد لله وحده

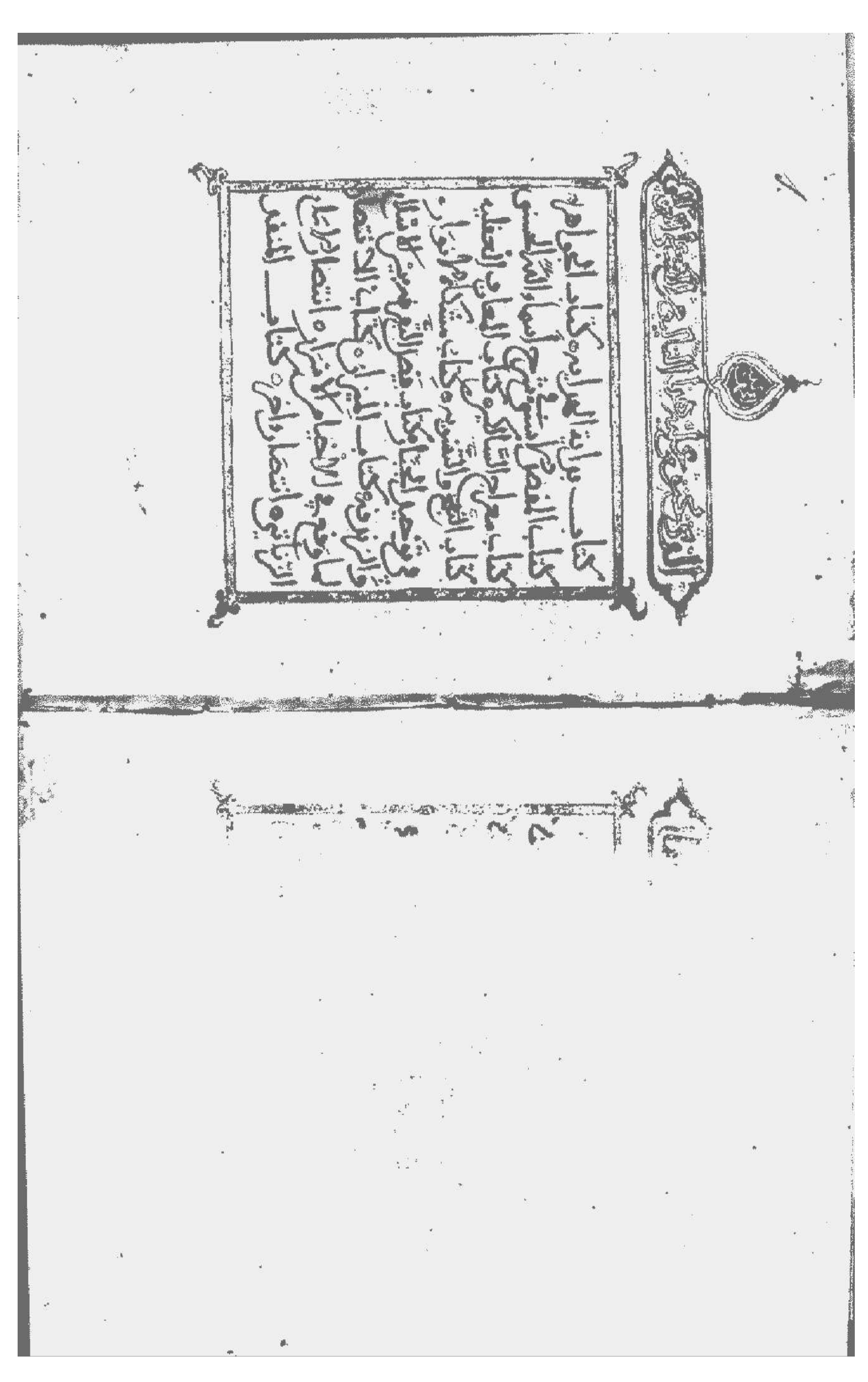
الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الملك عبد العزيز (ر)



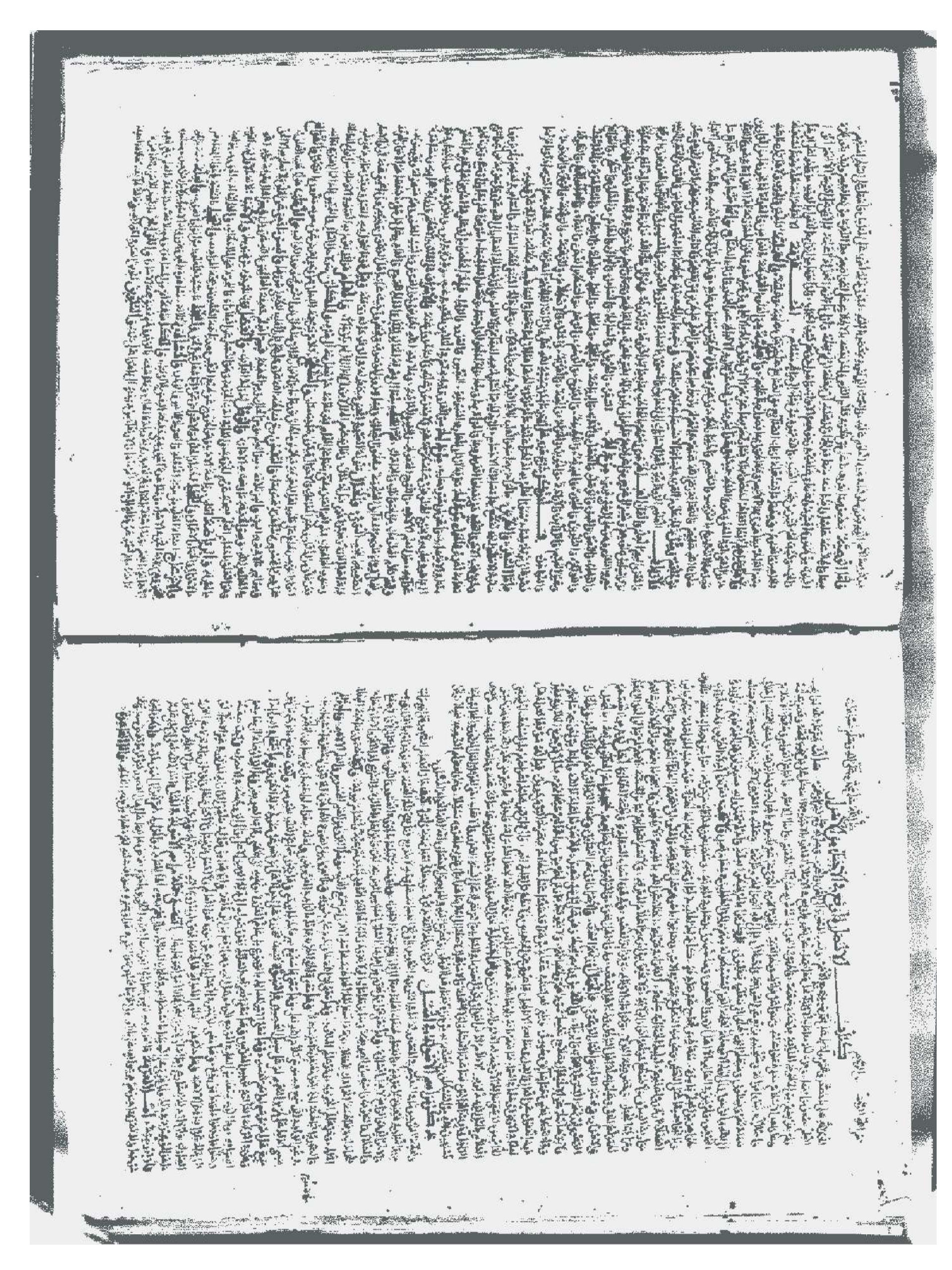
الصفحة الثانية من نسخة مكتبة الملك عبد العزيز (ر)



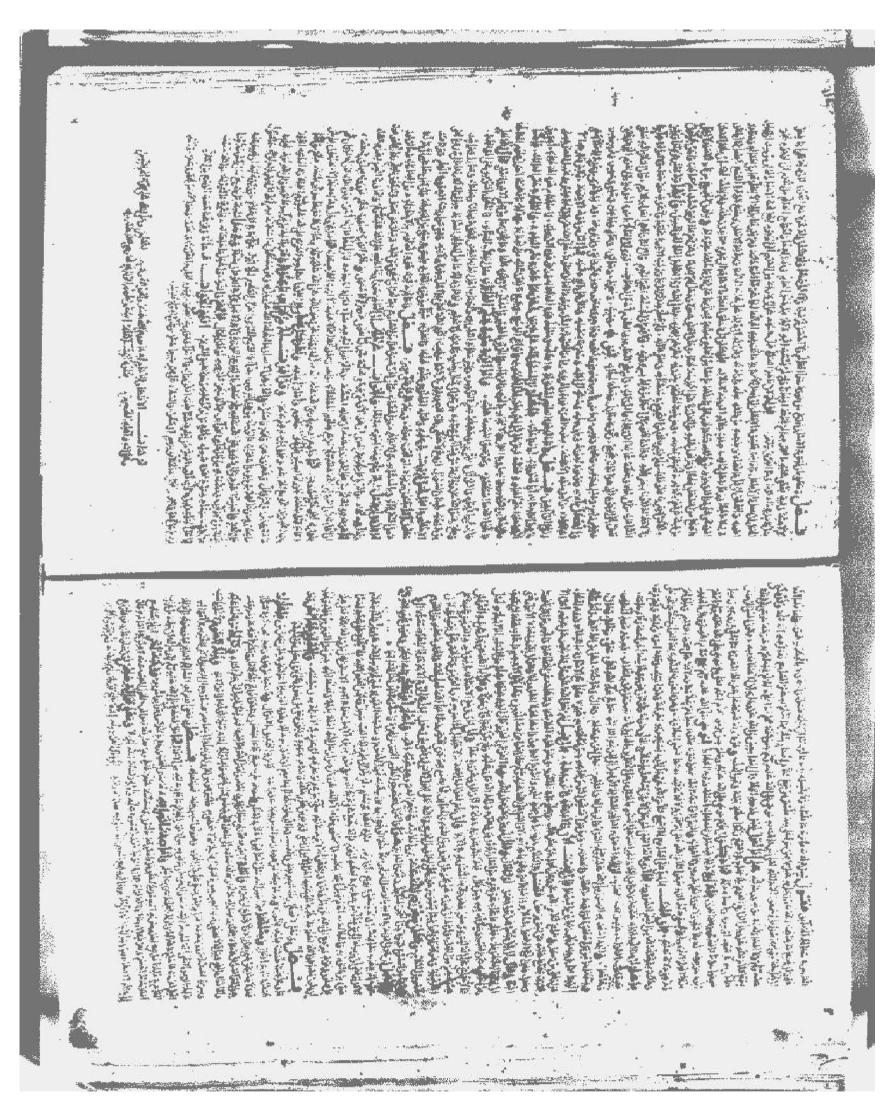
الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الملك عبد العزيز (ر)



الصفحة الأولى من مجموع نسخة مكتبة الأسكوريال (س)



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الأسكوريال (س)



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الأسكوريال (ر)

كتاب الإملاء على مشكل الإحياء

تصنيف

الشيخ الإمام حجة الإسلام الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر[259]

الحمد لله على ما خصص وعمم، وأُصلي[260] على محمد[261] سيد جميع الأمم[262]، ونبيه[263] المبعوث إلى العرب والعجم، [وعلى آله][264] وعِترته وسلم كثيراً وكرم[265].

[259] زيادة من (ش).

[260] في (مط) " وصلّى ".

[261] سقطت من (مط).

[262] في (مط) " الأنبياء ".

[263] زيادة من (ش).

[264] سقطت من (س).

[265] في (س) " وعمّم ".

سألت، يَسرك الله لمراتب العلم تصعد[266] مراقيها، وقرب لك مقامات الولاية[267] تحل[268] مغانيها[269]، عن بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء، مما أشكل على من حجب فهمه، وقصر علمه، ولم يفز بشيء من[270] الحظوظ المَلَكِية قَدَحُه وسهمه، وأَظْهَرْتَ التحَزُنَ لما شاش[271] به شركاء الطغام[272]، وأمثال الأنعام، وأتباع[273] العوام، وسفهاء الأحلام، وعار[274] أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه، ونهوا عن قراءته[275] ومطالعته، وأفتوا بمجرد الهوى، على غير[276] بصيرة، باطراحه ومنابذته، ونسبوا مُمْليه إلى ضلال وإضلال[277]، ونبزوا[278] قراءه ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال؛ فإلى الله انصرافهم ومآبهم، وعليه في

---

[266] في (ر) " بصعد ".

[267] في (ر) " الولايات "، وفي (س) " الأولياء ".

[268] في (ر) " بحل ".

[269] في (مط) وطبعة المنهاج " معاليها "، وفي (ش) و(ر) معانيها.

[270] سقطت من(ر).

[271] أي شَوَّش.

[272] في (ر) " العظم ". يقصد بالطغام أرذال الناس وأوغادهم.

[273] في (مط) " وإجماع العوامّ ".

[274] في (مط) " ذعار ".

[275] سقطت من (ر).

[276] في (ر) " غين ".

[277] قارن هذا التمهيد بما جاء في مقدّمة كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي، القاهرة، مطبعة السعادة، 1325هـ/ 1907م، ص 3.

[278] في (مط) " نبذوا ". وسقطت عبارة " ونبزوا قرّاءه ومنتحليه " من (ر).

العرض[279] الأكبر إيقافهم وحسابهم، " فستكتب شهادتهم ويسألون. " (الزخرف؛ 19)؛ " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. " (الشعراء؛ 227)؛ " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه. " (يونس؛ 39)؛ " وإذ لم يهتدوا به، فسيقولون هذا إفك قديم. " (الأحقاف؛ 11)؛ ولو ردوه[280] إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم. " (النساء؛ 83) ولكن " الظالمين[281] في شقاق بعيد. " (الحج؛ 53).

ولا عجب فقد ثوى[282] أدلاء الطريق، وذهب أرباب التحقيق، ولم[283] يبق في الغالب إلا أهل الزور والفسوق، متشبهين[284] بدعاوى كاذبة منمقة[285]، متصنعين[286] بحكايات مزخرفة[287]، مترائين[288] بصفات متهَمة[289]، متظاهرين

[279] في (ر) " في يوم العرض ".

[280] في (ش) وردت هذه الآية هكذا " ولو ردّوه إلى الله وإلى الرسول ... " وفي (س) " ولو ردّوه إلى الله والرسول.. وهو تصحيف.

[281] في (مط) " الظالمون ".

[282] في (س) " تولّى ".

[283] في (ش) " فلم ".

[284] في (مط) " متشبّثين ".

[285] سقطت من (مط) و (ر).

[286] في (مط) " متّصفين "، وفي (س) " متصنّعون ".

[287] في (مط) " موضوعة "، وفي (ر) " من خرفة ".

[288] في (مط) " متزيّنين "، وفي (س) " متصنّعون ".

[289] في (مط) وفي (ر) و(س) " منمّقة ".

بظواهرَ من العلم[290] فاسدة، متقاطعين[291] بحُجج[292] غير صادقة؛ كل ذلك لطلب دنيا[293]، أو محبة ثناء، أو مغالبة نظراء؛ قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر، وتألفوا جميعاً على النكر[294]، وعدمت النصائح بينهم في الأمر، وتصافوا بأسرهم على الخديعة والمكر؛ إن نصحهم[295] العلماء أغروا بهم، وإن صمت عنهم العقلاء ازدروا[296] عليهم. أولئك الجهال في علمهم، الفقراء في طولهم، البخلاء عن الله عز وجل[297] بأنفسهم، لا يفلحون ولا ينجح تابعهم؛ ولذلك[298] لا يظهر عليهم مواريث الصدق، ولا تسطع حولهم أنوار الولاية، ولا تخفق بين أيديهم[299] أعلام المعرفة، ولا يستر عوراتهم لباس الخشية، لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء، ومراتب النجباء، وخصوصية البدلاء، وكرامات[300] الأوتاد، وفوائد القطب[301]، وفي هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة.

---

[290] في (ش) و (ر) " بالعلم "، وفي طبعة المنهاج " للعلم ".

[291] في (مط) و(س) " متعاطين ".

[292] في (مط) " لحجج "، وفي (ر) و(س) " بحجاج ".

[293] في (مط) " الدنيا ".

[294] في (مط) المنكر، وسقطت " على النكر " من (ر).

[295] في (مط) نصحتهم.

[296] في (مط) وفي طبعة المنهاج " ازروا ".

[297] في (ر) " تعالى ".

[298] في (ر) وطبعة المنهاج " وكذلك ".

[299] في (مط) " لديهم ".

[300] في (مط) " وكرامة ".

[301] في (مط) وفي طبعة المنهاج " الأقطاب ".

أجل،[302] لو عرفوا أنفسهم لظهر[303] لهم الحق، وعلموا [علة][304] أهل الباطل، وداء أهل الضعف، ودواء أهل القوة؛ ولكن ليس هذا من بضائعهم، حُجبوا عن الحقيقة بأربعة[305]: بالجهل، والإصرار، ومحبة الدنيا، وإظهار الدعوى.

فالجهل أورثهم السخف، والإصرار أورثهم التهاون، ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة[306]، وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والإعجاب والرياء. " واللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ. (البروج؛ 20) "؛ " وَهُوَ عَلَى كُل شَيءٍ شهيدٍ (سبأ؛ 47)"[307].

فلا يغرنك - أعاذنا الله وإياك من أحوالهم - شأنُهم، ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم، ولا يغوينك بما زَينَ لهم من سوء أعمالهم شيطانُهم. فكأنْ قد جمع الخلائق في صعيد " وَجاءَتْ كُلُ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهيد. (ق؛ 21)" وَتُلِي[308]: " لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليومَ حَديدٌ (ق؛ 22)". فيا له موقفا[309]، لقد أذهل [ذوي العقول][310] عن القال والقيل، ومتابعة الأباطيل، فأعرض عن الجاهلين[311] ولا تطع كل أفاك

---

[302] سقطت هذه الكلمة في (مط).

[303] في (ش) و(ر) وطبعة المنهاج " ظهر ".

[304] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[305] في (مط) " بأربع ".

[306] في (ش) وطبعة المنهاج " الغفلة بالأمل ".

[307] قارن هذه المقدمة التي بدأ بها الغزالي إملاءه بما جاء في الإحياء، ج 1، ص 8- 9.

[308] ف (مط) " وتلا ".

[309] في(مط) " من موقف ".

[310] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[311] إشارة إلى الآية 199 من سورة الأعراف.

أثيم[312]؛ " وإن كان كبر عليك إعراضهم، فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأْتيهم بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، فلا تكونن من الجاهلين.[313](الأنعام؛ 35)"؛ " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة. (هود؛ 118) "؛ " واصبر حتى يحكم الله[314]، وهو خير الحاكمين. (يونس؛ 109)"؛ " كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون. (القصص؛ 88) ."

وقد[315] أجبناك، بحول الله وقوته، وبعد استخارته[316]، عما سألت عنه، وخاصة ما رغبت فيه[317] من تخصيص الكلام بالمثل الذي ذكر فيه الأقلام[318]. إذ قد اتفق أن يكون أشهر[319] ما في الكتاب، وأكثر تصرفا على ألسنة الصدور والأصحاب، حتى لقد صار المثل المذكور في المجالس تحية الداخل[320] وحديث المجالس، فساعدنا [321] أمنيتك؛ ولولا العجلة والاشتغال[322] لأضفنا

---

[312] إشارة إلى الآية 10 من سورة القلم أو نظيرتها 222 من سورة الشعراء.

[313] سقطت " فلا تكوننّ من الجاهلين " من (ر) و (س).

[314] في (س) " فاصبر حتى يحكم الله بيننا ".

[315] في (مط) و(ر) وطبعة المنهاج " ولقد ".

[316] في (ش) " وبعد الاستخارة ".

[317] في (مط) " ما زعمت فيه ".

[318] في طبعة المنهاج " تزلّ فيه الأقدام ".

[319] في (ر) " مشهرا ".

[320] في (ر) " تحبّه الداخلة ".

[321] في (مط) " فساعدتنا ".

[322] في (ر) " والاستعجال ".

إلى إملاءنا هذا بيانا[323] غيره مما عدوه مشكلا، وصار لعقولهم الضعيفة مخيلا [مضللا][324]. ونحن نستعيذ بالله من الشيطان، ونستعصم به من جراءة[325] فقهاء الزمان[326]، ونضرع[327] إليه في المزيد من الإحسان، إنه[328] الجواد المنان.

[323] في(س) " بيان ".

[324] سقطت من (س).

[325] في (س) " جرأة ".

[326] في (س) " هذا الزمان ".

[327] في (مط) " نتضرّع ".

[328] في (س) " إنّه الله ".

ذكر مراسم الأسئلة في المثل[329]

ذكرتَ - رزقك الله ذكره، وجعلك تعقل نهيه وأمره، كيف جاز انقسام التوحيد على أربع[330] مراتب، ولفظة التوحيد تنافي التقسيم في المشهود كما تنافي التكرير في التعديد؟ وإن صح انقسامه على وجه لا يندفع، فهل تصح القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر؟ ورَغِبْتَ مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة، وانقسام طبقات أهلها فيها، إن كان يقع بينهم التفاوت، وما وجه تمثيلها بالجوز و[331] القشور واللبوب؟[332] وَلِمَ كان الأول لا ينفع، والآخر الذي هو الرابع لا يَحِل إفشاؤه؟ وما معنى قول [من تقدم من][333] أهل هذا الشأن: إفشاء سر الربوبية كفر؟ وأين أصل ما قالوه في الشرع، إذ الإيمان، والكفر، والهداية، والضلال،

---

[329] جلّ هذه الأسئلة تتعلّق بمواضيع تعرّض لها الإمام الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين وسنشير قدر الإمكان للمواضع التي تمُتّ بصلة مباشرة لكلّ موضوع في الإحياء عندما يشرع حجّة الإسلام في الإجابة عن الأسئلة.

[330] في (مط) " أربعة ".

[331] في (مط) و(س) " في ".

[332] جاء هذا التقسيم في الإحياء، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 202- 208.

[333] ما بين المعقوفتين ليس في المطبوع.

والتقريب، والتبعيد، والصديقية، وسائر مقامات[334] الولاية، ودركات المخالفة إنما هي مآخذ شرعية وأحكام نبوية؟ وكيف يُتَصَورُ مخاطبة العقلاء للجمادات[335]، ومخاطبة الجمادات للعقلاء[336]؟ وبماذا تُسمع تلك المخاطبة؟ أبحاسة الأذن[337] أم بسمع القلب؟ وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلـهي؟ وما حد عالم المُلك، وعالم الجبروت، وحد عالم الملكوت؟ وما معنى أن الله تعالى خلق آدم على صورته؟ وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي[338] يكون مُعْتَقِدُها [مشبها صِرفا، والصورة الباطنة التي[339] يكون معتقدها][340] منزها مُجِلا؟ وما معنى [فَاطْوِ][341] الطريق " فإنكَ بالوَادي المُقَدسِ طُوى (طه؛ 12)"؟ ولعله ببغداد، أو أصبهان، أو نيسابور، أو طبرستان، في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام[342] كلامَ الله تعالى. وما معنى: فاستمع بِسِر قلبك لما يوحى؟ وهل يكون سماع القلب بغير سِره[343]؟ وكيف يسمع ما[344]

---

[334] في (ر) " نفايات ".

[335] في (مط) " الجمادات ".

[336] في (مط) " العقلاء ".

[337] في (مط) " الآذان ".

[338] في (ش) " الذي ".

[339] في (ش) " الذي ".

[340] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[341] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[342] في هامش (س) " صلّى الله عليه وسلّم ".

[343] في (ر) " سرّ ".

[344] في (ر) " لما ".

يوحى من ليس بنبي؟ أذلك على طريق التعميم[345] أم على سبيل التخصيص؟ [ومن له بالتسلق إلى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الإله؟ وإن كان على سبيل التخصيص][346] فالنبوة ليست محجورة على أحد إلا على من قعد عن سلوك تلك الطريق. وما يسمع في النداء إذا سمع، هل اسم موسى أو اسم نفسه؟ وما معنى الأمر للسالك بالرجوع من عالم القدرة[347]، ونهيه عن[348] أن يتخطى رقاب الصديقين؟ وما الذي أوصله إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة، وهي[349] توحيد المقربين؟ وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك[350] الرفيق الأعلى؟ وإلى أين وِجْهَتُهُ في الانصراف؟ وكيف صفة انصرافه؟ وما الذي يمنعه من المقام[351] في الموضع الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه؟ [وما معنى ذلك][352]؟ وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني[353] المذكور في

---

[345] في (ش) " التسليم ".

[346] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[347] سقطت عبارة " من عالم القدرة " من (ر).

[348] سقطت من (س).

[349] سقطت من (س).

[350] في (ر) " تلك ".

[351] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " البقاء ".

[352] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(مط) و (ر).

[353] أبو سليمان عبد الرحمن [بن أحمد] بن عطيّة العنسي الداراني، من أهل داريّا، قرية من قرى دمشق. وصفه الذهبي بـ " الإمام الكبير وزاهد العصر. " قيل إنّه ولد سنة 140هـ /758م، وتوفّي سنة 215هـ/ 830م، وقيل 205هـ/ 820م. أبو نعيم، حلية الأوليّاء، ج 9، ص 254- 280. السلمي، طبقات الصوفيّة، ص 75- 82. الذهبي، سير، ج 10، ص 182- 186.

غير الإحياء " لو وصلوا ما رجعوا، ما وصل من رجع "[354]؟ وما معنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة[355] هذا العالم، ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا، ولو كان وادخَرَهُ مع القدرة[356] [على خلقه][357] كان ذلك [بُخلا يناقض الجود][358]، أو عجزا يناقض [القدرة][359] الإلـهية؟ وما حكم هذه العلوم المكنونة؟ هل طلبها فرض[360]، أو مندوب إليه، أو غير ذلك؟ وَلِمَ كُسِيَت المشكل من الألفاظ، واللغز من العبارات؟ وإن جاز ذلك للشارع فيما له أن يختبر به ويمتحن، فما بال من ليس شارعا؟

انتهى جملة مراسم الأسئلة في المثل، وأسأل[361] الله تعالى أن يُملي علينا ما هو الحق عنده في ذلك، وأن يجري على ألسنتنا ما يُستضاء به في ظلمات المسالك، وأن يعم بنفعه أهل المبادئ والمدارك، ثم[362] لا بد أن أمهد مقدمة، وأوطد[363] قاعدة، وأؤكد وصية.

---

354 ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء، ج 9، ص 261: حدثنا أحمد بن إسحاق، وعبد الله بن محمّد قالا: حدثنا إبراهيم بن نائلة، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان يقول: " إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه أبدا، وإنّما رجع من رجع من الطريق ".

355 سقطت من (ر).

356 سقطت مع القدرة من (ش) ومن (مط).

357 ما بين المعقوفتين سقط من (س).

358 ما بين المعقوفتين سقط من(س).

359 ما بين المعقوفتين سقط من(س).

360 في (ر) " على طلبتها أفرض..."

361 في (مط) و (ر) وطبعة المنهاج " فأسأل ".

362 سقطت من (ر).

363 في (ر) " وأوطئ "، وفي (مط) " وأؤكد ".

أما المقدمة: فالغرض منها تبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق، بأخرة[364] تغمض معانيها على أهل القصور، فنذكر ما يغمض منها، ونذكر شرحها[365] والمقصد[366] بها عندهم، فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصاً بهذا الفن في هذا وغيره، فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ.

وأما القاعدة: فنذكر فيها الأمم[367] الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه، والسمت الذي نومئ[368] بمقصدنا إليه، ليكون[369] ذلك أقرب على المتأمل، وأسهل على الناظر المتفهم.

وأما الوصية: فنقصد فيها[370] تعريف ما على من نظر في كلام الناس، وأخذ نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم، وكيف يكون نظره فيها، واطلاعه عليها، واقتباسه منها، فذلك أوكد عليه أن يتعلمه [إن لم يعلمه، وأولى ما يلزم[371] العمل به إذا علمه. فما أتى على أكثرهم إلا أنهم أتوا البيوت][372] من ظهورها، فشردوا عنها، وأُغْلِقَت[373] في وجوههم الأبواب، وأُسْدِل دونهم

---

[364] سقطت من (مط).

[365] سقطت من (مط).

[366] في طبعة المنهاج " والقصد ".

[367] في (مط) و (ر) " الاسم ".

[368] في (مط) و (ر) و(س) " ننوي ".

[369] في (ر) " ويكون ".

[370] في (ر) " بها ".

[371] في (ر) وطبعة المنهاج " يلزمه ".

[372] ما بين المعقوفتين سقط من (مط)، وسقطت من (ر) عبارة " إن لم يعلمه ".

[373] في (مط) " غلقت ".

[كثيف][374] الحجاب، ولو أتوها من [حيث][375] أبوابها [للقوا][376] بالترحيب[377]، وولجوا على الرضا بالحبيب[378]، وكُشف[379] لهم كثير من حجب الغيب[380]، " والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (النور؛ 46) ".

[374] ما بين المعقوفتين سقط من (مط) و (ر).

[375] ما بين المعقوفتين سقط من (مط) و (ر) و(س).

[376] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[377] في (س) " بالرحب ".

[378] في (س) " بالحب ".

[379] في (مط) " لكشف ".

[380] في (ط) " الغيوب ".

[اعلم أن][381] الألفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجماهير والعموم، ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع. والصنائع على ضربين: علمية، وعملية[382]، فالعملية كالمهن والحرف، ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم، ويتعاطون بها فصول[383] صناعتهم.

والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما يحرزها[384] من الموازين، ولأهل كل علم أيضاً ألفاظ اختصوا بها لا يشاركهم فيها غيرهم، إلا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد. وتكون المشاركة إذا اتفقت، إما في صورة اللفظ دون المعنى، أو في المعنى وصورة اللفظ جميعاً، وهذا يعرفه من بحث[385] عن مجاري الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع. وإنما سمينا من العلوم [صنائع ما قصد فيها التصنيع][386] بالترتيب، و[387]التقسيم، واختيار لفظ دون غيره. وحده بطرفين: مبدأ، وغاية. وما لم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء

---

[381] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[382] سقطت من (ر).

[383] في (ط) " أصول ".

[384] في (مط) " تحرّر "، وفي (ش) " يحررها " وعلى هامش (ش) " يحرّروها ".

[385] في (ر) وطبعة المنهاج " وهذا لا يعرفه إلّا من بحث..."

[386] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[387] في (مط) " في ".

صلوات الله عليهم، والصحابة رضي الله عنهم[388]، فإنهم لم يكونوا فيما عندهم من العلوم[389] على طريق من بعدهم، ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذي هو عند من خلفهم[390]. ومثل ذلك علوم العرب ولسانها[391] لا نسميها عندهم صناعة، ونسميها بذلك عند من[392] ضبطها بما اشتهر من القوانين، وتقرر من الحصر والترتيب.

ولأرباب العلوم الروحانية، وأهل الإشارات إلى الحقائق، والمسمون[393] بالسادة، والملقبون بالصوفية، والمتشبهون[394] بالفقراء، والمعروفون[395] بالرقة، والمُعزى إليهم العلم والعمل[396]، ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرونه أو يذكرونه[397]. ونحن إن شاء الله عز وجل[398] نذكر ما يغمض منها، إذ قد يقع منا عندما نذكر شيئاً من علومهم، ونشير إلى غرض من أغراضهم،

---

388 في (ر) " رضوان الله عليهم ".

389 في (مط) و (س) " من العلم ".

390 في (ر) " بالرسم المألوف عند غيرهم ممّن خلفهم ".

391 في طبعة المنهاج "وأنسابها"، وفي (س) " في لسانها ".

392 سقطت من (مط).

393 في (مط) " المسلمين "، وفي طبعة المنهاج " المسمّين ".

394 في (س) " والمنتسبون ".

395 بياض ب (ر).

396 في (مط) وطبعة المنهاج " والملقّبين بالصوفيّة، والمتشبّهين بالفقراء، والمعروفين بالرّقّة، والمعزى / المعزوِّ إليهم العلم والعمل ".

397 سقطت من (ر).

398 سقطت عبارة " عزّ وجلّ " من (مط) ومن (س).

فلم نر أن يكون ذلك بغير ما عُرف من ألفاظهم وعباراتهم، فلا حرج في ذلك عقلاً وشرعاً، ونحن بحكم مصرف التقدير، وهو على كل شيء قدير.

فمن[399] ذلك السفَرُ، والطريق[400] والسالك، والمسافر، والحال، والمقام، والمكان، والشطح، والطوالع، والذهاب، والنفَس، والسر، والوصل، والفصل، والأدب، والرياضة، والتحلي، والتخلي، والتجلي، والعلة، والانزعاج، والمشاهدة، والمكاشفة، واللوائح، والتلوين، والغيرة، والحرية[401]، واللطيفة، والفتوح، والوسم، والرسم، والبسط، والقبض، والفناء، والبقاء، والجمع، والتفرقة، وعين التحكم[402]، والزوائد، والإرادة، والمريد، والمراد، والهمة، والغربة[403]، والمكر، والاصطلام، والرغبة، والرهبة، والوجد، والوجود، والتواجد[404].

---

[399] في (ش) " من ذلك ".

[400] سقطت من (مط).

[401] في (ش) " والحيرة ".

[402] في (مط) التحلّم، وفي (ر) " التحكيم ".

[403] في (ر) " والقرة ".

[404] مجموع هذه الألفاظ واحد وخمسون اسما، شرحها الغزالي لكي تكون مفاتح تسهّل على القارئ الذي يريد الاطلاع على ما جاء في الإحياء من الأسرار، فَهْمَ أغراض أهل الإشارات إلى الحقائق، وفكّ ألغاز لغتهم. والغريب أن المستشرق مونتجمري وت، ومن قبله المستشرق الإسباني أسين بلاصيون، شكّا في صحّة هذه المقدّمة التي تشمل تعريفات لبعض مصطلحات الصوفيّة، ولو أنّهما تأنّيا بعض الشيء وطالعا إحياء علوم الدين متأمّلين في المصطلحات التي لجأ إليها حجّة الإسلام لترجمة أقوال وأحوال أهل العرفان، لما وقعا في شراك هذا الشكّ، ولما راودتهما هذه الحيرة، وإلّا كيف نفهم كلام الغزالي في كتاب التوحيد والتوكل من الإحياء عندما قال: " هو الأول بالإضافة إلى الموجودات إذ صدر منه الكلّ على ترتيبه واحدا بعد واحد، وهو الآخر بالإضافة إلى سير السائرين إليه، فإنهم لا

فلنذكر[405] شرح هذه[406] على أوجز ما يمكن بمشيئة الله عز وجل[407]، وإن كانت ألفاظهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا، فإنما قصدنا أن نريك منها أنموذجاً[408] ودستوراً تعلم[409] به، إذا طرأ عليك ما لم نذكره لك ههنا، أن[410] لها مبحثا وإليها سبيلا، فتطلبه بعد ذلك على وجهه.

يزالون مترقّين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر. " إذا لم يساعدنا الغزالي بهذا التعريف الذي وضعه كمقدمة لكتاب الإملاء. لن نستطيع فكّ رموز هذا الكلام دون هذه التعريفات. انظر إحياء علوم الدين، ج 8، ص 224. وفي هذا الكتاب، أعني كتاب التوحيد والتوكّل، يتحدّث الغزالي كثيرا عن السفر، والمسافر، والطريق، إلى غير ذلك من المصطلحات المشروحة هنا في هذه المقدمة. انظر على سبيل المثال لا الحصر حديث الغزالي عن مقامات التوحيد في كتاب التوحيد والتوكّل أيضا في إحياء علوم الدين حيث لجأ لمصطلح المقام مثلا إحدى وثلاثين مرة. وليس بالإمكان تتبع هذه المصطلحات كما وردت في الإحياء لأن هذا ليس غرضنا.

- Watt, Montgomery, The *Authenticity* of Works attributed to al-Ghazäli The *Journal of the Royal Asiatic Society* (1952), p 42.

- Asín Palacios, La Espiritualidad de Al Gazel y su sentido cristiano, IV, p 82.

[405] في (مط) " فنذكر ".

[406] في طبعة المنهاج " هذه الألفاظ ".

[407] في (مط) و(ر) و(س) " تعالى ".

[408] سقطت من (س).

[409] في (مط) " تتعلّم ".

[410] في (مط) " إذ ".

فأما السفر والطريق[411] فالمراد بهما سَفَرُ القلب بآلة[412] الفكر في طريق المعقولات، وعلى ذلك ابْتُنِيَ[413] لفظ السالك والمسافر في لغتهم، ولم يريدوا[414] بذلك[415] سلوك الأقدام التي بها قَطْعُ[416] مسافات الأجسام، فإن ذلك مما يشارك فيه[417] البهائم والأنعام.

وأول مسالك السفار[418] إلى الله عز وجل[419] معرفة قواعد الشرع، وخرق حجب الأمر والنهي، حتى يعقلوا[420] الغرض فيها، والمراد بها ومنها[421]. فإذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطبها، أشرفوا على مفاوز أوسع، وبدت[422] لهم

---

[411] في طبعة المنهاج " فأمّا السفر والطريق والمسافر والسالك ".

[412] في (ر) بإرادة.

[413] في (ر) يبنى، وفي (مط) " ابتنى "، وفي طبعة المنهاج " انبنى ".

[414] في (مط) " ولم يرد ".

[415] سقطت "ذلك" من (س).

[416] وردت كلمة " قطع " في هامش (ش)، وجاءت في (مط) بصيغة " يقطع ".

[417] سقطت " فيه " من (ش)، وفي (س) " يشارك البهائم فيه ".

[418] في (مط) و(ر) وطبعة المنهاج " السفر ".

[419] في (ر) "تعالى" وفي (مط) " تعالى عزّ وجلّ ".

[420] في (مط) " وتعلق ".

[421] للوقوف على بعضها يمكن الرجوع إلى إحياء علوم الدين في الأبواب أو الفصول التي يشرح فيها الغزالي أسرار أركان الإسلام كالصلاة والصوم وغيرهما. أنظر إحياء علوم الدين، كتاب أسرار الطهارة ومهمّاتها، ج 1، 461 وما بعدها؛ كتاب أسرار الصلاة ومهمّاتها، ج 1، ص 537 وما بعدها؛ كتاب أسرار الزكاة، ج 2، ص 7 وما بعدها إلخ.

[422] في (مط) " وبرزت ".

مَهامِهُ[423] أعرض وأطول. من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية: النفس، والعدو، [والدنيا، فإذا تخلصوا من أوعارها، أشرفوا على][424] غيرها أعظم منها في الانتساب، وأعرض بغير حساب. من ذلك سر القدر، وكيف يحكم[425] في الخلائق، وقادهم[426] بلطف في عنف، وبشدة في لين، وبقوة في ضعف، وباختيار في جبر، إلى ما هو في مجاريه، لا يخرج المخلوقون[427] عنه طرفة عين، ولا يتقدمون عليه[428] ولا يتأخرون عنه[429]. والإشراف على الملكوت الأعظم، ورؤية عجائبه ومشاهدة غرائبه[430]، مثل القلم[431] الإلهي، واللوح المحفوظ، واليمين الكاتبة، وملائكة الله يطوفون حول العرش وبالبيت المعمور، وهم يسبحونه ويقدسونه، وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات، ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق للكل، والمالك للجميع، والقادر على كل شيء. فتغشاهم الأنوار المحرقة، وتتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة، فيعلمون الصفات، ويشاهدون الموصوف، ويحضرون حيث غاب أهل الدعوى، ويبصرون ما عمي عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى.

---

[423] جمع مهمه وهي المفازة البعيدة والبلد المقفر.

[424] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[425] في (مط) " خفيّ بحكم ".

[426] سقطت " وقادهم " من (س).

[427] في (مط) " المخلفون ".

[428] سقطت " عليه " من (ش) و(ر) و(مط).

[429] في (ر) وطبعة المنهاج " ولا يتأخّرون عنه طرفة عين".

[430] في (مط) " ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب ".

[431] في (مط) " العلم ".

وقال بعضهم: الحال لا يزول، فإذا زال لم يكن حالاً.

والمقام: هو الذي[432] يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات، وصنوف المجاهدات. فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال[433]، فهو مقامه حتى ينتقل[434] منه إلى غيره.

والمكان: هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية[435]، فإذا كمل العبد في معانيه، فقد تمكن من المكان، وعبر[436] المقامات والأحوال، فيكون صاحب مكان [كما قال بعضهم:

مقامك من قلبي هو القلب كله فليس لشيء فيه غيرك موضعُ][437]

---

[432] في (ر) " هو ما يقوم ".

[433] سقطت من (ش) و(ر).

[434] في (مط) و(س) وطبعة المنهاج " ينقل ".

[435] سقطت " النهاية " من (س).

[436] في (مط) " غير ".

[437] سقط ما بين المعقوفتين من (س) والبيت للحلّاج ويروى أيضا:

مكانك من قلبي هو القلب كلّه فليس لخلقٍ في مكانك موضع

انظر الحلّاج، الأعمال الكاملة، جمع قاسم محمّد عبّاس، بيروت، رياض الريس للكتاب والنشر،1422هـ/ 2002م، ص 313.

والشطح: كلام يترجمه[438] اللسان عن وجد يفيض[439] عن معدنه مقرون بالدعوى، [إلا أنْ يكون صاحبه محفوظاً][440].

والطوالع: أنوار[441] التوحيد تطلع على قلوب[442] أهل المعرفة بشعاعها[443]، فيطمس سلطان نورها [سائر][444] الأنوار، كما أن [سلطان][445] نور الشمس يمحو أنوار الكواكب.

والذهاب: هو أن تغيب القلوب[446] عن حس[447] كل محسوس بمشاهدة محبوبها.

والنفَس: روح يسلطه الله [عز وجل][448] على نار القلب ليطفئ شررها.

والسر: ما خفي عن الخلق فلا يعلم به إلا الحق.

وسر السر: ما لا يحس به السر.

---

438 في (مط) " يترجم به ".

439 في (س) وطبعة المنهاج " يعرض ".

440 ما بين المعقوفتين سقط من (ر) و(س).

441 في (مط) " أنواع ".

442 سقطت من (ر).

443 سقطت من (س) وفي (ر) " تغشاها ".

444 سقطت من (مط) " واستبدلت كلمة الأنوار بالألوان ".

445 سقطت من (مط).

446 في (مط) " يغيب القلب ".

447 سقطت من (مط).

448 زيادة من (س).

والسر ثلاثة: سر العلم، وسر الحال، وسر الحقيقة.

فسر العلم: حقيقة العالمين بالله عز وجل.

وسر الحال: معرفة مراد الله في الحال من الله.

وسر الحقيقة: ما وقعت به الإشارة.

والوصل: إدراك الفائت.

والفصل: فوت ما ترجوه من محبوبك.

والأدب ثلاثة:

أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة.

والثاني: أدب الخدمة[449] وهو التشمر[450] عن العلاقات، والتجرد عن الملاحظات.

والثالث: أدب الحق، وهو موافقة الحق بالمعرفة.

والرياضة اثنان:

- رياضة الأدب، وهو الخروج عن طبع النفس.
- ورياضة الطلب، وهو صحة المراد به.

والتحلي: التشبه بأحوال الصادقين بالأحوال، وإظهار الأعمال.

والتخلي: اختيار الخلوة، والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق.

والتجلي: هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

---

[449] جاءت جملة " والثاني أدب الخدمة " كاستدراك في هامش (ر).

[450] في (س) " والتستّر ".

والعلة: تنبيه من[451] الحق.

والانزعاج[452]: انتباه القلب من سِنَة [الغفلة، والتحرك للأنس والوجد][453].

والمشاهدة ثلاث:

- **مشاهدة بالحق، وهي رؤية الأشياء بدلائل[454] التوحيد.**
- **ومشاهدة للحق، وهي رؤية الحق في الأشياء.**
- **ومشاهدة الحق، وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب.**

والمكاشفة: أتم من المشاهدة وهي ثلاث[455]:

- **مكاشفة بالعلم، وهي تحقيق الإصابة بالفهم.**
- **ومكاشفة بالحال، وهي تحقيق رؤية زيادة الحال.**
- **ومكاشفة بالوجد[456]، وهي تحقيق صحة الإشارة.**

واللوائح: ما يلوح للأسرار الطاهرة[457] الصافية من السمو من حالة إلى حالة أتم منها، والارتقاء من درجة إلى ما هو أعلى منها.

---

[451] في (مط) " تنبّه عن ".

[452] في (ر) وقع للناسخ خلط فأعاد كلمة " علّة " مكان " الانزعاج ".

[453] في (مط) وردت " الوحدة مكان الوجد "، وسقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[454] في (ر) " بحقيقة ".

[455] في (مط) و(س) و(ر) " ثلاثة ".

[456] في (مط) " بالتوحيد ".

[457] في (مط) " من الأسرار الظاهرة ".

والتلوين: تلوين العبد في أحواله. وقالت طائفة: علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة. وقال آخرون: علامة الحقيقة التلوين لأنه يظهر فيه قدرة القادر، فيكسب منه العبد الغيرة.

والغيرة: غيرة في الحق، وغيرة على الحق، وغيرة من الحق.

- فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والمناهي.
- وغيرة على الحق، هي كتمان السرائر.
- والغيرة من الحق ضِنته[458] على أوليائه.

والحرية: إقامة حقوق العبودية فيكون لله عبداً، وعن[459] غيره حراً.

واللطيفة: إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا تسعها العبارة.

والفتوح ثلاثة:

- فتوح العبادة في الظاهر، وذلك سبب[460] إخلاص القصد.
- وفتوح الحلاوة في الباطن، وهو سبب جذب[461] الحق بأعطافه.
- وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق.

والوسم والرسم: نعتان[462] يجريان في الأبد بما جريا في الأزل.

والبسط: عبارة عن حال الرجاء.

---

[458] في (ر) " منته ".

[459] في (مط) " وعند ".

[460] في (ر) وطبعة المنهاج " بسبب ".

[461] في (ر) " حدوث ".

[462] في (مط) " معنيان " وفي (ر) " لغتان ".

والقبض: عبارة عن حال[463] الخوف.

والفناء: فناء المعاصي، ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى[464] على ذلك[465].

والبقاء: بقاء الطاعات، ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء[466].

والجمع: التسوية في أصل الخلق. وعند[467] آخرين: معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق.

والتفرقة: إشارة إلى الكون[468] والخلق، [فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع، فقد جحد الباري سبحانه،][469] ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة، فقد أنكر قدرة القادر، فإذا جمع بينهما فقد وحده[470].

وعين التحكم[471]: إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء.

والزوائد: زيادات الإيمان بالغيب واليقين.

---

[463] في (ر) " المعاصي له ".

[464] في (س) " بقيام الله تعالى له ".

[465] انظر ما قاله الغزالي بخصوص المرتبة الرابعة من مراتب التوحيد حين ذكر الفناء عند الصوفيّة، إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 202- 203.

[466] في (ر) " شيء قدير ".

[467] في (مط) "وعن ".

[468] في (مط) " اللون ".

[469] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[470] في (مط) " فقد وجد ".

[471] في (مط) " عين التحلّم " وفي (ر) " التحكيم ".

والإرادة ثلاثة:

- إرادة الطلب[472] من الله سبحانه[473] وتعالى، وذلك موضع التمني.
- وإرادة الحظ منه، وذلك موضع الطمع.
- وإرادة الله سبحانه وتعالى[474]، وذلك موضع الإخلاص.

والمريد: هو الذي صح له الابتداء[475]، ودخل في جملة[476] المنقطعين إلى الله عز وجل بالاسم.

والمراد: هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهايات، وعبر[477] الأحوال والمقامات.[478]

والهمة ثلاثة:

- همة مُنْيَة[479]، وهي تحرك القلب للمُنى.
- وهمة إرادة، وهي أول صدق المريد.

---

[472] في (مط) " الطالب ".

[473] سقطت " سبحانه " من (س).

[474] سقطت " وتعالى " من (س).

[475] في (مط) " الابتلاء ".

[476] في (ر) " حماية ".

[477] في (ر) " في غير "، وفي (مط) " وغير ".

[478] في (مط) " ووصل إلى النهاية وغير الأحوال والمقامات ".

[479] في (س) وطبعة المنهاج " أمنية ".

- وهمة حقيقة، وهي جمع الهم بصفاء الإلهام.[480]

والغربة ثلاثة:

- غربة عن الأوطان من أجل حقيقة القصد.
- وغربة عن الأحوال من[481] حقيقة التفرد بالأحوال.
- وغربة عن الحق من حقيقة الدهش عن المعرفة.

---

[480] حدث في (مط) وفي مختلف طبعات الإملاء سواء في مصر أو لبنان أو تركيا أو غيرها والتي تجدها على هامش إحياء علوم الدين أو في آخر الكتاب أو حتى مرافقة لشرح الإحياء المسمّى بإتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لمرتضى الزبيدي، خلط كانت نتيجته إقحام فقرة بكاملها اقتبست من الإحياء وأدرجت في كتاب الإملاء بعد عبارة: وهمّة حقيقية... فجاءت وكأنها تتمة لتعريف الهمّة وليس الأمر كذلك. والنص من الإحياء هو: " القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل. فإنّ المراد إدّ، والخطب جدّ، والآخرة مقبلة، والدنيا مدبرة، والأجل قريب، والسفر بعيد. والزاد طفيف، والخطر عظيم، والطريق سدّ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ، وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكدّ. فأدلّة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسّمون، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان، وأصبح كلّ واحد بعاجل حظّه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً. حتى ظلّ علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً. ولقد خيّلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام، أو جدل يتدرّع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسّل به الواعظ إلى استدراج العوامّ. إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام. فأمّا علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح... ". انظر إحياء علوم الدين، ج 1، ص 8- 9.

[481] في (ر) من " أجل ".

والاصطلام[482]: نعت وَلَهٍ يرد على القلوب فيسكنها بقوة سلطانه[483].

والمكر ثلاثة:

- مكر معموم[484] مفهوم[485]، وهو الظاهر في بعض الأحوال.
- ومكر مخصوص[486] وهو في سائر الأحوال.
- ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات.

والرغبة ثلاثة:

- رغبة النفس في الثواب.
- ورغبة القلب في الحقيقة.
- ورغبة السر في الحق.

والرهبة ثلاثة[487]:

- رهبة [الظاهر، وذلك لتحقيق وعيد العلم.
- ورهبة الباطن لتحقيق تقلب القلب.

---

[482] في (س) " ورد الاصطلام بعد المكر ".

[483] في (مط) " بقوّة سلطانه فيستكنها ".

[484] في (مط) " عموم "، وفي (س) " عامّ ".

[485] سقطت من (مط) و(ر)، وجاءت على هامش (ش).

[486] في (مط) " خصوص ".

[487] زيادة من طبعة المنهاج، ولم ترد لفظة " ثلاث " لا في (مط) ولا في (ر) ولا حتى في (ش)، وسكتت لجنة تحقيق الإملاء في طبعة المنهاج عن هذه النقطة أيضا، فلا نجد أيّ هامش يشير إلى النسخة التي أخذت عنها اللجنة عبارة ثلاثة.

- ورهبة][488] الغيب لتحقيق أمر[489] السبق.

والوجد: مصادقة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده.

والوجود: تمام وجد الواجدين، وهو أتم من[490] الوجد عندهم.

وسئل بعضهم عن الوجد والوجود، فقال: الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك، والوجود ما تجده من الله الكريم، والوجد عن غير تمكين، والوجود مع التمكين.

[والتواجد: استدعاء الوجد، والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد][491].

---

[488] ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوع. وأمّا في (ر) فجاء التعبير عن الرهبة مضطربا بعضه في الهامش، وتتمّته داخل النص، غير أنّه اختلط على الناسخ أمر الرهبة والوجد فتداخل التعريفان، وسقط من تعريف الرهبة الثانية والثالثة، ولم ترد كلمة الوجد إلّا في الهامش، وجاء تعريفها كالتالي: " مصادقة القلوب بصفاء ذكر كان قد فقده ".

[489] في (س) "أثر ".

[490] سقطت من (مط).

[491] ما بين المعقوفتين سقط من(ر).

القاعدة

وأما القاعدة التي ينبني[492] عليها هذا[493] الفن بأسره، فذلك اجتذاب أرواح المعاني، والإشارة إلى البعد في القرب، وقصد الاستدلال بالأقوال والأعمال والأحوال على الله تعالى قصداً ذاتياً، لا على ما سلكه[494] أرباب علوم الظاهر، ثم التصديق بالقوة، والنظر إلى الملكوت من كوة، ومعرفة العلوم في الانصراف، ومصاحبة القدر بالمساعدة والمعروف، ومعاطاة [كل صنف من الناس على قدر عقله بلا مزيد، والتصرف في التعليم[495] بين مراتب][496] الوجود[497] الخمس: الذاتي[498] والحسي، والخيالي، والعقلي، والشبهي، حسبما فهم من الشرع، وثبت[499] معناه في المحفوظ من الوحي. وقلما أُدْرِك شيء

---

[492] في (ر) " بني "، وفي (س) " نبني ".

[493] سقطت من (ش).

[494] في (ش) " شكله ".

[495] في (ر) " العلوم ".

[496] ما بين المعقوفتين ساقط من (مط).

[497] في (مط) " الوجودات ".

[498] في (ر) " الذوق ".

[499] سقطت الشرع من (ر)، وجاء عوض " وثبت " " من ترتيب".

مع[500] العجز، والعلم لا يُنال براحة الجسد[501]. " ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ذلك أمر الله أنزله إليكم (الطلاق؛ 4-5) "؛ " ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ امره، قد جعل الله لكل شيء قدرا. (الطلاق؛ 3) ".

---

[500] في (مط) " من ".

[501] في (مط) و(س) و(ر) " الجسم ".

والوصية

أيها الطالب للعلوم، والناظر في التصانيف، والمستشرف[502] على كلام الناس وكتب الحكمة، ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله، ولله، وفي الله، لأنه إن لم يكن نظرك به وَكلَكَ إلى نفسك، أو إلى من جعلت نظرك به إذا[503] كان غيره من فهم، أو علم، أو حفظ، أو إمام متبع، أو صحة تميز[504]، أو ما شاكل ذلك. وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره، ونكصت على عقبيك[505]، وخسرت في الدارين[506] صفقتك، وعاد كل ما هو لك[507] عليك. " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا. (الكهف؛ 110)

[502] في (ر) " المتشرّف ".

[503] في (مط) " أباً ".

[504] في (مط) " ميّز "، وفي (س) " ميزان "، وسقطت هذه الكلمة من (ر).

[505] تضمين للآية 48 من سورة الأنفال.

[506] في (س) " الدين ".

[507] في (مط) " وعاد كلّ هول عليك ".

". وكذلك[508] إن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره، ولاحظت بالحقيقة سواه، ورؤية غيره دونه تُعْمي القلب، وتهتك الجلب[509]، وتحجب اللب.

وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم، فلا تنظره بازدراء كمن يستغني عنه في الظاهر وله إليه كبير[510] حاجة في الباطن[511]، ولا يقف بك[512] حيث وقف به كلامه، فالمعاني أوسع من العبارات، والصدور أفسح من الكتب المؤلفات، وكثير علم ما[513] لم يعبر عنه. واطمح[514] بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل، فذلك يعرفك قدره،[515] ويفتح لك باب قصده، ولا تقطع له بصحة، ولا تحكم[516] عليه بفساد، وليكن تحسين الظن أغلب[517] عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك بما تتيقن من معانيه. وإذا رأيت حسنة وسيئة، فانشر الحسنة، واطلب المعاذير للسيئة، ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ما تجده.

---

[508] سقطت من (ر).

[509] في (مط) " الستر "، وفي (ر) " الحجب ".

[510] في (مط) " كثير ".

[511] سقطت " في الباطن " من (س).

[512] في (مط) و (س) "ولا تقف به ".

[513] في (مط) " ممّا ".

[514] في (ر) " والطمح ".

[515] في (ر) وطبعة المنهاج " وجه قدره ".

[516] في (س) " ولا تقطع ".

[517] في (ر) " أعلم ".

ولا تعجل على أحد بالتخطِئة، ولا تبادر بالتجهيل، فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر، فلكل عالم غور، وله في بعض ما يأتي به احتجاب.[518]

وناهيك بما جرى بين ولي الله تعالى الخَضِر، وكليمه موسى على نبينا[519] وعليهم السلام[520]. وإذا عرض لك[521] من كلام عالِمٍ إشكال يؤذن في الظاهر[522] بمحال واختلال، فخذ ما ظهر لك علمه، ودع ما اعتاص عليك فهمه، وكِلْ العلم[523] فيه إلى الله عز وجل.

فهذه وصيتي إليك[524] فاحفظها، وتذكيري إياك فلا تذهل عنه.

اسمع وصياتي[525] فإن تقبل حظيت بها[526] وإن تخالف فقد يزري بك الخلفُ

ولا يغرنك جهال[527] أتوك بمـــا ... يجني محالا ومينا باطلا هـرف[528]

---

[518] في (ر) " قصد "، وفي (مط) وطبعة المنهاج " احتجاج ".

[519] سقطت من (ر).

[520] يقصد بذلك ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف من الآية 60 إلى الآية 82.

[521] سقطت " لك " من (ش).

[522] سقطت من (ر).

[523] سقطت " العلم " من (ر).

[524] سقطت من (س) وفي (مط) و(ر) " لك ".

[525] في (ر) وطبعة المنهاج "وصاتي" وفي (مط) "وصيّتي".

[526] سقطت " بها " من (س).

[527] في (ش) " جهالا ".

[528] لم يرد هذا البيت في (مط)، ولم نهتد لمعرفة قائله فيما توفّر لدينا من المصادر والمراجع.

[أصناف العلماء][529]

وأزيدك زيادة تقتضي التعريف بأصناف العلماء، لكي تعرف[530] أهل الحقيقة من غيرهم، فلك[531] في ذلك أكبر منفعة، ولي في وصفهم أبلغ عرض[532].

قال بعض[533] علمائنا: العلماء ثلاثة: حجة، وحجاج، ومحجوج.

فالحجة والحجاج[534] عالمان بالله وبأمره وبآياته[535]، علامتهما[536] الخشية لله سبحانه[537]، والورع في الدين، والزهد في الدنيا، والإيثار لله عز وجل[538]، [لكن

---

[529] ما بين معقوفتين أضفناه كعنوان للفصل بين الوصية وما زاده حجّة الإسلام كتعاريف للتفريق كما ذكر: " بين أهل الحقيقة وغيرهم ".

[530] في (مط) " يعرف ".

[531] في (ر) " ذلك ".

[532] في (مط) " غرض".

[533] سقطت من (مط).

[534] سقطت من (ش).

[535] في (س) " بأيّامه "، وفي طبعة المنهاج " بنهيه وبآياته وبأيّامه ".

[536] في (ش) " مهتمّا ".

[537] سقطت من (س).

[538] في (ر) " سبحانه ".

الحجة محفوظ من المراء والجدال والخصومات، فهو حبر عليم، على صراط][539] الله المستقيم[540].

والحجاج: مدفوع إلى إقامة الحجة، وإطفاء نار البدعة، قد أخرس المتكلمين، وأفحم المتخرصين، برهانه ساطع، وبيانه قاطع، وحقه[541] ما[542] ينازَع، شواهده بينة، ونجومه نيرة، قد حُمِيَ [به الدين، وعرف بواضح برهانه وحقائقه[543] ودلائله وضح الحق المبين، فهو رباني عليم، على][544] صراط الله المستقيم.

والمحجوج: عالم بالله وبأمره وبآياته[545]، ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه، وحجبه عن الورع والزهد في الدنيا الرغبة[546] والحرص، وبعده من بركات علمه محبة العلو والشرف، وخوف السقوط والفقر؛ فهو عبد لعبيد الدنيا، خادم لِخَدَمِها، مفتون بعد علمه، مغتر بعد معرفته[547]، مخذول بعد بصيرته[548]، شأنه

---

[539] ما بين المعقوفتين ساقط من (مط). وفي (ر) " على صراط الله مستقيم ".

[540] في (مط) " المستقيم ".

[541] في (مط) " وحفظه ".

[542] سقطت من (ر).

[543] سقطت من (س).

[544] ما بين المعقوفتين ساقط من (مط).

[545] في (س) " بأيّامه "، وفي طبعة المنهاج " بآياته وبأيّامه ".

[546] في (مط) " والرغبة ".

[547] في (ر) " مغير معرفته ".

[548] في (مط) وطبعة المنهاج " بعد نصرته "، وفي (ر) " بعد تقرّبه ".

الاحتقار لنعم[549] الله تعالى، والازدراء بأوليائه[550]، والاستخفاف[551] بالجهال من عباده، وفخره بلقاء أميره، وصِلة سلطانه، وطاعة القاضي والوزير والحاجب له؛ قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه[552]، [وأهلك الجهال][553] والأتباع له، ومن يكون بعده قدوة له[554]، ومراده من الدنيا مثله، وفي مثل هذا ضرب الله المثل حين قال: " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا[555] فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث...(الأعراف؛ 175-176) ".

فويل لمن صحِب مثل هذا في دنياه، وويل لمن اتبعه في دينه، وهذا هو آكل[556] بدينه، غير منصف لله سبحانه في نفسه، ولا ناصح له في عباده[557]، تراه إن أعطي

---

[549] في (مط) " لوجه ".

[550] في (مط) " لأوليائه ".

[551] في (مط) " والاستخلاف ".

[552] في (ر) " قد هلك لم ينتفع بعلمه ".

[553] ما بين المعقوفتين ساقط من (مط).

[554] في (مط) " به ".

[555] لم يأت ناسخ (ر) بالآية بأكملها بل قطع الكلام وأردف ب " الآية".

[556] في (مط) " هو الذي أكل ".

[557] في (ر) جاءت هذه الجملة كالتالي: " غير منصف لله تعالى في عباده ". وقد خلط الناسخ في هذا الموضع من المخطوط (ر) بين سطور ثلاث فجاءت العبارات لا معنى لها أو تكاد، ويستمرّ هذا الخلط إلى كلمة " الأرزاق ".

من الدنيا رضي بالمدحة لمن أعطاه، وإن مُنع رضي بالذم[558] [لمن منعه][559]، وقد نسي من قسم الأرزاق، وقدر الأقدار، وأجرى الأسباب، وفرغ من الخلق كله[560]، فنعوذ بالله من الجور[561] بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى[562].

وإنما زدتك هذه الزيادة -وإن ظهر لكثير أنها ليست من الغرض الذي نحن فيه- فقصدي أن يعلم من ذهب[563] من الناس ومن بقي، ومن أبصر الحقائق ومن عمي، ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى. فلتعلم أن الصنفين[564] الأولين من العلماء قد ذهبوا، وإن كان بقي منهم أحد فهو غير محسوس للناس، ولا مدرك بالمخالطة[565]:

غاب الذين إذا ما حدثوا صدقوا وظنهم كيقين إن هم حَدَسوا[566]

وذلك لما سبق في القضاء من ظهور الفساد، وعدم أهل الصلاح والرشاد. نعم، وعدم الصنف الثالث على عزته[567]، وأعز شيء على وجه الأرض في[568]

---

[558] في (مط) " رشّ بالدم ".

[559] ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

[560] في (مط) " كلّهم ".

[561] في (مط) " الحور ".

[562] سقطت من (ر).

[563] سقطت من (ر).

[564] في (ر) " النصفين ".

[565] في (مط) " بالملاحظة ".

[566] بيت لم نهتد لقائله.

[567] في (مط) " غربته ".

[568] في (مط) " وفي ".

الغالب ما يقع عليه بالحقيقة اسم علم[569] عند شخص مشهور به. وإنما الموجود اليوم أهل سخافة، ودعوى، وحماقة، واجتراء، وعجب بغير فضيلة، ورياء، " يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (آل عمران؛ 188) ". وهم أكثر من عمر الأرض، وصيروا أنفسهم أوتاد البلاد، وأرسان العوام، وهم حلفاء[570] إبليس، وأعداء الحقائق، وأخدان لعوائد السوء، وعنهم يرد عيب[571] الحكم الشائعة، [والبغض من العلماء العارفين][572]، وانتقاص أهل الإرادة والدين.

مثل البهائم جهال بخالقهم[573] لهم تصاوير لم يعرف لهن حجا[574]

كل يروم على مقدار حيلته زوائر الأسد والنباحة اللهثا[575]

["فاحذرهم، قاتلهم الله، أنى يؤفكون. (المنافقون؛ 4) "؛ " اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله، إنهم ساء ما كانوا يعملون. (المنافقون؛ 2) "؛ " أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون. (الأعراف؛ 179) ".

أولو النفاق إذا[576] قلت أصدقوا كذبوا من السفاه وإن قلت أكذبوا صدقوا][577]

---

[569] في (س) " العلم ".

[570] في (مط) " خلفاء ".

[571] في (مط) " عتب ".

[572]ما بين المعقوفتين ساقط من (مط) ومن (ر).

[573] في (ر) و(س) " مثل البهائم جهّلا عن خالقهم ".

[574] في (س) " لهم تصاوير لم يقرن بهنّ حجا ".

[575] في (س) " أين الأسود من النباحة اللهث ". والبيتان لم نهتد لمعرفة قائلهما.

[576] في (مط) " فإن ".

[577] ما بين المعقوفتين سقط من (ر). والبيت لم يعرف قائله.

فلنأخذ في جواب ما سألت عنه على نحو ما رغبت فيه، وأستوهب الله نفوذ البصيرة، وحسن السريرة، وغفران الجريرة. فهو ربي ورب كل شيء، وإليه المصير[578].

[578] في (ر) وطبعة المنهاج زيادة " وهو حسبي ونعم الوكيل ".

ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة

جرى الرسم في الإحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيهاً بالجوز[579] لموافقة الغرض[580] في التمثيل به[581]، وذكرتَ[582] بأن[583] المعترض وسوس، أو بالخواطر[584] هجس، بأن لفظ التوحيد ينافي التقسيم، إذ لا يخلو إما أن يتعلق بوصف الواحد الذي ليس بزائد عليه، فذلك لا ينقسم لا بالجنس ولا بالفصل[585]، ولا بغير ذلك، وإما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين يوجب لهم حكمه إذا وجد فيهم، فذلك أيضاً لا ينقسم من حيث انتسابهم إليه بالعقد[586]،

---

[579] سقطت من (مط).

[580] في طبعة المنهاج " لموافقته للغرض ".

[581] انظر إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 202- 208.

[582] في طبعة المنهاج " وذَكَرْتُ "، وهذا يعارض ما سبق لأنّ هذا القول ذكره السائل ونسبه إلى معترض مجهول. وفي (ش) ما يؤكد ما ذهبنا إليه إذ وضع الناسخ فتحة على التاء، ممّا جعل منها تاء المخاطب وليس كما توهّمت اللجنة العلمية لدار المنهاج، إذ بوضع الضمة فوق التاء صيّرتها تاء المتكلّم. زد على ذلك أن ما سيتلو هذا الكلام إنّما هو قول من شغّب على الإحياء، وقد تقدّم أنّ هذا الذي ورد هنا إنّما هو سؤال سبق للسائل طرحه على صاحب الإملاء.

[583] في (س) و(مط) أنّ.

[584] في (س) " بالخاطر ".

[585] في (س) " لا بالحسّ ولا بالعقل ".

[586] في (مط) " بالعقل ".

وذلك لضيق المجال فيه. ولهذا[587] لا يتصور فيه مذاهب، وإنما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين: أحدهما شرك، والآخر[588] تلاش[589]، وكلا الطرفين كفر، والوسط إيمان محض، وهو أحَد من السيف وأضيق من خط الظل. ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل [إيمان][590] جميع المؤمنين، من[591] الملائكة، والنبيين، والمرسلين، وسائر عموم المسلمين[592]؛ وإنما تختلف طرق إيمانهم التي هي علومهم، ومذهبهم في ذلك معروف[593].

ونحن لا نلم في هذه الإجابة[594] كلها بشيء من أنحاء الجدال، ومقابلة الأقوال بالأقوال، بل نقصد إزالة عين[595] الإشكال، ورد ما طعن به أهل الضلال والإضلال.

---

[587] في (ش) " وهذا ".

[588] في (مط) " والثاني ".

[589] في (ر) " إياس "، وفي (مط) " الالباس ".

[590] ما بين المعقوفتين ساقط من (ش).

[591] في (مط) " والملائكة ".

[592] في (مط) " المرسلين ".

[593] في (ش) " ومذاهبهم في ذلك معروفة ".

[594] في طبعة المنهاج " الأجوبة ".

[595] في (مط) " غير ".

واعلم أن التقسيم على الإطلاق يستعمل على أنحاء[596] لا يتوجه ههنا بشيء[597] [مما][598] قدح به المعترض[599]، أو هجس به الخاطر، وإنما المستعمل ههنا من أنحائه ما يتميز به بعض الأشخاص [بما اختصت[600] به من الأحوال][601]، وكل حالة منها تسمى توحيداً على جهة تنفرد بها، لا يشاركها فيها غيرها. فمن وجد[602] التوحيد بلسانه سمي[603] لأجله موحداً، ما دام الظن به[604] أن قلبه موافق للسانه. وإن علم منه خلاف ذلك، سلب عنه الاسم، وأقيم عليه ما شرع من[605] الحكم. ومن وجد[606] بقلبه على طريق الركون إليه، والميل إلى اعتقاده، والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه، ولا برهان يربط به، سمي أيضاً موحداً على معنى أنه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعياً، والحنبلي حنبلياً. ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وتنتفي[607]

---

[596] في (ش) " على أنحاء الأجوبة. "

[597] في طبعة المنهاج " شيء ".

[598] سقطت من (مط).

[599] في (ر) " المقوض ".

[600] في طبعة المنهاج " اختصّ ".

[601] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[602] في طبعة المنهاج " فمن وجد منه " دون عزو.

[603] في (ر) " تسمّى "، وفي (مط) " يسمّى ".

[604] في (مط) " يظنّ ".

[605] في (مط) " في ".

[606] في (ش) و(ر) وطبعة المنهاج " وحّد ".

[607] في (مط) " وسعى ".

من أجله شكوكه العارضة له، فيسمى موحداً [من جهة][608] أنه عارف به، كما[609] يقال جدليا ونحويا وفقيها[610]، ومعناه أنه عرف[611] الجدل والفقه والنحو.

وأما من استغرق علمُ التوحيد قلبَه، واستولى على جملته حتى لا يوجد[612] فيه فضل لغيره إلا على طريق التبعية له، ويكون شهود التوحيد لكل ما عداه، سابقاً له مع الذكر والتذكير[613]، مصاحباً من غير أن يعتريه ذهول عنه[614] ولا نسيان له لأجل اشتغاله بغيره، كالعادة في سائر العلوم، فهذا يُسمى موحداً، ويكون القصد بما يسمى[615] من ذلك المبالغة فيه.

فأما الصنف الأول، وهم أرباب النطق المجرد[616]، فلا يضربون في التوحيد بسهم، ولا يفوزون منه بنصيب، ولا يكون لهم شيء من أحكام أهله إلا في

---

[608] سقطت من (مط).

[609] سقطت من (مط).

[610] في (مط) و (س) " جدليّ ونحويّ وفقيه ".

[611] في طبعة المنهاج " أنّه يعرف ". وفي (ر) " أي يعرف "، وفي (مط) " ومعناه يعرف "، وفي (ش) " أي عرف ".

[612] في (مط) " يجد ".

[613] في (مط) وطبعة المنهاج " والفكر "، وفي (س) " والتذكر ".

[614] سقطت من (مط).

[615] في طبعة المنهاج " يسمّى به ".

[616] في (ش) و(مط) " المفرد ".

الحياة الأولى[617] ما دام الظن بهم أن قلب أحدهم موافق للسانه، كما نعيد[618] القول عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل.

وأما الصنف الثاني، وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم[619] أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل، أو يأمر به[620]، ويلزم البشر قول لا إله إلا الله المنبئ عنه، فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل، فنُسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم، وبمنزلة " من كثر سواد قوم فهو منهم "[621].

وأما الصنف الثالث[622] والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم، ثم إلى سائر أنواع المخلوقات، فتأملوها فرأوا على كل منها خطاً منطبعاً فيها ليس بعربي، ولا سرياني، ولا عبراني، ولا غير ذلك من أجناس

---

[617] سقطت من (مط).

[618] في (مط) " يفرد ".

[619] سقطت صلّى الله عليه وسلّم من (ر).

[620] في (س) " ويأمر به ".

[621] حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العاليّة عن أبي يعلى ولفظه: قال أبو يعلى: حدّثنا أبو همام، أنبأنا ابن وهب، أخبرني بكر بن مضر عن عمرو، قال: " إنّ رجلا دعا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى وليمة فلمّا جاء سمع لهوا فلم يدخل، فقال: ما لك؟ قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: " من كثّر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم كان شريكا لمن عمله ". انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق سعد بن ناصر الشثري وآخرين، الرياض، دار العصمة / دار الغيث، 1419هـ/ 1998م، ج 8، ص 319، حديث: 1660.

[622] سقطت الثالث من (ر) ".

الخطوط، فبادر[623] إلى قراءته[624] من لم يستعجم عليه، [وتعلمه منهم من استعجم عليه]،[625] فإذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة كل مخلوق، المنطبع فيه من مركب ومفرد[626]، وصفة[627] وموصوف، وحي وجماد، وناطق وصامت، ومتحرك وساكن، ومظلم ونير، وهو الذي يسمى تارة بعلامة، وتارة بسِمَة، وتارة بأثر القدرة، وتارة بآية، كمال قال الشاعر، ولا أدري عن سماع أو رؤية قلب[628]:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحدُ[629]

---

[623] في (س) " فبادروا ".

[624] في (مط) " قراءة ".

[625] سقطت ما بين المعقوفتين من (ر).

[626] في (س) " مفرد ومركب ".

[627] سقطت من (س).

[628] سقطت من (س) و(ش).

[629]في طبعة المنهاج تجد هذا البيت مسبوقا ببيت قبله، ولم يساعدنا الهامش المصاحب لهذين البيتين على معرفة المخطوط الذي أخذ منه هذا البيت الذي ربّما أقحم في طبعة المنهاج. والبيت لأبي العتاهية، وهو البيت الأخير من مقطوعة صغيرة تتكوّن من خمسة أبيات مطلعها:

ألا إنّنا كلّنا بائد وأيّ بني آدم خالد

والبيت الذي أضافته طبعة المنهاج هو البيت الثالث من المقطوعة وهو:

فوا عجباً كيف يُعْصى الإلـ ... ـهُ أم كيف يَجْحَدُهُ جاحِدُ

وفي الديوان:

فيا عجبًا كيف يَعْصي الإلـ ... ـه أم كيف يَجْحَدُهُ جاحِدُ

فلما قرأوا ذلك الخط وجدوا تفسيره حدوث[630] المكتوب عليه، وشرحه أبدية مالكه، والتصريف له بالقدرة على حكم الإرادة بما ثبت في سابق[631] العلم من غير مزيد ولا نقص[632]، فتركوا الكتابة والمكتوب، وترقوا [منها][633] إلى معرفة الكاتب الذي أحدث الأشياء وكونها، ولا يخرج عن ملكه شيء منها، ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته [طرفة عين ولا أقل من ذلك] [634]، ولا انتهضت إلى الحرية[635] عن رق استعباده، فوجدوه كما وصف نفسه " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (الشورى؛ 11) ". فحصلت[636] لهم التفرقة والجمع، وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بذاته[637]، وإيجاد غيره[638]، وعقلت أنها عقلت[639] توحيده. فسبحان من يسرها لذلك، وفتح عليها ما[640] ليس في وسعها أن تدركه إلا به، وهو اللطيف الخبير.

انظر ديوان أبي العتاهية، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ/ 1986م، ص 122.

[630] في (مط) ذلك.

[631] في (مط) " سبق في ثابت "، وفي (ر) " بما سبق في سابق العلم ".

[632] في (مط) "تقصير ".

[633] سقطت من (مط).

[634] سقط ما بين المعقوفتين من (ش) و(ر) و(مط).

[635] في (مط) " انتقلت إلى الحريّة "، وفي (ر) " ولا انتقدت إلى الحريّة ".

[636] في (مط) " خلصت ".

[637] سقطت بذاته من (ش) وطبعة المنهاج وورد مكانها في (مط) و (ر) " بإذنه ".

[638] في (مط) و(ر) " وإيجاده عن غيره "، وفي (ش) وطبعة المنهاج " وإيجاد غيره بإذنه ".

[639] في (ر) " وعلقت أنّها علّلت ".

[640] في (ر) و (مط) " بما ".

لكن الصنف الثالث لم يبعد[641] كل[642] منهم أن عرف نفسه موحدا لربه [643] فيما لا يزال وهم المقربون.

والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن عرف ربه موحدا[644] لنفسه فيما لم يزل[645]، وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير.

وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم، فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده [أو لا يوجد][646].

فأما من عدمت[647] عنده فهو كافر، إن كان في زمن الدعوة، أو على قرب يمكن وصول علمها إليه، أو في فترة لا يتوجه[648] عليه فيها التكليف، وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام.

وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به، والمقلدون هم العوام، وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب[649].

---

[641] في (مط) يقصر، وفي (ش) " يتعدّ ".

[642] في (مط) " كلّ واحد ".

[643] في (مط) " أن يعرف نفسه موجودا لديه ".

[644] في (مط) " موجودا "، وسقطت عبارة "فيما لا يزال" من (ر).

[645] في (مط) " لا يزال ".

[646] ساقط من (مط).

[647] في (ر) " انعدمت ".

[648] في (مط) وطبعة المنهاج " يتوجّه ".

[649] وهو الموحّد الذي قال فيه الغزالي في الإحياء: " موحّد بمعنى أنّه معتقد بقلبه، مفهوم لفظه، خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه، وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح، ولكنّه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن توفّي عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدته،

وأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أُعدت لصفة[650] دون النبوة، أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ. فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون، وهم أهل المرتبة الثالثة

والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون، وهم أهل المرتبة الرابعة.

وهذا تقسيم ظاهر الصحة، إذ هو دائر بين النفي والإثبات، ومحصور بين المبادئ والغايات، ولم يدخل أهل المرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم، إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب[651] كاذب، ودعوى غير صادقة[652].

ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث، ومزيد شرح، وبسط بيان[653] تعرف منه، بإذن الله عز وجل، حقيقة كل مرتبة ومقام، وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان، بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان.

ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله يسمّى بدعة، وله حيل يقصد بها رفع حيلة التحليل والتضعيف ،ويقصد بها أيضا إحكام هذه العقدة وشدّها على القلب وتسمّى كلاما، والعارف بها يسمّى متكلِّما، وهو في مقابلة المبتدع، ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوامّ، وقد يخصّ المتكلِّم باسم الموحّد من حيث إنّه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوامّ حتّى لا تنحلّ عقدته ". إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 202- 203.

[650] في (مط) و(ر) وطبعة المنهاج "لصنفه".

[651] في (ر) " الانتساب ".

[652] في (مط) " صافية ".

[653] في (ر) " ومزيد بيان وبسط شرح ".

فأقول: أرباب النطق المجرد أربعة أصناف:

أحدهم صنف[654] نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه، ولا تصوروا[655] صحته ولا فساده، ولا صدقه ولا كذبه، ولا خطأه ولا صوابه، إذ لم يبحثوا عنه[656]، ولا أرادوا فهمه، إما لبعد همتهم، وقلة اكتراثهم، وإما لنفورهم عن التعب، وخوفهم إن هم تكلفوا [657] البحث عما نطقوا به أن[658] يَبْدُوَ لهم ما يُلزمهم الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك، فإن التزموها[659] فارقوا راحات أبدانهم العاجلة، وفراغ أنفسهم، وإن لم يلتزموا شيئاً من ذلك[660]، وقد حصل لهم العلم، فيكون عيشهم منغصا[661]، وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ما علموا لزومه. ومثل هؤلاء

---

[654] سقطت من (ر) و(مط) و(س).

[655] في (مط) " لا يتصوّرون ".

[656] في (ر) و(مط) و(س) " ولم يبحثوا عليه ".

[657] في (مط) " أن يكلّفوا ".

[658] في (مط) " أو ".

[659] بياض محل هذه الكلمة في (ر).

[660] في (ر) " وإن لم يلتزموها ".

[661] في (مط) " فتكون معيشتهم منغّصة ".

مثل من يريد قراءة الطب، أو يعرض عليه، ولكنه يمنعه منه[662] مخافة أن يتطلع منه على ما يعيب عنده[663] بعض ملاذه من الأطعمة، والأشربة، والأنكحة، أو كثير منها، فيحتاج إلى أن يتركها أو يرتكبها على رقبة، و[664]خوف أن يصيبه ضرر ما يعلم ضرره منها[665]، فيدع قراءة الطب رأساً. فإذا سئل هذا الصنف [عن معنى ما نطقوا به][666]، وهل اعتقدوه فيقولون: " لا نعلم فيه ما يعتقد[667]، وما دعانا إلى[668] النطق به شيء][669] إلا مساعدة الجماهير، وانخراطاً بإظهار القول في الجم الغفير، ولا نعرف هل[670] ما قلناه بالحقيقة من قبيل العُرف أو النكير ".

---

[662] في (مط) و(ش) و(ر) " عنه ".

[663] في (مط) " ما يغير عنه ".

[664] في طبعة المنهاج " أو ".

[665] في (ر) " من ضرر منها " وفي (مط) " صورة ما يعلم ضرورة منها ".

[666] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[667] في (ش) " نعتقد ".

[668] سقطت من (مط).

[669] سقط ما بين المعقوفتين من (ش) و(مط) و(ر).

[670] سقطت من (ر) وفي (ش) " لا نعلم على ".

ولا شك[671] أن هذا الصنف الذي أخبر[672] صلى الله عليه وسلم [عن حاله][673] بمساءلة[674] الملكين أحدهم في القبر، إذ يقولان له: " من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟" فيقول: " لا أدري[675]، سمعت الناس يقولون قولاً[676] فقلته. " فيقولان له: " لا دريت ولا تليت ". وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الشاك أو المرتاب.[677]

والصنف الثاني: نطقوا[678] كما نطق الذين من قبلهم، ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان، ولا ينتظم به معنى التوحيد، وذلك مثل ما قالت السبائية، طائفة من الشيعة القدماء، إن علياً هو الإله. وبلغ أمرُهم علياً رضي الله عنه، وكانوا في زمنه، فحرق منهم جماعة[679]. وأمثال من نطق بالشهادتين كثير

---

[671] في (س) " ولا أشكّ ".

[672] في (ر) وطبعة المنهاج " أخبر النبيّ ".

[673] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[674] في (مط) "بمسألة ".

[675] في (س) " هاه، هاه لا أدري..."

[676] في طبعة المنهاج " شيئا ".

[677] انظر الحديث بتمامه في البخاري، صحيح، حديث: 1273 و1308.

[678] في (مط) " نطق ".

[679]هم السبأيّة ادّعوا الإلهية أيضا لعليّ بن أبي طالب وزعموا أنّه في السحاب. وقد أحرق عليّ رضي الله عنه جماعة منهم إذ قالوا له: " أنت هو. " فقال: " ومن هو؟ " قالوا: " الله. " وفي ذلك يقول:

لمّا رأيت الأمر أمرا منكرا أوقدت نارا ودعوت قنبرا

البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.، ص 233- 236. الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمّد الوكيل،

ثم أصحب[680] نطقه مثل هذا النكير، ويسمون الزنادقة. وقد رأينا[681] حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك: " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في الجنة إلا الزنادقة "[682].

والصنف الثالث: نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم، ولكنهم أسروا[683] التكذيب واعتقدوا الرد، واستبطنوا[684] خلاف ما ظهر منهم من الإقرار، وإذا رجعوا إلى أهل الإلحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر. فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه[685] بقوله[686]: " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنما نحن مستهزئون، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون. (البقرة؛ 14-15)".

القاهرة، مؤسّسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، 1387- 1388هـ/ 1968م، ج 1، ص 174.

[680] في (مط) " أصحاب ".

[681] في طبعة المنهاج " وقد روينا ".

[682] انظر تعليق جلال الدين السيوطي على هذا الحديث في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، بيروت، دار المعرفة، 1395هـ/ 1975م، ج 1، ص 248- 249. وانظر أيضا تخريج الحافظ الديلمي في فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج عن كتاب الشهاب، تحقيق فؤاد أحمد الزمرلي ومحمّد المعتصم بالله، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، ج 2، ص 98، حديث: 2177.

[683] في (مط) " آثروا ".

[684] في (ش) " واستنطقوا ".

[685] في (ر) " الذين ذكرهم في كتابه العزيز جلّ وتعالى ".

[686] في (س) " فقال ".

الصنف الرابع: قوم لم يعرفوا التوحيد ولا نشأوا عليه، ولا عرفوا أهله، ولا سكنوا بين أظهرهم، ولكنهم حين وصلوا إلينا أو وصل إليهم أحد منا[687]، خوطبوا بالأمر المقتضي للنطق بالشهادتين والإقرار بهما، فقالوا: " لا نعلم مقتضى هذا اللفظ، ولا نعقل[688] معنى المأمور به من النطق. " فأمروا أن يظهروا الرضا [بالقول، ثم][689] يفهموا بلا مهلة، فسكنوا إلى ما قيل لهم، ونطقوا بالشهادتين ظاهراً وهم على الجهل بما يعتقدون فيها، فاخترم أحد منهم من حينه[690] من قبل أن يتأتى[691] منه استفهام أو تصور يمكن أن يكون له معتقد[692]، فهذا يُرجى ألا تضيق عليه[693] سعة رحمة الله عز وجل. والحكم عليه بالنار، والخلود فيها مع الكفار تحكمٌ على غيب الله سبحانه.

وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رُزقوا من بُعْدِ الفهم، وغيب الذهن، وفرط البلادة أن يُدْعوا إلى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاكاة[694]، ثم يُدْعَوْا إلى تفهم المعنى بكل وجه، فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهيمه، كأنما يخاطب[695] بهيمة. ومثل هذا أيضاً في الوجود كثير،

---

687 في (س) " وصل أحد منّا إليهم ".

688 في (ر) " لا نعلم ".

689 سقطت من (مط).

690 في طبعة المنهاج " واخترم أحد منهم من حينه".

691 في (مط) " يأتي ".

692 في (مط) " معه معتقد ".

693 في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " عنه ".

694 في (مط) " محاذاة ".

695 في (مط) وطبعة المنهاج " تخاطب ".

ولا حكم[696] على مثله بخلود في النار، ولا أبعد[697] أن يكون[698] هذا الصنف بأسره، أعني المخترم قبل تحصيل العقد، مع هذا البليد البعيد، بعض من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة، الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول [تعالى][699]: " فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتي. " وهو أرحم الراحمين. فيخرج من النار أقواماً لم يعملوا حسنة قط، ويدخلون الجنة ويكون في أعناقهم سمات، ويسمون عتقاء الله عز وجل[700]. والحديث فيه طول وهو صحيح، اختصرت[701] منه قدر الحاجة على المعنى.

وحكم الصنف الأول والثاني والثالث أجمعين ألا يجب[702] لهم حرمة، ولا يكون لهم عصمة، ولا ينسبون إلى إيمان ولا إلى[703] إسلام، بل هم أجمعون من زمر[704] الكافرين، وجملة الهالكين. فإن عثر عليهم في الدنيا قتلوا فيها

---

[696] في (ر) و(مط) " لا أحكم ".

[697] في (مط) " ولا بعد "، وفي طبعة المنهاج " ولا يبعد ".

[698] سقطت من (مط).

[699] سقطت من (ش).

[700] انظر الحديث بطوله كما جاء عند البخاري، صحيح، حديث: 7001. مسلم، صحيح، حديث: 183.

[701] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " وإنّما اختصرت ".

[702] في (ر) وطبعة المنهاج " ألّا تجب ".

[703] سقطت من (س).

[704] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " من زمرة ".

بسيوف الموحدين، وإن لم يعثر[705] عليهم، وإلا فهم صائرون إلى جهنم خالدون فيها " تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون. (المؤمنون؛ 104) ".

[705] في (ش) " وإن لم يعثروا ".

فصل: التوحيد دون اعتقاد وتمثيله بقشر الجوز الأعلى

ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد إذا انفرد[706] عن العقد، وتجرد عنه، لم يقع به في حكم الشرع منفعة، ولا لصاحبه بسببه نجاة، إلا مدة حياته عن السيف أن يراق دمه، واليد أن تسلط على ماله إذا لم يعلم خَفِيُ حاله، حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى، فهو لا يحمل[707] في الأكمام، ولا يرفع في البيوت، ولا يحضر في مجالس الطعام[708]، ولا تشتهيه النفوس إلا ما دام منطوياً على مطعمه، صوناً[709] على لبه، فإذا أزيل عنه بكسر، أو علم منه أنه منطوٍ على فراغ، أو سوس، أو طعمة فاسدة[710]، لم يصلح لشيء[711]، ولم يبق فيه غرض لأحد. وهذا لا خفاء بصحته.

والغرض بالتمثيل تقريب ما غمض إلى نفس الطالب، وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع فهمه. وليس من شرط المثال أن يطابق[712] المُمَثل به من كل

---

[706] في (س) " تفرد ".

[707] في (مط) " لا يحتمل ".

[708] في (مط) " ولا يحضر في المجالس أي مجالس الطعام ".

[709] في (س) وطبعة المنهاج " صوانا ".

[710] في (مط) " أو طعمه فاسد ".

[711] في هامش (ش) " سوى النار ".

[712] في (ر) " وليس من شرطه أن يكون هذا المثال مطابقا ".

وجه[713]، فكأن يكون هو [هو][714]، ولكن من شرطه أن يكون مطابقاً للوجه[715] المراد منه[716].

---

[713] في (س) " الوجوه ".

[714] ليست في (مط).

[715] في (مط) " الواحد ".

[716] في (س) "به ".

فصل: في السبب الصارف لأهل النطق المجرد عن الاعتقاد

فإن قلت فما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى يعلموا[717]، أو عن الاعتقاد حتى يخلصوا[718] به من عذاب الله، وهم في الظاهر قادرون على ذلك؟ وما المانع الخفي الذي أبعدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم [في ذلك][719] كبير مؤونة ولا عظيم مشقة[720]؟.

فاعلم أن هذا السؤال يفتح باباً عظيماً، ويهز[721] قاعدة كبيرة[722] نخاف[723] من التوغل فيها أن نخرج[724] من المقصد. ولكن لا بد إذا[725] وقع في الأسماع،

---

[717] في (مط) " تعلموا ".

[718] في (مط) " تخلصوا ".

[719] سقطت من (مط).

[720] في (مط) " نفقة ".

[721] بياض محلّ هذه الكلمة في (ر).

[722] في (س) " كبرى ".

[723] في (مط) " يخاف ".

[724] في (مط) " يخرج ".

[725] سقطت من (ر) وفي طبعة المنهاج و(س) " إذ ".

ووعته قلوب الطالبين، واشرأبت[726] إلى سماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما تقع به الكفاية، وتقنع به النفوس بحول الله وقوته[727].

نعم، ما سبق في العلم القديم لا تجري بخلافه المقادير في الحديث[728]، منعهم من ذلك ما أراده الله عز وجل من اختصاص[729] قلوبهم بالأخلاق الكلابية، والشيم الذئابية، والطباع السبعية، وغلبتها عليهم. والملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب[730]. كذلك قال عليه الصلاة والسلام. والقلوب بيوت تولى الله بناءها[731] بيده، وأعدها لأن تكون خزائن علمه، ومشارب[732] مكنوناته، ومهبط ملائكته، ومغاشي أنواره، ومهاب نفحاته، ومجال[733] مكاشفاته، ومجاري رحمته، وهيأها لتحصيل المعرفة به. فمتى كان فيها شيء من تلك الأخلاق المذمومة، لم تدخلها الملائكة، ولم ينزل عليها شيء من الخير من قِبَلِه، إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه، وهم الوفود منه بالخيرات، والواصلون[734] إليه وعنه

---

726 في (مط) " واشتاقت ".

727 في طبعة المنهاج " بحول الله عزّ وجلّ وقوّته "، وفي (س) " بحول الله عزّ وجلّ ".

728 سقطت في الحديث من (مط).

729 في (ر) " منعهم من ذلك بإرادة الله عزّ وجلّ اختصاص... "، وفي (مط) " فهم من ذلك بإرادة الله عزّ وجلّ، جاء اختصاص..." وفي (س) منعهم من ذلك إرادة الله عزّ وجلّ اختصاص...

730البخاري، صحيح، حديث: 3053- 3055- 5605. مسلم، صحيح، حديث: 2061. الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2804.

731 في (ر) " مبانيها ".

732 في (مط) " مشارق ".

733 في طبعة المنهاج وفي (س) " ومحالّ ".

734 في (مط) " والموصلون ".

بالباقيات الصالحات. ولولا تلك الأخلاق المذمومة التي حلت فيهم، وهي التي ذُم الكلب لأجلها لما احترمت[735] الملائكة بإذن الله[736] عن حلولها فيها، وهي لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها، فحيثما حلت حل الخير في ذلك القلب بحلولها[737]، وإنما هي [مترصدة][738] لها، فحيثما وجدت قلباً خالياً ولو حيناً من الدهر وزمناً، نزلت عليه، ودخلته، وبثت[739] ما عندها من الخير حوله[740]. فإن لم يطرأ[741] على الملائكة ما يزعجها[742] عنه من تلك الأخلاق المذمومة[743] بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة، ثبتت عنده، وسكنت فيه، ولم تبرح منه، وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير. فإن كان البيت كثير الاتساع، أكثرت فيه من متاعها، واستعانت بغيرها حتى يمتلئ

---

[735] في طبعة المنهاج " أُحرمت "، وفي (ر) وقع خلط فجاءت العبارة كالتالي: " لمّا أحرمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب ". وسيعيد الإمام الغزالي رحمه الله عبارة احترمت الملائكة بعد عدّة أسطر؛ وهناك نجد (مط) وطبعة المنهاج متفقتان مع نسخة (ش). ونحن نتوقّف عن المقارنة بين (ر) وباقي مصادرنا لسقط أخلّ بـ (ر) يقدر بورقة أي صفحتين. يبدأ من "...لمّا أحرمت الملائكة..." إلى "... الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب."

[736] في (س) وطبعة المنهاج " الله عزّ وجلّ ".

[737] في هامش (ش) إشارة إلى إضافة " فيه ".

[738] سقطت من (مط).

[739] في (مط) " وثبتت "، وفي هامش (ش) فيه.

[740] سقطت حوله من (ش) و(مط).

[741] في (مط) "يظهر ".

[742] في (مط) " زعجها ".

[743] سقطت من (س).

البيت من متاعها وجهازها، وهو الإيمان بالله[744]، والصلاح، وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل. فإذا طرق ذلك البيت[745] طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع للمَلَك ويبث[746] فيه خُلُقاً مذموماً لا يوجد إلا في الكلب، وهو متاع الشيطان، قاتله المَلَك[747] وطرده عن ذلك المحل. فإن جاء للشيطان مَدَدٌ من الهوى من قِبَلِ النفس، ولم يجد الملك نُصْرَةً من عزم اليقين من قبل الروح، انهزم الملك، وأُخْلِيَ[748] البيت، ونُهِبَ المتاع، وخُرِبَ البيت[749] بعد عمارته، وأظلم بعد نوره[750]، وضاق بعد انشراحه، وهكذا حال من آمن وكفر، وأطاع وعصى، وضل واهتدى[751].

فإن قلت: فميز لي أعيان[752] هذه الأخلاق المذمومة التي صدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان، ونفرت الملائكة عن النزول إلى[753]

---

[744] سقطت " بالله " من (س).

[745] في (س) " البيت المعمور ".

[746] في (مط) " الملك ويثبت ".

[747] في (مط) " الله ".

[748] في (مط) و(س) " أَخْلى ".

[749] سقطت من طبعة المنهاج ومن (س).

[750] في (مط) " وأظلم نوره، وفي طبعة المنهاج " أظلم بعد إنارته ".

[751] في طبعة المنهاج: " اهتدى وضلّ "، وسيستدرك هذا الترتيب بعد بضعة أسطر.

[752] في (مط) أصناف.

[753] في طبعة المنهاج و(س) " على ".

قلوبهم بكشف معاني التوحيد، ومنعتهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيئاً من الخير[754] الكائن معها.

فاعلم أن الأخلاق التي لا تجتمع معها الملائكة في قلب واحد كثيرة، والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها، وهي[755] الطمع في غير خطير، والحرص على فانٍ حقير.

أما[756] الصنف الأول فإنهم جزعوا[757] وخافوا أن تبدو لهم صحة ما يشغلهم عن لذاتهم، وينغص عليهم ما رغبوا فيه من راحاتهم، ويكدر لديهم منال شهواتهم، فأبقوا أمرهم على ما هم عليه.

وأما الصنف الثاني والثالث فصدهم أيضاً خوف، وجزع، وحرص على ما أَلِفوه من تبجيل أخدانهم[758] أن يزول، ومؤانسة أشياعهم أن تتغير وتذهب، ومواساة أُلافِهِم[759] أن تنقطع، واستثقالاً لما يشاهدونه من أهل الإيمان أن يلتزموه، وفراراً من شرائطه وما يصحبه من الأعمال والوظائف أن يمتثلوه[760].

---

[754] في (مط) " الخيرات ".

[755] في طبعة المنهاج " ومنها ".

[756] في طبعة المنهاج " فأمّا ".

[757] في (مط) " رجعوا ".

[758] في (مط) " أحدهم ".

[759] في (مط) " إيلافهم ".

[760] في (مط) " إذ يمتثلوه ".

والكلب ما ذُم لصورته، وإنما ذُم لمثل هذه الأخلاق التي هي الطمع في الخسائس، والجزع من الصبر على ما يعد من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتاً فيه كلب[761].

فإن قلت[762]: فكيف آمن من كفر، وأطاع من عصى، واهتدى من ضل إذا كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر، والعاصي، والضال، بما يبثون[763] من الأخلاق المذمومة التي هي كلاب نابحة، وذئاب عاوية[764]، وسباع ضارية؟ وأصناف الخير إنما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة، وهي لا تدخل موضعاً يحل فيه شيء مما ذكرنا[765]، وإذا لم تدخل لم يصل إلى الخير الذي يكون معها [ولم يصل إليه][766]. فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله[767]، ومن لم يخلق مؤمناً معصوماً فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم.

فاعلم أن هذا يستدعي علم أصناف القلوب[768]، ولا سبيل إلى ذلك في هذا المقام. والقول والمعنى في جواب ما سألت عنه: أن للشيطان غفلات، وللأخلاق المذمومة عزمات[769]، كما أن الملائكة لها عن القلوب غيبات،

761 في (س) "أن تدخل بيتا تكون فيه ".

762 من هنا نستأنف المقارنة بين (ر) وباقي مصادر الإملاء.

763 في (مط) " يثبتون "، وفي (ر) " ينهون..".

764 في (ر) و(مط) " عادية ".

765 في (س) " ممّا ذكر ".

766 سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

767 في (ر) " كفره ".

768 في (مط) " أصنافاً من علم القلوب ".

769 في (ر) و(مط) " عدمات ".

ولتواتر الخير عليها فترات. فإذا وجد الملك كما أعلمتك قلباً خالياً ولو زمنا [فردا، حل][770] فيه وأراه ما عنده من الخير[771]، فإن صادف منه قبولاً، ولما عرض عليه من الخير[772] تشوفاً[773] ونزوعاً، أورد عليه ما يملأه ويستغرق لبه، وإن صادف منه ضجرا[774]، وسمع منه بجنود الشياطين استغاثة، وبالأخلاق الكلابية استعانة، رحل عنه وتركه. ولهذا قلما[775] خلا قلب عن لمة ملك، أو نزغة[776] شيطان[777].

فإن قلت: فأي بيت[778] فُهِمَ عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب؟ وأي كلب أراد[779]؟ هل بيت القلب وكلب الخُلُق، أم بيت اللبِنِ وكلب الحيوان؟

---

[770] في (مط) " ما فرّ ودخل ".

[771] سقطت " من الخير " من (س).

[772] سقطت " من الخير " من (س).

[773] في (مط) " تشوّقا ".

[774] في (مط) " صحوا ".

[775] في (مط) " قيل "، وسقطت قلّما من (ر).

[776] في (مط) " نزعة ".

[777] عن عبد اللّه بن مسعود قال: " قال رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وسلّم: إنّ للشيطان لمّة بابن آدم، وللملك لمّة، فأمّا لمّة الشيطان فإيعاد بالشرّ وتكذيب بالحقّ، وأمّا لمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ثمّ قرأ " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ". الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2988.

[778] في (ر) " نعت ".

[779] في (مط) " أذهل ".

فاعلم أن الحديث خارج على سبب، ومعناه وجملته أن المقصود بالإخبار عنه هو بيت اللبن، وكلب الحيوان المعلوم ولا شك في ذلك[780]، ولكن يُستقرأ منه ما قلناه، ويُستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه، ويُتخطى منه[781] إلى ما أشرنا لك نحوه، ولا نكير[782] في ذلك إذا دل عليه العلم وحمله الاستنباط، ولم تمجه القلوب المستفتاة[783]، ولم يصادم به شيئاً[784] من أركان الشريعة. فلا تكن جامداً[785]، ولا تجزع من تشنيع جاهل، ولا من نفور مقلد، فكثيراً ما ورد شرعٌ مقرونٌ بسبب، فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما هو في[786] معناه، ومشابهٍ له من الجهة التي تصلح أن يعدى بها[787] إليه. ولولا ذلك لما[788] قال النبي[789] صلى الله عليه وسلم: "رُب مبلغ أوعى من سامع، وحامل فقه إلى من هو أفقه منه"[790].

---

[780] في (مط) " ولا بيتك في ذلك ".

[781] بياض ب (ر).

[782] في (ر) " ولا يكثر "، وفي (مط) " نكر ".

[783] في (مط) " المستضاءة "، وفي (س) " المستعدّة ".

[784] في (س) " ولم يُصادَم به شيءٌ ".

[785] في (مط) " جاحدا ".

[786] في (ش) و(ر) و (مط) " إلى ما في ".

[787] جمع ناشر، وجاءت في (مط) بين " يعدى " و " بها " فكانت النتيجة: "يعديها"

[788] في (س) " ما ".

[789] في (ر) و(س) " قال عليه السلام ".

[790] هذا حديث مشهور بهذا اللفظ رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " نضّر الله امرأ سمع منّا شيئا فبلّغه كما سمع، فربّ مبلّغ أوعى من سامع "، حديث: 2657. وابن حبان، حديث: 66 بلفظ " سمع منّا حديثا فبلّغه كما سمعه

". وفي بعض الروايات " ...فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه ليس بفقيه " أبو داود، حديث: 3660، والترمذي، حديث: 2656، وغيرهما. ورواه الشيخان (البخاري ومسلم) ضمن خطبة يوم النحر ومن ألفاظه عندهما: ألا ليبلّغ الشاهد الغائب، فلعلّ بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ". مسلم، حديث: 1679، " اللهم اشهد، فليبلّغ الشاهد الغائب، فإنّه ربّ مبلّغ يبلّغه لمن هو أوعى له (قال الراوي: "فكان كذلك)". البخاري، حديث: 6667.

سؤال: [ما هي معاني حديث " لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بيْتاً فِيهِ صُورَةٌ "][791]

فإن قلت: فقد قال عليه السلام[792]: " لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة[793] " وعلم[794] السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه، فهل يُعَدَى عن سببه، وَيُتَرَقى منه إلى مثل ما ترقي من[795] الحديث الآخر؟

فهذا كما قيل: الحديث شجون[796]، وإن تتبعنا هذا الباب، لم ننفك منه، وبَعُدَ[797] علينا التخلص عنه. نعم[798]، يترقى[799] منه إلى قريب من ذلك وشبهه، ويكون هذا الحديث منبها عليه، وهو أن الصورة المنحوتة قد اتخِذَت آلِهَة وعُبِدَت من دون الله عز وجل. وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من

---

[791] انظر شرح الغزالي في إحياء علوم الدين، كتاب العلم، ج 1، ص 182- 184. مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلاء عفيفي، القاهرة، الدار القوميّة للطباعة والنشر، 1384هـ/ 1964م، ص 73- 74.

[792] في طبعة المنهاج " قال النبي صلى الله عليه وسلّم ".

[793] في (ر) زيادة وهي " ولا كلب".

[794] في (ر) " وقد علم هذا ".

[795] سقطت من (ر).

[796] مثل مشهور وعبارة جاءت في شعر الفرزدق والمتنبّي وغيرهما، انظر أبو عبيد القاسم ابن سلام، كتاب الأمثال، تحقيق عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، 1400هـ/ 1980م، ص 61- 62. الفرزدق، ديوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م، ص 632. المتنبي، ديوان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ/ 1983م، ص 156.

[797] في (مط) " ما يقرب منه ويبعد ".

[798] سقطت من (ر).

[799] في طبعة المنهاج " نترقّى ".

رضي بذلك[800]، ونَقْصِ إدراك من دان به حين قال مخبراً عن إبراهيم عليه السلام حيث قال: " أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون (الصافات؛ 95-96) ". فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عُبِدَ من دون الله سبحانه، أو ما حُكي به ما هو على مثاله. ويُتَرَقَى[801] من ذلك المعتبر[802] إلى أن القلب الذي هو بيت بناه الله سبحانه ليكون مهبطا للملائكة، ومحلا لذكره[803] ومعرفته وعبادته وحده دون غيره، فإذا حل[804] فيه معبود غير الله سبحانه، وهو الهوى، لم تقربه الملائكة أيضا.

فإن قيل: فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموماً، وما ذكرته الآن تعليلاً ينبغي ألا يقتضي إلا منافرة ما عبد أو ما نحت على مثاله.

قلنا: تشابهت[805] الصور المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها التصوير لأجله وهو مضارعة ذوات[806] الأرواح، وما نُحِتَ للعبادة إنما قُصِدَ به تشبيه ذي روح، فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة، ومنافرة الملائكة لها.

فإن قيل: فما وجه الترخيص فيما هو رقم في ثوب[807]؟

---

[800] في (ر) "على غيب من فعل ذلك ورضي به ".

[801] في (ر) وطبعة المنهاج " ونترقّى ".

[802] في (مط) " المعنى ".

[803] في (مط) " للذكر ".

[804] في (ر) " أدخل ".

[805] في (ر) " تهابه ".

[806] في (ر) " وهي يضارعه ذوات "، وفي (مط) " ذي الأرواح ".

[807] في (مط) " فيما رقم في ثوب ".

فذلك[808] لأنها ليست مقصودة في نفسها، وإنما المقصود الثوب الذي رقمت فيه.

فإن قيل: فما بال النبات[809] رخص في محاكاته[810] بالتصوير، وذات أنواط[811] في العرب مشهورة معلومة؟

فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوماً في السنة فاخر ثيابها، وحلي نسائها لأجل اجتماعها عندها، وراحتها في ذلك اليوم، ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة[812] كما تُقصد[813] التماثيل المنحوتة والأصنام. ولو كان ذلك ما سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذلك[814]. ولو عُبِدَت فقد عُبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة، والشمس، والقمر،

---

[808] في (ر) وطبعة المنهاج " قلنا فذلك ".

[809] في (ش) و(ر) و(س) " الثياب ".

[810] في (ر) وطبعة المنهاج و(ش) " والمطبوع محاكاتها ".

[811] وردت هذه الكلمة في حديث أبي واقد الليثي، رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لمّا خرج إلى خيبر مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلّقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لَتركبنّ سنن من كان قبلكم ". الترمذي، حديث: 2180. وانظر بشأنها ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، والأثر، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، القاهرة، المكتبة الإسلامية، 1383هـ/ 1963م، ج 5، ص 128.

[812] في (ش) " بالعبادات ".

[813] في (مط) " لما كانت بغير صفة ".

[814] في (مط) و(س) " ذلك عليهم ".

وبعض النجوم، والمسيح عليه السلام، وعلي رضي الله عنه، ولم يعبد[815] ما نُحِتَ على شكل النبات. فلا تغب عن هذه الأرواح [816]، فما أبعد عن دركها[817] من حرمه الله تعالى إياها، فله الحمد كما هو أهله.

---

[815] في (مط) " يعبدوا ".

[816] في (مط) " فلم تعبد من هذه إلّا ذات روح ". وفي (ر) " فلا يعبر عن هذه الأرواح ".

[817] في (ر) عن " ذكرها".

بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد

وأما أهل الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم، وتوثيقه بالأدلة، وشده بالبراهين، فقد انقسموا في الوجود إلى ثلاثة أصناف:

أحدهم: صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به، وحَشَوْا به قلوبهم من غير تردد [ولا تكذيب أسروه][818] في أنفسهم، ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوه، وذلك لفرط بعدهم، وغلظ طبائعهم، واعتياص طرق ذلك عليهم، ويقع عليهم اسم الموحدين. وتحققنا وجود[819] أمثالهم كثيراً على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضي الله عنهم. ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد إسلامهم، ولا أوجب عليهم الخروج منه[820] والمروق[821]

[818] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[819] بياض محلّ " وجود " في (س).

[820] في (س) " الخروج عنه ".

[821] في (مط) " والمعروف "، وفي (س) " ولا المروق ".

عنه[822]، ولا كُلِفوا مع قصور فهمهم[823]، وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الأدلة[824]، وقراءة [طرق][825] البراهين، وترتيب الحجاج، بل تُركوا على ما هم عليه. وهؤلاء عندي معذورون ببعدهم، ومقبولون بما توافوا عليه من إقرارهم وعقدهم، والله سبحانه قد عذرهم مع غيرهم بقوله سبحانه: " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (البقرة؛ 286) "، ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآية[826] بحال. وسنبدي لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة إسلامهم، وسلامة توحيدهم إن شاء الله تعالى[827].

والصنف الثاني: اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق، واعتقدت[828] [كذا] مع ذلك[829] أنواعا من المخاييل قام في نفوسها[830] أنها أدلة، وظنتها[831] براهين

---

[822] في (س) " والمروق منه ".

[823] في (س) " قصورهم ".

[824] في (مط) " الدلالة ".

[825] سقطت من (مط).

[826] في (مط) "الآيات ".

[827] في (مط) " عزّ وجلّ ".

[828] في المنهاج "اعتقدوا" ولم تذكر الأصل الذي كان معتمدها عليه للقيام بهذا الاختيار، لأنّ باقي النسخ بما فيها (مط) أثبتت " اعتقدت ".

[829] في (س) وطبعة المنهاج " إلى ذلك ".

[830] في (مط) " مخيلتها ".

[831] في (مط) " وطأتها ".

وليس[832] كذلك. وقد وقع[833] في هذا كثير ممن يشار إليه، فضلاً عمن دونهم. فإن وقع[834] إلى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح، ويبطلها[835] عليهم بالمعارضة أو الاعتراض[836]، لم يلتفتوا إليه ولا أصغوا لما يأتي به، ويترفعوا إلى أن يجاوبوه لما يحملون[837] عليه من سوء الفهم، أو رداءة الاعتقاد. وعندهم أن جميع تلك المخاييل في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال. فمنهم من يعتقد دليله[838] مذهب شيخه الرفيع القدر، المطلع على العلوم، ومنهم من يكون دليله خبر آحاد[839]، ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح. ولعمري إنهم ينبغي[840] إذا صادفوا السنة باعتقادهم، ولم يقعوا في شيء من الضلال أن يُتركوا على ما هم عليه، ولا يُحركوا بأمر آخر، بل يُغبطوا[841] بذلك، ويُسلم لهم لئلا يكونوا[842] إذا تتبع الحال

---

[832] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " ليست ".

[833] في (س) " دخل ".

[834] في (ر) " رفع ".

[835] في (ر) " ومطلها ".

[836] في (س) " والاعتراض ".

[837] في (مط) " يحملهم ".

[838] سقطت من (س).

[839] في (مط) " خبرا له ".

[840] في (س) " لينبغي ".

[841] في (مط) " يصدقوا ".

[842] في (مط) " يكون ".

معهم، ربما تلقفوا[843] شبهة، أو ترسخ[844] في نفوسهم بدعة يعسر انحلالها، أو يقع[845] في تكفير مسلم أو تضليله بلا سبب كبير[846].

واعلم أن اعتقاد الحقائق[847] وعلمها من أغذية النفوس؛ فمن رغب في أكملها ولم يقنع بدونها، وحصل له ذلك قَوِيَ به. ومن قنع بأيسرها، ولم تطمح[848] همته إلى ما هو أعلى من ذلك، ضعف، ولكنه يعيش عيش الضعيف[849]. وإنما يهلك من لا بُلْغَةَ له ولا يجدها، أو يجدها ولكنها تكون مشوبة[850] بمضرة بدعة، وسموم كفر. فلا تذهل عما يشار لك إليه، فإنما المرغوب تنبيهك والله المستعان[851].

---

843 في (ر) " يلقّنوا "، وفي (مط) " لقّنوا ".

844 في (س) " رسخ ".

845 في طبعة المنهاج " يقعوا "، ولم تبرر اللجنة العلمية هذا الاختيار.

846 في (مط) " بل هناك أسباب كثيرة ".

847 في (مط) " الخلائق ".

848 في (ر) " تطمع ".

849 في (مط) " الطفيف ".

850 في (مط) " مشابهة ممّن جاء "، ونجد كلمة " مشابهة " على هامش (ش) أيضا. أمّا في (ر) فنجد " مشابة ".

851 في (ر) " فإنّما الراغب يبتهل والله المستعان ".

وقل ما بين الصنف الأول والثاني[852] من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون [في مذاهبهم[853]، وهؤلاء مثلهم وهم مقلدون][854] فيما يعتقدونه دليلا[855]، غير أنهم أوثق رباطاً من الأولين، لأن أولئك إن وقع إليهم من يشككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم، وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى انحلال عقودهم، إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون[856]، وإنما يظنون أنهم مستدلون عارفون، فلهذا كانوا أحسن حالاً [وأثبت إيمانا][857].

والصنف الثالث: أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم، وقد عُدموا[858] النظر[859] أيضاً، ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه، ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ ما لو نظروا لعلموا، ولو استدلوا لتحققوا، ولو طلبوا لأدركوا سبيل المعارف ووصلوا، ولكنهم آثروا الراحة، ومالوا إلى الدعة، واستبعدوا طريق العلم، واستثقلوا الأعمال الموصلة إليه، وقنعوا بالقعود[860] في حضيض الجهل. فهؤلاء فيهم إشكال عند كثير من الناس في البديهة، ويتردد في حالهم

---

[852] في (مط) " الثاني والأوّل ".

[853] في (س) وطبعة المنهاج " مذهبهم ".

[854] في (ر) وطبعة المنهاج " مذهبهم "، وسقط ما بين المعقوفتين من (مط).

[855] سقطت " فيما يعتقدونه " من (ش)، وفي (س) " يعتقدون دليلا ".

[856] في (س) " إذ لا يرون أنفسهم مقلّدين ".

[857] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[858] في (مط) "وقدموا ".

[859] في (س) " العلم "، في هامش (ش) " النظر والعلم ".

[860] في (ر) " وتمنعوا بالقعود ".

النظر[861]، وهل يسمون عصاة أو غير ذلك يحتاج إلى تمهيد آخر ليس هذا مقامه. والالتفات [إلى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام على الإطلاق من غير تفريق][862] بين بليد [بعيد][863] ومتيقظ فطن[864]، فمنهم من لم ير أنهم مؤمنون، ولكن لم يحفظوا[865] عنهم أنهم أطلقوا اسم الكفر عليهم.

ولعلك تقول: مذهبهم المشهور أن المحل لا يخلو عن الصفة[866] إلا إلى ضدها، فمن لم يُحْكَمْ له بالإيمان حُكِمَ عليه بالكفر، كما أن من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون، وكذلك الحياة والموت، والعلم والجهل، وسائر ما له ضد[867] من الصفات.

قلنا: فلئن صح ذلك في الصفات التي هي أعراض، فقد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، والبدعة والسنة، ربما كانت [من قبيل الأحكام لا][868] من قبيل الأعراض. وإنما ذكرت

---

[861] في (ر) وطبعة المنهاج " نظر ".

[862] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[863] سقطت من (مط).

[864] في (مط) " متيقظ وفطن "، وسقطت فطن من (ر) و (ش).

[865] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " يحفظ "، وفي (س) " ولكنّهم لم يحفظ ".

[866] في (مط) " الصفات ".

[867] سقطت من (مط).

[868] في (مط) يوجد مكان ما بين المعقوفتين عبارة " ليس ".

لك هذا في معرض التشكك[869] لتنظر في شغوب[870] ما نورد على ذلك[871].
ومنهم من أوجب لهم الإيمان، ولكن أوجب[872] لهم المعرفة وقدرها لهم، وعجزهم عن العبارة[873]، ووجوب العبارة[874] في الشرع ساقطة[875] على هذا النحو. وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم، لأن أولئك سَلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل[876]، وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة المشروطة في صحة الإيمان. وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة، فتستروا[877] عن الجمهور بهذا الاحتمال، وزادوا على أنفسهم أنهم ألموا بقول من جعل المعارف كلها ضرورية[878]، ولم يشعروا بذلك حين قالوا: إنما عجزت العامة

---

[869] في (ر) و(مط) " الشكّ ".

[870] سقطت " لتنظر" من (مط)، ووردت محل " شغوب " كلمة " شعوب " في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج.

[871] في (س) " في شغوب ما تورد عليك ".

[872] في (ر) " أوجبوا ".

[873] في (مط) " العبادة "، لكنّ الإمام الغزالي يحسم الأمر بعد أسطر ويمّدنا بالدليل على أنّ ما أراد قوله متعلق بالعبارة وليس بالعبادة كما جاء في المطبوع.

[874] انظر الهامش السابق.

[875] في (مط) " جار ".

[876] في (ر) " ذلك ".

[877] في (مط) " فشذّوا ".

[878] هذا قول بعض المعتزلة منهم ضرار والجاحظ. انظر بخصوص الجاحظ في هذا الشأن، البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 175. الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 75. ابن المرتضى، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد- فيلزر، فيسبادن، الناشر: فرانز شتاينر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1380هـ/1961م، ص 68.

عن سرد الدليل، ونظم[879] العبارة عنه، و[العبارة][880] لا تجب عليهم لأنهم إذا نُبِهوا، أو عُرِضَ عليهم ما قرب من الألفاظ، واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدث[881]، ووجه الافتقار إلى المحدث بعد [تقرر الحدث][882]، وعددوا[883] من هذه المعارف كثيراً، وجدوا أنفسهم عارفين بذلك.

واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا، يقول إنما افتقر الناس إلى التنبيه[884] ولم يتمرنوا على العبارة على غوامض[885] العلوم، وإلا فَهُم إذا نُبهوا عليها، وتلطف بهم في تفهيمها[886]، بالنزول[887] إلى ما ألفوه من العبارات، وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه، وسارعوا إلى إلفَتِه[888]. ومثال هذا كمن غاب عنه[889] شيء كان معه، أو إنسان يصحبه[890]، أو رآه فنسيه وغفل عنه

---

[879] في (مط) " تعظم ".

[880] سقطت من (مط).

[881] وردت هذه الكلمة على هامش (ش) وفي (مط) " الحدوث ".

[882] سقطت من (مط). وفي (ر) "تقير الحدث "، وفي طبعة المنهاج " تقرير الحدوث "

[883] في (مط) " لاعتقدوا وعددوا ".

[884] في (مط) " النسبيّة ".

[885] في (مط) " مواضع ".

[886] في (ر) " في تفهيمهم ذلك ".

[887] في (مط) " بالزوال ".

[888] في (مط) " الفيئة ".

[889] في (مط) " نسي ".

[890] في (مط) " إنساناً نصحه "، وفي (ر) " كان يصحبه "، وفي (س) " صحبه ".

[لأجل غيبته، ثم رآه بعد ذلك فتذكر[891]، فإنه لا يقال أبدا إلا[892] أنه كان عارفاً بما غاب عنه، لكنه ناسٍ له أو غافل عنه][893]، ولولا عرفانه به ما وجد عدم الإنكار، وسرعة الألفة [عند رؤيته][894]. ومن المتكلمين أيضاً من أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك. وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع، وإنما غرضنا تبعيد ما أشاعه في الإحياء أهل الغلول[895] والإغلاء[896]، فلا نفتح مثل هذا الباب، وقد أبدينا من وجه ذلك في مراقي الزلف[897] ما يغني فيها بإذن الله عز وجل.

---

[891] في (مط) " فذكر ".

[892] في (مط) " فإنّه يقال بدا لأنّه "، وفي طبعة المنهاج " فإنّه لا يظن إلا أنّه ".

[893] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[894] سقطت من (مط) ومكانها نجد " عنه " وبعدها " وطائفة ".

[895] في طبعة المنهاج " الغلو ".

[896] في (مط) " الإغلال "، وسقطت من (ر).

[897] في (ر) " في كتابنا مراقي الزلف ". انظر ما قلنا حول هذا الكتاب في المقدمة.

فصل: بقي في بيان أصناف أهل الاعتقاد[898]، تفصيل آخر[899] من جهة أخرى، هو من تتمة ما جرى[900]

فلتعلم أن ما منهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال: لا يستبد[901] أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري.

فإحدى[902] الحالات لهم أنْ يعتقد أحدهم جميع أركان الإيمان[903] على ما يكمل عليه في الغالب، لكنه على طريق التقليد[904] كما سبق.

---

[898] في (ر) وطبعة المنهاج " الاعتقاد المجرّد ".

[899] سقطت " تفصيل " آخر من (ش).

[900] في (س) وطبعة المنهاج " مضى ".

[901] في (ر) " لا ينفكّ ".

[902] في (مط) " فأصفى "، وفي (س) وأحد الحالات.

[903] في (ر) " الأركان "، وسقطت كلمة " الإيمان ".

[904] في (مط) " التفاوت ".

الحالة الثانية: ألا يعتقد[905] إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا [انفرد ولم ينضاف][906] إليه في اعتقاده سواه[907]، هل يكون [به][908] مؤمناً أو مسلماً؟ مثل[909] أن يعتقد وجود الواحد فقط[910]، أو يعتقد أنه موجود حي لا غير، وأمثال هذه التقديرات، ويخلو عن اعتقاد باقي الصفات خلواً كاملاً لا يخطر بباله، ولا يعتقد فيها حقاً، ولا باطلاً، ولا صواباً، ولا خطأ، ولكن القدر[911] الذي يعتقده من الأركان الثلاثة[912] موافق للحق، غير مشوب بغيره[913].

---

[905] في (مط) " يعتقدوا ".

[906] في (مط) " نفر ولم ننصف "، وفي (ر) وطبعة المنهاج " ولم ينضف ".

[907] في (مط) " سواء ".

[908] سقطت من (مط).

[909] سقطت " مثل " من (مط)، وفي (ر) وطبعة المنهاج " وذلك مثل ".

[910] سقطت من (ر).

[911] في (مط) " التقدير ".

[912] سقطت " الثلاثة " من (س) وطبعة المنهاج.

[913] في (مط) " منسوب لغيره ".

الحالة الثالثة: أن يعتقد الوجود[914] كما قلناه، أو الوجود[915] والوحدانية والحياة، ويكون فيما يعتقده في باقي الصفات [على[916] ما لا يوافق الحق على ما هو عليه[917] مما هو بدعة وضلالة، وليس بكفر صريح[918]][919].

فالذي يدل عليه العلم، ويُستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى، والله أعلم، على سبيل نجاة، ومسلك خلاص، ووصف إيمان أو إسلام. وسواء في ذلك الصنف الأول والثاني[920] من أهل الاعتقاد. ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه. وأما أهل الحالة الثانية، وهي الاقتصار على الوجود المفرد، أو الوجود ووصف آخر معه، مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التي للكمال[921] والجلال وأحكامها[922]، فالمتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الإيمان والإسلام، والمتأخرون مختلفون. وكثير خاف أن يخرج من اعتقد

---

[914] سقطت من (ر).

[915] سقطت من (مط)، وفي (ر) " والواحد ".

[916] في (ش) " لا على ".

[917] سقط " على ما هو عليه " من (س).

[918] في (س) وطبعة المنهاج " صراح ".

[919] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[920] في (ر) " الثالث " عوض " الأول والثاني ".

[921] في طبعة المنهاج " صفات الكمال ".

[922] في (مط) " وأركانهما ".

وجود الله سبحانه[923]، وإظهار[924] الإقرار [به][925] بنبيه صلى الله عليه وسلم من الإسلام، ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الأجلاف، والرعيان، وضعفاء النساء[926]، والأتباع هذا عقده[927] بلا مزيد[928] عليه. ولو سُئلوا واستُكشفوا عن الله عز وجل، هل له إرادة، أو بقاء، أو كلام، أو ما شاكل ذلك، وهي[929] له صفات معنوية، ليست هي هو ولا هي غيره[930]، ربما وُجِدوا يجهلون هذا ولا يعقلون[931] وجه ما يخاطَبون به. وكيف يُخرج من اعتقد وجود الله[932] ووحدانيته، مع الإقرار بالنبوة من حكم الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم قد رفع القتال والقتل، وأوجب حكم الإيمان[933] والإسلام لمن قال لا إله إلا

---

[923] في (مط) " عزّ وجلّ ".

[924] في (مط) " أظهر ".

[925] سقطت من (مط).

[926] في (س) " ضعفاء الناس ".

[927] في (مط) " على هذا ".

[928] في (ر) " بالمزيد ".

[929] في (مط) " هل ".

[930] في (ر) " ليست هي غيره ".

[931] في (ر) " ولا يعتقدون ".

[932] في (ر) وطبعة المنهاج " الله تعالى ".

[933] سقطت من (ر).

الله، وعقد[934] عليها[935]؟ وهذه الكلمة[936] لا تقتضي أكثر من اعتقاد[937] الوجود مع الوحدة في الظاهر وعلى البديهة من غير نظر. ثم سمعنا عمن قالها في صدر الإسلام أنه لم يعلم بعدها إلا فرائض الوضوء، والصلاة، وهيئات الأعمال البدنية، والكف عن أذى المسلم، ولم يبلغنا أنهم يدرسوا[938] علم الصفات وأحوالها، ولا هل الله تعالى عالم بعلم، أو عالم لنفسه، أو هو باق ببقاء، أو هو باق بنفسه[939]، وأشباه هذه المعارف[940]. ولا يدفع ظهور[941] هذا إلا معاند أو جاهل بسيرة السلف وما جرى بينهم. ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استُكشف منه[942] على هذه الحالة وتحققت منه[943]، وأبى أن يُذعن لتعلم ما زاد على ما عنده، لم يفْتِ أحد بقتله ولا استرقاقه، والحكم عليه بالخلود في

---

[934] في (مط) " اعتقد ".

[935] يشير إلى حديث له روايات متعدّدة أشهرها: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ الإسلام وحسابهم على الله". البخاري، صحيح، حديث: 25؛ 2786. مسلم صحيح، حديث: 21- 22- 23. الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2606.

[936] في (مط) " الكلمات ".

[937] في (ر) " أكثر من ذلك أي من اعتقاد ".

[938] في (ر) " أنّهم أمروا بدرس "، وفي (مط) " درسوا "، وفي طبعة المنهاج " تدارسوا ".

[939] في (ش) " لنفسه ".

[940] في (س) " وأشباه من هذه المعارف ".

[941] سقطت من (س).

[942] سقطت من (ر).

[943] في (س) " وتحقّقت فيه ".

النار عسر جداً، وخطر عظيم، مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة[944].

ولعلك تقول: قد قال في مواطن أخرى إلا بحقها، ثم تقول اعتقادنا باقي الصفات التي بها يكون اعتقاد جلال الله عز وجل وكماله من حقها.

نعم، هي من حقها عند من بلغه أمرها، وسمع بها أن يعتقدها، فأما[945] من خلا من اعتقادها، ولم يتفق[946] له أن يلقنها[947]، ولم يسمع بها، ففيه نرى[948] هذا النظر، وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ، وفي مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر. هذا، وأنت تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة: " أخرجوا من النار من كان في قلبه [مثقال ذرة من إيمان][949]. "[950] وذكر من المثقال إلى الذرة والخردلة

---

[944]كثيرة هي الأحاديث الصحيحة التي تشير لهذا المعنى نورد منها حديث أبي ذرّ الغفاريّ الذي قال: " أتيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه فقال: " ما من عبد قال لا إله إلا الله ثمّ مات على ذلك إلّا دخل الجنة. " قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثا، ثمّ قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذرّ. " قال: فخرج أبو ذرّ وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذرّ. " البخاري، صحيح، حديث: 1180-6170. مسلم، صحيح، حديث: 94. الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2644.

[945] في (س) " وأمّا ".

[946] في (ر) " ولم يبق "، وفي (مط) " ولم يقو ".

[947] في (مط) " يلقاها "، وفي طبعة المنهاج "يتلقّنها".

[948] في (مط) " مرمى ".

[949] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[950]تجد هذا الحديث بهذه الرواية عند البخاري، صحيح، حديث: 22.

من الإيمان، إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط. فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين؟ لأن التقدير وقع في الإيمان لا في الأعمال.

فإن قلت: فإن من الناس[951] وأئمة العلماء من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة، ولم يعضدها[952] دليل، فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو جلها[953]؟.

قلنا: قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب، ونبهناك على بُعد أهله عن وجه الحق[954] فيه، وأنهم أرباب تعسف، ولو اسْتُقْصِيَ مع كثير منهم القول في ذلك لبدا له أنه نُسب[955] إلى ما[956] يظهر له من قصوره[957] عن معرفة شرطها في صحة[958] إيمان غيره، ولآثر[959] من حينه[960] الركون إلى ما رأيناه أولى من رأيه، وأحق بالصواب والعدل من مذهبه[961]. ثم بعد ذلك تراهم حين اجترأوا[962]

---

[951] في (س) " فمن الناس ".

[952] في (مط) " يقصدها ".

[953] في (مط) " كلّها ".

[954] في (ر) " عن وجهه أي وجه الحقّ ".

[955] في (مط) " تسبّب ".

[956] طبعة المنهاج " لما ".

[957] في (مط) " تصوّره ".

[958] سقطت من (مط).

[959] في (ش) " ولرأوا ".

[960] في (س) " ولآثر من دينه "، وفي (مط) " من حسّه ".

[961] في (ر) " وأحقّ بالعدل عن مذهبه ".

[962] في (ر) و(مط) " أخبروا ".

على سلب الإيمان عنهم لم[963] يثبتوا[964] اسم الكفر عليهم، ثم يَعْرِضُهُم[965] على الاستتابة إن كانت من مذهبه، ثم يحكم فيه[966] بالقتل والاسترقاق. فإذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب[967] ما قالوه، ونقص ما مالوا إليه، فلنرجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل.

وأما أرباب الحالة الثالثة ـ وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها ـ فإن حَكَمْنا بصحة إيمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا أو إسلامهم[968]، حققنا أمر هؤلاء فيما [اعتقدوه، إذ[969] لم يقفوا[970] فيه بوجه قصد[971] يقطعهم عن اتصال العذر، لأن هؤلاء][972] قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم، وأصيبوا فيما وراء ذلك. فإن أمكن ردهم في الدنيا، وزجرهم عنه إن أظهروا المنع عن الإقلاع، والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك،

---

963 في (س) " لِمَ لَمْ. "

964 في (مط) " يبقوا ".

965 في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " يعرضوا ".

966 في (ش) وطبعة المنهاج " فيهم ".

967 وردت " عيب " بهامش (س).

968 في (ر) و(مط) " وإسلامهم ".

969 في (س) " إذا ".

970 في (مط) " يقعوا ".

971 في (ش) " قصدهم ".

972 ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

وإن فاتوا[973] بالموت، لم يقصر بهم[974] في اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم[975]. والله أعلم بالناجي والهالك من خلقه، والمطيع والعاصي من عباده.

[غير أن][976] هذا[977] ينبغي أن يكون مذهب من نظر في خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة، ولم يدخل بين الله عز وجل وبين عباده فيما غاب عنه علمه، وعدم فيه سبيل اليقين، وفهم معنى قوله عز وجل: " ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان عنه مسؤولا (الإسراء؛ 36) ".

فإن قلت: وأين أنت من تكفير كثير من الناس [في القديم والحديث][978] لجميع أهل البدع عامة وخاصة، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في القدرية: " إنهم مجوس هذه الأمة "[979] وقوله صلى الله عليه وسلم: " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. "[980] وقال صلى الله عليه وسلم

---

[973] سقطت من (ر)، وفي (مط) " فاتوا في الموت "، وفي (س) " ماتوا ".

[974] في (س) " لم نقصر لهم في اعتقادنا "، وفي (مط) " لم نقصرهم في اعتقادنا ".

[975] سقطت من (ر).

[976] سقطت من (مط).

[977] في (مط) " هكذا ".

[978] ما بين المعقوفتين ساقط من (مط).

[979] عن عبد الله بن عمر: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: " القدرية مجوس هذه الأُمّة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم ". أبوداود، سنن، حديث: 4691. الحاكم، المستدرك، حديث: 286. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 19، ص 62.

[980] لهذا الحديث روايات متعدّدة ومختلفة، وآراء أهل الحديث فيه متعارضة، أنظر، الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2641. أبو داود، سنن، حديث: 4597. ابن ماجة، سنن، حديث:

عن قوم: "يخرجون على خير[981] فرقة من الناس، يقولون [بقول خير البرية، أو][982] من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. "[983]؟ والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئاً من الأهواء والبدع كثيرة غير هذه، مما يوجب[984] في الظاهر تكفيرهم بالإطلاق.

فاعلم أنه إن كان كفرهم كثير من العلماء، فقد أبقى[985] عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر[986] منهم، وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه، فليقع التحاكم عند العالم الأكبر، المؤيد بالعصمة، سيد البشر، إمام المتقين صلى الله عليه وسلم، فهو عليه الصلاة والسلام حين قال: " مجوس هذه الأمة " [فما فِقْهُ أن][987] أضافهم إلى الأمة؟ وما حِكْمَة[988] أن لم يقل مجوس على الإطلاق؟ وحين أخبر

3992. وقارنه بما أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج 62، ص 151 وما بعدها. وقد سبقت الإشارة إليه.

[981] في (مط) " على حين "، وسقطت من (ش).

[982] سقط ما بين المعقوفتين من (ر) ومن(مط).

[983] لهذا الحديث أيضا روايات متعدّدة. انظر البخاري، صحيح، حديث: 3415- 4770- 4771- 6531- 6532. مسلم، صحيح، حديث: 1066. الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2188. أبو داود، سنن، 4767. ابن ماجة، سنن، حديث: 168.

[984] في (مط) " توجب ".

[985] سقطت من (ر).

[986] في (ر) " وتردّد فيهم كثير، وهم أكثر منهم "، وفي طبعة المنهاج " وتردّد فيهم كثيرا كثير منهم ".

[987] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[988] في (مط) " حكم ".

عن الفرق أنهم في النار، فهل[989] أخبر[990] أنهم خالدون فيها؟ وحين قال: " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " فقد قال متصلاً بآخر[991] هذا القول " وتتمارى في الفوق[992] " وما موضع هذا التماري[993] من المثل الذي ضربه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فمالي أراك تلاحظ جهة وتترك أخرى، وتذكر شيئاً وتذهل عن غيره؟ عليك بالعدل تكن من أهله، واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله عز وجل: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. (البقرة؛ 143) ".

[989] في (مط) " فما ".

[990] (مط) " أخبر أحدهم ".

[991] سقطت من (مط).

[992] في (ر) " ويتمادي في الفرق "، وفي (مط) " وتتمارى في الفرق "، وفي (ش) " ويتمادى في القول " وما أثبتناه من (س). انظر البخاري، صحيح، حديث: 4771. عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أنّه قال: " سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: " يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتمارى في الفُوق ". والفُوق: هو موضع الوتر من السهم.

[993] في (ش) " التمادي ".

فصل: [التوحيد المجرد عن سبيل المعرفة]

ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته[994] ضعيفاً، وتفرده عن المعرفة قريباً[995] من واه[996]، ألقي[997] عليه شبه القشر الثاني من الجوز، لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صواناً[998]، وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاماً للمحتاج وبلاغاً للجائع. وبالجملة، فهو لمن لا شيء معه خير من فقده، وكذلك اعتقاد التوحيد.

وإن كان مجرداً عن سبيل المعرفة، وغير منوط بشيء من الأدلة، ضعيفاً، فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر، ومتى ركب[999] أحد غير هذا فقد وقع في أعظم الحرج والنكر[1000].

---

[994] في (ر) " بصاحته ".

[995] سقطت " قريبا من " من (ر).

[996] (ش) " قريبا من رآه "، وفي (مط) " قريبا ممّن رآه ".

[997] في (ش) و(مط) " ألقى ".

[998] في (مط) " صونا "، وفي طبعة المنهاج " صوان ".

[999] في هامش (ش) تفسير لركب بمعنى ذكر. وتنتهي الفقرة في (ر) وطبعة المنهاج " والله أعلم ".

[1000] في (مط) " المنكر "، وفي (ر) " الخطر ".

والكلام[1001] في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود:

أحدها: أن يتكلم في الأسباب التي توصل إليه، و[1002] المسالك التي يعبر عليها نحوه[1003]، والأحوال التي يتخذها لحصوله[1004] كما قدره العزيز العليم[1005]، واختار ذلك، ورضيه، وسماه الصراط المستقيم.

والحد الثاني: أن يكون الكلام في عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته، وكيف يتصور للسالك[1006] إليه والطالب له، قبل وصوله إليه، وانكشافه له بالمشاهدة.

والحد الثالث: في ثمرات ذلك التوحيد، وما يلقى أهله به، ويطلعون عليه بسببه، ويكرمون [به من أجله، ويتحفون[1007] من فوائد المزيد من جهته.

فأما الحد الأول فالكلام عليه، والبيان له، والكشف لدقائقه، وبدله للصغير والكبير مأمور به، مشدد في أمره، متوعد بالنار على كتمه، فبه بُعث الأنبياء،][1008] ومن أجله أرسل الرسل، وببيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على

[1001] في طبعة المنهاج " اعلم أنّ الكلام ".

[1002] سقط الواو من (س).

[1003] في (ر) " والمسالك التي توصل إليه، والمعاصد [كذا] يعبر عليها نحوه ".

[1004] في (مط) " بحصوله ".

[1005] في (مط) " العزّ بن العليمي ".

[1006] في (ر) وطبعة المنهاج " وكيف يتصوّر وصول السالك ".

[1007] في (مط) " ويتحقّقون ".

[1008] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

أمناء وحيه الصحف والكتب. ولتقع الثقة[1009] في القلوب بتحقيقه وتصديقه[1010] أيدت الرسل بالمعجزات، والأنبياء والأولياء بالكرامات، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[1011]. وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه[1012]. وفيه أنزل الله تعالى: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (المائدة؛ 67) ". وإياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ".[1013] وجميع ذلك محصور[1014] في اثنتين: العلم بالعبرة، والعمل بالسنة، وهما مبنيان على اثنتين[1015]: الحرص الشديد والنية الخالصة. والشرط[1016] في تحصيلهما اثنتان: نظافة الباطن، وسلامة الجوارح. ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة.

وأما الحد الثاني، فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال، تشبيها بالرمز تارة، وتارة بالتصريح، ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر، ولكن يُشرِف بذلك اللبيب[1017] الحاذق على بعض المراد، ويفهم منه كثيراً من

[1009] في (مط) " وليقع التفقّه ".

[1010] في (ر) " ولتصديقه ".

[1011] آية 165من سورة النساء.

[1012] آية 187 من سورة آل عمران.

[1013] تجد هذا الحديث بهذه الرواية في مسند الشهاب، حديث: 413 و 432.

[1014] في (ر) " بحضوره ".

[1015] في (مط) " آيتين ".

[1016] في (مط) " والسرّ ".

[1017] في (ر) " البيت ".

المقصود[1018]، وينكشف له جل ما يشار إليه إذا كان سالماً من شرك التعصب، بعيداً من هوة الهوى، نظيفاً من دنس التقليد.

وأما الحد الثالث: فلا سبيل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على سبيل التذكار لا على سبيل[1019] التعليم[1020].

[1018] في (س) " القصد ".

[1019] سقطت من (مط).

[1020]يقول الغزالي: " الأسرار التي يختصّ المقرّبون بدركها، ولا يشاركهم الأكثرون في علمها، ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام: القسم الأول: أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكلّ أكثر الأفهام عن دركه، فيختصّ بدركه الخواصّ، وعليهم ألّا يفشوه إلى غير أهله، فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك [...] القسم الثاني: من الخفيّات التي تمتنع الأنبياء والصدّيقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه، لا يكلّ الفهم عنه، لكن ذكره يضرّ بأكثر المستمعين، ولا يضرّ بالأنبياء والصدّيقين. وسرّ القدر الذي منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم، فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرّا ببعض الخلق [...] القسم الثالث: أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم، ولم يكن فيه ضرر، ولكن يكنّى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب، وله مصلحة في أن يعظم وقت ذلك الأمر في قلبه [...] القسم الرابع: أن يدرك الإنسان الشيء جملة، ثمّ يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق، بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان، ويكون الأوّل كالقشر، والثاني كاللباب، والأوّل كالظاهر، والثاني كالباطن [...] القسم الخامس: أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا، والبصير بالحقائق يدرك السرّ فيه. ". انظر إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد، ج 1، ص 367- 375.

فصل[1021]: [زيادة بيان لحدود توحيد المقربين]

إنما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لأن الحد الأول فيه محض النصح للخلق، والاستنقاذ[1022] لهم من غمرات[1023] الجهل، والتنكيب بهم من مهاوي العطب، وقودهم إلى معرفة هذا المقام، وما وراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الأكبر، وفوز الأبد. وقد بين لهم غاية البيان، وأقيم عليه واضح البرهان، وهو مبدأ[1024] الطريق، وأول سبيل السعادة[1025]، فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز، ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. ومن وصل شاهَدَ، ومن شاهد علم، وذلك غاية المطلوب، ونهاية المرغوب والمحبوب، ومن قعد حرم الوصول وما بعده: " فضل الله المجاهدين على القَاعدين أجرا عظيما. (النساء؛ 95) " ومن غاب لم تنفعه الأخبار، ولم تفده كثير من الأحاديث[1026].

وأيضا فإن الإخبار بما وراء الحد الأول والثاني على وجهه[1027]، وكشفه للخلق كافة لو أمكن بما عهد من الكلام، وجرى بين الناس من عرف التخاطب، كان

[1021] سقطت من (مط).

[1022] في (مط) " واستنقاذهم ".

[1023] في (مط) " من غمرة ".

[1024] في (ر) " مثل "، وفي (مط) " يومئذٍ ".

[1025] سقطت من (س).

[1026] في (س) " لم تفده كبير أمرِ الأحاديث ". وفي (ش) "لم تنفعه الأخبار ولا كثيرا [كذا] من الأحاديث "، وفي (ر) " لم تنفعه الأخبار ولم تفده كثيرا [كذا] من الأحاديث ".

[1027] في (ر) وطبعة المنهاج " على جهة ".

فيه زيادة محنة، وسبب فتنة على أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام، وذلك لغرابة المعلوم، وكثرة غموضه، ودقة معناه، وعلوه في منازل الرفعة، وبُعده بالجملة والتفصيل عن جميع ما عُهد في عالم الملك والشهادة، وخروجه عن تلك الحدود المألوفة، ومباينته لكل ما نشأوا عليه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات، ومعقولات، وضروريات، ونظريات. فلما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس، ولا يتصور بواسطة لفظ، ولا يحمل عليه حقيقة مثل، كما قال الله عز وجل: " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (السجدة؛ 17) ". وحُكِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " ليس عند الناس من عِلم الآخرة إلا الأسماء. "[1028] وأراد من لم ينكشف له شيء من علمها وحقائقها في الدنيا. وأيضاً، لو جاز الإخبار بها[1029] لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها إلا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد، ويتطرق إليه [من أهل الغفلة][1030] وذوي القصور جحود وتفنيد[1031]. فلهذا أمروا بالكتم إشفاقاً على من حجب عن العلم. ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم: " لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم، أترِيدون أن يكذب الله ورسوله؟ "[1032]. وقال صلى الله عليه

[1028] ذكره أبو نعيم في كتاب صفة الجنّة، تحقيق علي رضا بن عبد الله، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، 1415هـ/1995م، باب ذكر اتفاق أسماء ما فيها من النعيم، ج،1 ص،147 حديث: 124.

[1029] سقطت من (ش).

[1030] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1031] في (مط) " وتبعيد ".

[1032] رواه البخارِي موقوفا على عليّ، ولفظه: " حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله ". حديث: 127. وقد سبقت الإشارة إليه.

وسلم: " ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة "[1033].

[1033] رواه مسلم في مقدّمة صحيحه موقوفا علَى ابن مسعود باب النهيّ عن الحديث بكلّ ما سمع، ج 1، ص 11. وجاء في كشف الخفاء للعجلوني بشأن حديث: (أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم.): " رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عبّاس مرفوعا، وفي اللآلئ بعد عزوه لمسند الفردوس عن ابن عبّاس مرفوعا، قال وفي إسناده ضعيف ومجهول انتهى، وقال في المقاصد وعزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عبّاس بلفظ " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ". قال وسنده ضعيف جدا، ورواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة في العقل له، عن ابن عبّاس من طريق أبي عبد الرحمن السلَمي أيضا بلفظ " بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم "، وله شاهد عن سعيد بن المسيّب مرسلا بلفظ إنّا معشر الأنبياء أمرنا وذكره، ورواه في الغنية للشيخ عبد القادر قدس سره بلفظ أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم. وفي صحيح البخاري عن عليّ موقوفا حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذّب الله ورسوله، ونحوه ما في مقدمّة صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: " ما أنت بمحدّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة "، وروى العقيلي في الضعفاء، وابن السنيّ، وأبو نعيم في الرياضة، وغيرهم عن ابن عبّاس مرفوعا " ما حدّث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلّا كان فتنة عليهم ". ورواه الديلمي أيضا من طريق حمّاد بن خالد عن ابن عبّاس رفعه " لا تحدّثوا أمّتي من أحاديثي إلّا ما تحمله عقولهم، فيكون فتنة عليهم. " فكان ابن عبّاس يخفي أشياء من حديثه، ويفشيها إلى أهل العلم. وللديلمي أيضا عن ابن عبّاس رفعه " يا ابن عبّاس، لا تحدّث قوما حديثا لا تحتمله عقولهم ". وروى البيهقي في الشعب عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا " إذا حدّثتم الناس عن ربّهم فلا تحدّثوهم بما يعزب عنهم ويشقّ عليهم ". وصحّ عن أبي هريرة: " حفظت عن النبيّ صلي الله عليه وسلم وعاءين: فأما أحدهما فَبَثَثْتُهُ، وأما الآخر فلو بثثته لقُطع هذا البلعوم. " انظر العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، نشر تحت إشراف أحمد القلاش، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1405هـ/1985م، ج 1، ص 225- 226، حديث: 592. التقي الهندي البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق بكري الحياني وصفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م، ج 10، ص 242.

وعلى هذا يخرج قول المشايخ: " إفشاء سر الربوبية كفر. " [ولا ترد مزيد بحث عن علم سر موجب للكتم[1034] بعد فهمك لهذا القول.][1035] رزقنا الله وإياك[1036] قلوباً واعية للخير، إنه ولي كل صالح وبر[1037].

[1034] في (س) و(ر) " الكتم ".

[1035] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1036] في (مط) " وإيّاكم ".

[1037] سقطت " بر " من (مط).

فصل: في أرباب المقام الثالث الذين هم المقربون

وإذا علمت أن الحد الأول قد تقرر علمه في كتب الرواية والدراية[1038]، وملئت منه الطروس، وكثرت به في المحافل الدروس، وهو غير محجوب عن طالب، ولا ممنوع عن راغب، قد أمر الجهال به أن يتعلموه، والعلماء أن يبذلوه ويعلموه[1039]، فلا نعيد فيه ههنا قولاً. ولما كان حكم الحد الثالث الكتم، كره[1040] وتُنُكِبَ [1041] الكلام عنه[1042] مع غير أهله على كل حال، لم يكن لنا سبيل إلى تعدي[1043] محدودات الشرع، فلنثن العنان إلى الكلام بالذي[1044] يليق بهذا الحال والمقام فنقول:

[1038] سقطت من (س) و(ر).

[1039] سقطت من (س).

[1040] كذا جاء في (ش) وسقطت من (ر) وفي (مط) " تارة "، أمّا في طبعة المنهاج فنجد " مرّة ".

[1041] في (مط) " وتسكيت "، وفي (ر) وطبعة المنهاج " وتنكيب "، وفي (ش) " تنكبت ".

[1042] بهامش (ش) " فيه ".

[1043] في (مط) " تعد إلى ".

[1044] في (ش) وطبعة المنهاج " الذي ".

أرباب المقام الثالث في التوحيد، وهم المقربون، على ثلاثة أصناف على الجملة، وكلهم نظروا إلى المخلوقات فرأوا علامات[1045] الحدوث فيها لائحة، وعاينوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليها[1046] واضحة، وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة. ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم، وشاهدوه بغيب أرواحهم، ولاحظوا جلاله وجماله بخفي أسرارهم، وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل[1047] واحد منهم في اليقين وصفاء القلب. وهؤلاء الأصناف الثلاثة إنما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته، وانقسامهم في تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلاً، فمن حافظ لبعضه، ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيراً منه دون كماله، ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه، متوقف على الانهمار في قراءته[1048]، ومن حافظ له[1049] ماهر[1050] في تلاوته، غير متوقف في شيء منه، وكلهم ينسب إليه، ويعد في المشهد والمغيب من أهله. وكذلك أهل هذه المرتبة أيضاً، منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها، وربما كان فيما يقرأ من الصفحات ما ينعجم[1051] عليه، ومن قارئ لجميعها، متفهم لها لكن بنوع تعب، ولزوم

[1045] في (س) " علامة ".

[1046] في (ر) " حالات الافتقار إلى المحدث عليها "، وفي (مط) " حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم ".

[1047] سقطت من (ر).

[1048] في (مط) " تلاوته ".

[1049] سقطت " له " من (ش).

[1050] سقطت " ماهر من " (مط).

[1051] في (مط) " يغم ".

فكرة[1052]، ومداومة عبرة، ومن ماهر[1053] في قراءتها، مستخرج لرموزها، نافذ البصيرة في رؤية حقائقها[1054]، مفتوح السمع، تناطقه الأشياء في فراغه وشغله. وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء، والقبض والبسط، والفناء والبقاء. ولا مزيد على هذا المثال، فهو أوضح[1055] لذوي الأفهام من شمس النهار وقت الزوال.

[1052] في (ش) " مكروه ".

[1053] في (ر) وطبعة المنهاج " ومن قارئ ماهر ".

[1054] في (مط) " حقيقتها ".

[1055] في (مج) " أصلح ".

فصل[1056]: لِمَ سُمي أهل هذه المرتبة المقربين

وعلمت لِمَ سُمي أهل هذه المرتبة المقربين[1057]، فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل، وقربهم من نيرات[1058] المعرفة والعلم، فلا أبعد من الجاهل، ولا أقرب من العارف العالم، والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور، وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن، إحدى الحالتين عماء البصيرة، وانطماس القلب وخلوه[1059] عن معرفة الرب سبحانه وتعالى، فسمي[1060] هذا بعداً، مأخوذاً من البعد عن محل الراحة، والمنزل الرحب[1061]، وموضع العمارة[1062] والأنس، والانقطاع في مَهامِهِ القفر، وأمكنة الخوف، ومظان الانفراد والوحش[1063].

1056 سقطت من (مط).

1057 في (س) " المقرّبون "، وفي (ط) " مقرّبين ".

1058 في (مط) " أنوار ".

1059 في (مط) " والخلو ".

1060 في (م) " ويسمّى ".

1061 في (مط) " الواجب ".

1062 في هامش (ش) " العبادة ".

1063 في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " والوحشة ".

والحالة الثانية: عبارة عن اتقاد[1064] الباطن، واشتغال[1065] القلب، وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل، وعمارة السر[1066] بمشاهدة ما غاب عنه أهل الغفلة واللهو[1067]، ولكنه يدل على أنه لم يصل[1068].

[1064] في (س) " انفراد ".

[1065] في (ش) وطبعة المنهاج " اشتعال ".

[1066] في (مط) " البيت ".

[1067] سقطت من (ر).

[1068]

فصل[1069]: مقام أئمة أهل الكلام

لعلك تقول: أين[1070] أئمة الكلام[1071] عن لحوق هذا المقام[1072]، كأن لم يضربوا فيه بسهم، ولم يفز قدحهم منه بحظ ولا قسم[1073]. وأراهم عند الجمهور في الظاهر، وعند أنفسهم أهل الدلالة على الله عز وجل، وقادة الخلق إلى مراشدهم، ومجاهدون[1074] أرباب النحل المردية والملل الضالة المهلكة. وقد سبق في الإحياء أنهم في الاعتقاد مع العوام سواء[1075]، وإنما فارقوهم بإحسانهم حراسة عقودهم.[1076]

[1069] سقطت من (مط).

[1070] في (مط) " أرى بعض ".

[1071] في (مط) " الكلام شغل ".

[1072] في (ر) " الكلام ".

[1073] في (مط) " سهم ".

[1074] في طبعة المنهاج " ومجاهدو ".

[1075] في (مط) "أنّهم مع العوام في الاعتقاد سواء ".

[1076] قال الغزالي: " والمتكلّم إذا تجرّد للمناظرة والمدافعة، ولم يسلك طريق الآخرة، ولم يشتغل بتعهّد القلب وصلاحه، لم يكن من جملة علماء الدين أصلا. وليس عند المتكلّم من الدين إلّا العقيدة التي شاركه فيها سائر العوامّ، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنّما يتميز عن العامّيّ بصنعة المجادلة والحراسة، فأمّا معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه، وإنّما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدّمة للهداية

فاعلم أن ما رأيت في الإحياء صحيح[1077]، ولكن بقي في كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين، ولا يغيب عن الشادين[1078] إذا كانوا منصفين، وهو أن المتكلمين، من حيث صناعة الكلام فقط، لم يفارقوا عقائد[1079] العوام،[1080] وإنما حرسوهم[1081] بالجدل عن الانخرام، [إذ الكلام][1082] والجدل علم لفظي، وأكثره احتيال[1083] وهمي، وهو عمل النفس، وتخليق الفهم، وليس بثمره[1084] المشاهدة والكشف، ولأجل هذا كان فيه السمين والغث، وشاع في حال

حيث قال تعالى: " والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا، وإنّ الله لمع المحسنين. (العنكبوت: 69) ". إحياء علوم الدين، كتاب العلم، ج 1، ص 86.

[1077] انظر إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد، ج 1، ص 355 وما بعدها.

[1078] في (ر) " الشاردين "، وفي (ش) و(مط) " الشاذين ". ومعنى الشادين أي المتعظّمين المتكبّرين.

[1079] في (مط) و (س) " عقود ".

[1080] يقول الغزالي: " ...وقد يخصّ المتكلّم باسم الموحّد من حيث إنّه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوامّ حتى لا تنحل عقدته. والثالث موحّد بمعنى أنّه لم يشاهد إلّا فاعلاً واحداً إذا انكشف له الحقّ كما هو عليه، ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلّا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه، لأنّه كلّف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة، فإنّ تلك رتبة العوامّ والمتكلّمين، إذ لم يفارق المتكلّم العامّيّ في الاعتقاد، بل في صفة تلفيق الكلام الذي به حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة. " إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 203- 204

[1081] في (ر) وطبعة المنهاج " حرسوها "، وفي (مط) " فارقوهم ".

[1082] ساقط من (مط).

[1083] في (س) " خيال ".

[1084] في (ش) " تثمره ".

النضال[1085] إيراد القطعي وما هو في[1086] حكمه من غلبة الظن[1087]، وإبداء الصحيح، وإلزام مذهب الخصم.

والمقام المشار إليه بالذكر وشبهه إنما هو علم الوجود[1088]، وفهم الأحوال، ومعرفته باليقين التام، والعلم المضارع[1089] للضروري بأن لا إله إلا الله، إذ لا فاعل غيره، ولا حاكم في الدارين سواه، ومشاهدة القلوب[1090] لما حجب عن الغيوب. ومن أين للنازل طي المنازل][1091]، و[ما][1092] لعلم الكلام مثل هذا المقام، بل هو من خدام الشرع وحراس نواحيه[1093] من أهل الاختلاس والقطع، وله بركة[1094] على قدره ونفع[1095]، ولكن [شتان بين][1096] مطالع الأنوار، ومدارك الاستبصار، والمراد[1097] في أوقات الضرورات والاختيار، وبين ما يراد

[1085] في (ش) وطبعة المنهاج " النضال له ".

[1086] سقطت من (مط).

[1087] في (س) " حكم عليه الظنّ "، وفي (ش) " حكمه غلبة الظنّ ".

[1088] في (مط) " التوحيد ".

[1089] في (ش) " المصارع ".

[1090] في (س) " بالقلوب ".

[1091] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1092] سقطت من (ش) و(س).

[1093] في (مط) " متّبعيه " وفي (س) " جوابه ".

[1094] في (مط) " مقام ".

[1095] في (مط) " ويقطع به ".

[1096] في (مط) " ليس عن ".

[1097] في (مط) " والمدار ".

لوقت حاجة إن عنت[1098]، وخصام صاحب بدعة، ومناضلة [سخيف][1099] ذي ضلالة[1100]، مما ينغص على ذي اليقين[1101] العيش، ويشغل الذهن، ويكدر النفس.

وأما[1102] أهله الذين حفظ عنهم، ورفع[1103] علمه فيما مضى من الزمان إليهم، لا نقول في أكثرهم أنهم لا يحسنون غيره، ولا يختصون في التوحيد بمقام سواه، مما هو أعلى منه، بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا، فُهَماء بُصَراء[1104]، لكنهم لم يبدوا من العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس، والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد لما[1105] كان نَجَمَ في وقتهم من البدع، وظهر من الأهواء وشاع، من تشتيت كلمة أهل الحق، وتحزب[1106] العوام مع كل ناعق، فرأوا أن الرد عليهم والمنازعة[1107] لهم، والسعي في اجتماع الكلمة

[1098] في (مط) " دعت ".

[1099] سقطت من (مط).

[1100] في (ش) " صلافة ".

[1101] في (مط) " ذوي اليقين "، وفي (س) " ذي يقين ".

[1102] في (مط) " وما ".

[1103] في (مط) " ووقع ".

[1104] في (مط) " فهم نصراء ".

[1105] في (ش) و(ر) و(مط) " ولما "، وفي (س) " لما نجم ".

[1106] في (مط) " وتجرؤ ".

[1107] في (س) " والمقارعة ".

على السنة بعد افتراقها، وإخزاء[1108] ذوي الكيد للدين في احتيالهم[1109]، وإخماد نار الأهواء والفتن[1110]، أولى بهم من الكلام بعلوم الإشارات، وكشف أحوال أرباب المقامات، ووصف فقه الأرواح والنفوس، وتفهم كل ناطق[1111] وجامد؛ فإن هذه كلها، وإن كانت أسنى وأعلى، فذلك[1112] من علم الخواص، وهم مكفون المئونة[1113]. والعامة أحق بالحفظ، وعقائدهم أولى بالحراسة، واستنقاذ من يُخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد، والتصدق على[1114] ذي بُلغة من العيش، فكيف إن كان غنيا[1115]؟

وأيضاً فإن علم الكلام إنما يراد كما قلنا للجدال، وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الإلحاد والزيغ لقصورهم عن ملاحظة الحق، موقع السيوف من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد، والتمادي على الغي وسبل الفساد. فكما لا يقال: السيف أبلغ حجة النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك لا يقال: علم الكلام والجدل[1116] أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء. وكما يقال[1117]

[1108] في (مط) " وإهلاك ".

[1109] سقطت " في احتيالهم " من (س)، وفي (ر) و(مط) " ذوي الكيد في احتيالهم ".

[1110] في (مط) " نارهم الذين هم أهل ".

[1111] في (س) " صامت ".

[1112] في (ر) " فإنّ ذلك ".

[1113] في (ش) " مكفون المؤنة "، وفي (مط) " مكفيّون المؤونة "، وفي طبعة المنهاج " مكفيّون المؤنة "، وفي (ر) " مكفون المؤونة ".

[1114] في (ر) " على كلّ ".

[1115] في (مط) " من غناء ".

[1116] في (مط) " الجدال ".

[1117] في (مط) " وكما لا يقال ".

في الصدر الأول فقهاء الأمصار ومن قبلهم حين لم يُحفظ عنهم في الغالب إلا علوما أخر كالفقه والحديث والتفسير، لأن[1118] الخلق أحوج إلى علم ما حُفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم. فلولا أن حفظ الله [تعالى][1119] تلك العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبادات[1120] وانقطع علم الشرع. ونحن مع هذه الحالة نعلم أنهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل، متحلون بالمقامات [المشهورة][1121] المذكورة، وإن لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام[1122]. ومثل ذلك حال الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا أن يندرس[1123] الإسلام، ويضعف ويقل أهله[1124]، ويرجع البلاد والعامة[1125] إلى الكفر كما كانوا أول مرة، وقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والمبعوث بدعوة الحق عليه السلام [إلى الخلق][1126]، رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر العدو، والغزو في سبيل الله عز وجل، وضرب وجوه الكفر[1127] بالسيف، وإدخال الناس في دين الله عز وجل، أولى بهم من سائر الأعمال، وأحق من تدريس العلوم كلها

[1118] في (س) " لأجل أنّ ".

[1119] سقطت من (ش)، وفي (س) " فلولا أن حفظ تلك ".

[1120] في (مط) " العبارات ".

[1121] سقطت من (س) ومن (مط).

[1122] في (س) " اشتهار من أخذه منهم الخاصّ والعامّ ".

[1123] في (ر) " يدرس "، وفي (مط) " من دروس ".

[1124] في (ر) " ويقلّ ويضعف ".

[1125] في (س) " العامّة والبلاد ".

[1126] سقطت من (مط)، وفي طبعة المنهاج " دعوة الخلق إلى الحقّ. "

[1127] في (مط) " الكفرة ".

ظاهراً وباطناً. وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأقل، وهو في حال ذلك الشغل والنظر[1128] إلى حال العموم أوكد من النظر إلى الخصوص، لأن الخصوص[1129][يوجد فيهم][1130] لأنفسهم غناء[1131]، ولهم بحالهم قيام، والعموم إن لم يكن مشتغَلاً بهم، وذائدا لهم عن هلكاتهم، وسائقاً بهم إلى مراشدهم ونجاتهم[1132]، كان الهلاك إليهم أسرع[1133]، ثم لا يكون بعد ذلك، إن فسد حال العموم، للخصوص قدْر، ولا يظهر لهم نور، ولا يقدرون على شيء كامل من البر، فلا خاصة إلا بعامة.

ولقد كانت رعاية رسول[1134] الله صلى الله عليه وسلم لحال الجماهير أكثر، والخوف عليهم من الزيغ والضلال[1135] والهلاك أشد، واللطف بهم في تخفيف الوظائف، والأخذ بالرفق أبلغ؛ وكان [يَكِلُ][1136] أهل القوة وذوي البصائر في الحقائق إلى ما كانوا يأخذون به أنفسهم[1137]، وكان هو صلى الله عليه وسلم

[1128] في (س) " وفي النظر ".

[1129] سقطت " لأنّ الخصوص " من (ر).

[1130] سقطت من (مط).

[1131] في (مط) " عناء ".

[1132] في (مط) " وصلاحهم ".

[1133] في (س) " أسرع إليهم ".

[1134] في (مط) " النبيّ ".

[1135] سقطت من (س).

[1136] سقطت من (مط).

[1137] في (مط) " يأخذون أنفسهم بالمشقّات ".

يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة، فما يمنعه منه أو من[1138] المداومة عليه إلا خوف أن يفترض[1139] على أمته حين علم من أكثرهم الضعف، [ولم يكره لهم ذلك][1140]، وفيه زيادة الأجر، وكثرة الثواب، والقرب من الله عز وجل، ولكن خاف عليهم أن يحصلوا[1141] في تضييع الفرض، فيكون عليهم كفل من الوزر. ألا ترى كيف نهى[1142] الحولاء بنت تُوَيْب[1143] عن قيام الليل كله[1144]، وكان عثمان رضي الله عنه يقومه فلم ينهه، ومنع السيف من كل من أراد أخذه بما شرط عليه فيه[1145] حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بما شرط عليه فأعطاه إياه.[1146] وقال لعائشة رضي الله عنها: " لولا حدثان عهد قومك بالكفر

[1138] في (س) " في ".

[1139] في (ر) " يفرط "، وفي (مط) و(س) " يفرض ".

[1140] جاء في (ر) محلّ ما بين المعقوفتين: "ولم يكن لهم قدرة على ذلك " وسقطت " ذلك " من (مط).

[1141] في (مط) " يقعوا ".

[1142] سقطت من (ر).

[1143] في (مط) " الخلق ".

[1144] حَوْلاء بِنت تُوَيْت وليس ثويب كما جاء في النسخ، وقد ذكرها الإمام مسلم في الحديث وأفصح باسمها، صحيح، حديث: 785. وتجد الحديث برواية أخرى عند البخاري ولكنّه كنّى على اسم الصحابيّة بلفظة فلانة، صحيح، حديث: 43 و 1100.

[1145] سقطت " فيه " من (ش) و(ر).

[1146] عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: قال الزبير " :عرض رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، سيفا في يده يوم أُحُد، فقال: من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ قال: فقمت، فقلت: أنا يا رسول الله. قال: فأعرض عنّي، ثمّ قال: من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقمت، فقلت: أنا يا رسول الله. فأعرض عنّي، ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ قال: فقام أبو دجانة سماك بن خرشة، فقال: أنا آخذه بحقّه، وما حقّه ؟ قال: حقّه ألا تقتل به مسلما، وألا تفرّ به عن

لرددت البيت على قواعد إبراهيم. "[1147] وقال للأنصار: " أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم "[1148].

كافر. قال: فدفعه إليه. قال: وكان إذا أراد القتال أعلم بعصابة، قال: فقلت: لأنظرنّ اليوم ما يصنع، قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلّا هتكه وأفراه، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل، معهنّ دفوف لهنّ، فيهنّ امرأة تقول: نحن بنات طارق، إن تقبلوا نعانق، ونبسط النمارق، أو تدبروا نفارق، فراق غير وامق. قال: فرفع السيف ليضربها ثم كفّ عنها، قال: قلت: كلّ عملك قد رأيت، أرأيت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ؟ قال: فقال: أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة." [...] وفي رواية ابن إسحاق، قال رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم: من يأخذ هذا السيف بحقّه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في العدوّ حتى ينحني. فقال: أنا آخذه بحقّه يا رسول الله، فأعطاه إيّاه، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا، يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه، علم الناس أنّه سيقاتل. فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، أخذ عصابته تلك، فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين" . الطبري، تاريخ، ج 2، ص 511.

[1147] الشافعي، كتاب الأمّ، تحقيق رفعت فوزي عبد المطّلب، القاهرة، دار الوفاء،1422هـ/ 2001م، ج 2، ص 449، حديث: 1174.البخاري، صحيح، حديث: 1506 و 1509. مسلم، صحيح، حديث: 1333. الطبري، تاريخ، ج 5، ص 622.

[1148] عن أبي سعيد الخدري قال: " لمّا أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إنّ هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيّ من الأنصار شيء، قال: " فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ " قال: يا رسول الله، ما أنا إلّا من قومي، قال: " فاجمع لي قومك في الحظيرة." قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاءه رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم، فلمّا اجتمعوا إليه أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار، فأتاهم رسول الله صلّى الله عليه فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: "يا معشر الأنصار،

ومع ذلك فالذي حُفِظَ عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم من بعده، وفقهاء الأمصار، وأعيان المتكلمين رحمهم الله من الإشارات[1149] لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى، [وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه فيه[1150] مثلهم][1151]. فابحث[1152] تجد، وتصد لاقتباس المعارف تعلم، وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توقن. " ومن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذكر إلا أولو الألباب (البقرة؛ 269) ".

ما قالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟" قالوا: بلى، لله ولرسوله المنّ والفضل، فقال: " ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ " قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المنّ والفضل. قال: " أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم؛ أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألّفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمّد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللّهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار. " قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظّا، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا ". انظر الطبري، تاريخ، ج 3، ص 93- 94. ابن هشام، السيرة النبوية، ج 4، ص 498- 499. وانظر أيضا رواية البخار ي لهذا الخبر في صحيح، الأحاديث: من 4075 إلى 4079 وحديث 4042. مسلم، صحيح، حديث 1059 و1061 وما ذكر بعده من الأحاديث المختلفة الروايات تحت باب إعطاء المؤلفة قلوبهم... من كتاب الزكاة.

[1149] في (ر) " الإشارة ".

[1150] سقطت من (مط).

[1151] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1152] في (مط) " فاقصد ".

بيان[1153] المرتبة الرابعة: وهي توحيد الصديقين

وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به، فلم يروا في الدارين غيره[1154]، ولا اطلعوا في الوجود على سواه. وقد كان بيان إشارات الصحابة رضي الله عنهم فيما خُصُّوا به [في مقاماتهم][1155] من المعرفة يوجد[1156] في هجيراهم، فكان هجير أبي بكر الصديق رضي الله عنه "لا إله إلا الله." وكان هجير عمر رضي الله عنه "الله أكبر." وكان هجير عثمان رضي الله عنه "سبحان الله." وكان هجير علي رضي الله عنه "الحمد لله". فاستقرأ السابقون[1157] من ذلك أن أبا بكر لم يشهد في الدارين غير الله سبحانه[1158]، وكان الصديق، وسمي به كما علمت، وكان يقول: "لا إله إلا الله." وكان عمر يرى ما دون الله صغيراً مع الله تعالى وفي جنب عظمته فيقول[1159]: "الله أكبر." وكان عثمان لا يرى التنزيه إلا لله سبحانه، إذ الكل قائم به غير معرى من النقصان، والقائم بغيره معلول، فكان يقول: "سبحان الله." وكان علي رضي الله

[1153] سقطت من (ر).

[1154] في (ش) " غير الله ".

[1155] ما بين المعقوفتين زيادة من (س).

[1156] سقطت يوجد من (مط).

[1157] في (س) " السالكون ".

[1158] في (ر) " غيره ".

[1159] في (س) " فكان يقول ".

عنه[1160] لا يرى نعمة في الدفع والرفع، والعطاء والمنع في[1161] المكروه والمحبوب إلا من الله عز وجل[1162]، فكان يقول: "الحمد لله".

وأهل هذه المرتبة[1163] على الجملة في حال حصولهم[1164] فيها صنفان: مريدون، ومرادون:

فالمريدون في الغالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين، ومنها ينتقلون، وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة [والله أعلم.

وأمّا المرادون فهم في الغالب مُبتدؤون بمقامهم الأخير، وهي المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها][1165]. ومن أهل هذا المقام يكون القطب، والأوتاد، والبدلاء، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء، والنجباء، والشهداء، والصالحون، والله أعلم.

[1160] في (ر) " وكان عليّ كرّم الله وجهه "، وفي طبعة المنهاج و(ش) " وعليّ رضي الله عنه "، وفي (مط) " وعلي ".

[1161] في (س) "واو" بدل "في".

[1162] في (ر) " إلّا منه ".

[1163] في (م) " الرتبة ".

[1164] في (مط) " خصوصهم ".

[1165] ما بين المعقوفتين ساقط من (مط).

سؤال: كيف يرى صاحب مرتبة الصديقين الأشياء شيئاً واحداً؟

فإن قلت: أليس الوجود [مشتركاً للحادث[1166] والقديم، والمألوه والإله، ثم معلوم أنّ الإله واحد والحوادث][1167] كثيرة، فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الأشياء شيئاً واحداً؟ أذلك على طريق قلب الأعيان فتعود الحوادث قديمة، ثم تتحد بالواحد فترجع هي هو؟ وفي هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يُغني عن إطالة القول فيه؛ وإن كان على طريق التخييل للولي لما لا حقيقة له، فكيف يُحتجُّ به أو يُعدُّ[1168] حالاً لولي أو فضيلة لبشر؟

الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تنقلب إلى القدم، ولم تتحد بالفاعل، [ولا اعترى الولي تخييل فتخيل ما لا حقيقة له][1169]، وإنما هو ولي مُجتبى، وصديق مرتضى، خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف[1170] التام، وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عياناً ما ازداد يقينا[1171]. وإن أنكرتَ أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل لأحد[1172] من خلقه فما أطمَّ مصيبتك، وما أعظم

[1166] في (مط) وطبعة المنهاج " بين الحادث ".

[1167] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1168] في (مط) " أو كيف يعد ".

[1169] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1170] سقطت " الكشف " من (س).

[1171] في (مط) " ما ازداد إلّا يقينا ".

[1172] في (مط) " أحداً ".

العزاء فيك حين قِست[1173] الخلق بمقدارك[1174]، وكِلتهم بمعيارك[1175]، وفضَّلت نفسك على الجميع، إذ لا سبب لإنكارك، إنْ صَحَّ، إلا أنك تخيل[1176] أن يرزق أحد ما لم تُرزق، أو يخص من المعرفة بما لم تُخص.

فإذا تقررت هذه القاعدة، فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه، وما اطلع عليه لا يغيب عنه، وما ذكره من ذلك لا ينساه ولا في حال نومه وشغله، وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقده في شغله ونومه، كما لا يفقده في يقظته وفراغه. ولهذا، والله أعلم، إذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقية[1177] مخلوقاً حياً كان أو جماداً، صغيراً أو كبيراً، لم يره من حيث هو هو، إنّما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة، وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم، ثم أدام القهر عليه في الوجود[1178].

[1173] في (مط) " فتّشت ".

[1174] في (مط) " بمعيارك ".

[1175] في (مط) " بمكيالك ".

[1176] في (مط) " تخيّلت أنّه لم "، وفي (ش) وطبعة المنهاج " تحيل ".

[1177] في (مط) " الصدّيقين ".

[1178] يقول الغزالي متحدّثا عن المرتبة الرابعة من مراتب التوحيد: " ألّا يرى في الوجود إلا واحدا، وهي مشاهدة الصدّيقين وتسمّيه الصوفيّة الفناء في التوحيد، لأنّه من حيث لا يرى إلّا واحدا فلا يرى نفسه أيضا، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده، بمعنى أنّه فني عن رؤية نفسه والخلق[...]والرابع موحّد بمعنى أنّه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكلّ من حيث إنّه كثير، بل من حيث أنّه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد. " إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 202-204.

ثم لما كانت الصفات المشهود آثارها[1179] في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل، فني[1180] الولي عن غيره، وصار لم ير سواه، ومعنى[1181] ذلك أنه لا[1182] يتميز بالذكر في سر القلب، وحيز[1183] المعرفة، ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجوداً به وصادرا عنه[1184]، فأين[1185] ما يبعد من هذا[1186] على من أصحبه [[الله توفيقه، وفتح له منهاجه وطريقه. وعلى هذا جاء المثل في الإحياء برؤية من يرى إنسانا، والإنسان المرئي لا شك ذو أجزاء كثيرة لا يراها الرائي مع ذلك إلا واحدا، ولا يخطر بباله[1187] شيء من أجزائه من حيث أن أجزاء الإنسان[1188] الظاهرة لا حراك لها، ولا سكون، ولا قبض، ولا بسط، ولا تصرف فيما يظهر إلا بمعاني ما كان إنسانا من أجله، وهو الراكب للجسد، المستولي على سائر الأجزاء، المصرف بقدرة الله تعالى للأعضاء، الملقب بالروح تارة، والقلب أخرى، وقد يعبر عنه بالنفس. فإذا رأى اليد من الإنسان مثلا، لم يرها من حيث أنها لحم وعصب وعضل وغير ذلك من مجموع أشخاص الجواهر، وإنما يراها من حيث ما ظهر عليها من آثار

[1179] في طبعة المنهاج " المشهودة آثارها "، وفي (س) " المشهود أثرها ".

[1180] في (مط) " بل له ألهت ".

[1181] في (ر) وطبعة المنهاج " ومعنى الفناء ".

[1182] في هامش (ش) إشارة إلى وضع " لم " عوض " لا ".

[1183] في (مط) " وخير "، وعلى هامش (ش) اقتراح قراءة جزء بدل حيّز.

[1184] في (مط) " وصار عنه فانياً ".

[1185] في (ر) " فإنّني "، وفي طبعة المنهاج " فأنّى ".

[1186] في (مط) " فبعد هذا ".

[1187] في طبعة المنهاج " بباله " دون عزو.

[1188] سقطت من (ر).

صفاته التي هي القدرة، والعلم، والإرادة، والحياة. والصفات لا تقوم بنفسها دون الموصوف، فلهذا لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهود أثرها في الأعضاء والجوارح[1189]، (فظهر صحة رؤية الرائي الإنسان واحدا وهو ذو أجزاء)[1190] كثيرة. ومثل هذا قد يعتري الداخلين على الملوك، والمحبين مع من قد شغفوا به[1191] من المخلوقين. والأمثال غير هذا كثيرة من هذا المعنى، وأرجو]][1192] ألا يحتاج إليها مع هذا الوضوح، ولا فَهْمَ إلا بالله، ولا شرح إلا منه، ولا نور إلا من عنده، وله الحول والقوة وهو العلي العظيم.

[1189] في (ر) و(س) الجواهر.

[1190] ما بين القوسين سقط من (ر)

[1191] في (ر) مع شغفوا بحبّه، وفي (س) مع من شغفوا به.

[1192] سقطت هذه الفقرة التي بين المعقوفتين بكاملها من (مط).

فصل: ما معنى " إفشاء سر الربوبية كفر "؟

وأما معنى "إفشاء سر الربوبية كفر"[1193] فيخرج على وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد به كفراً دون كفر[1194]، ويسمى بذلك تغليظاً[1195] لما أتى به المفشي، وتعظيماً لما ارتكبه. ويعترض هذا بأن يقال: لا يصح أن يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر، إذ الكافر[1196] الذي سمي هذا[1197] على معناه ساتر، وهذا المفشي للسر ناشر، وأين النشر [من الستر][1198]، والإظهار من التغطية، والإعلان من الكتم؟ واندفاع هذا هين بأن يقال: ليس الكفر الشرعي تابع للاشتقاق[1199]، وإنما هو حكم بمخالفة الأمر وارتكاب النهي، فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل، فيقال عليه[1200] كافر لجهتين:

إحداهما من جهة الاشتقاق، ويكون إذ ذاك اسماً ينبئ عن وصف.

[1193] تطرّق الغزالي لهذه المسألة في رسالته "مشكاة الأنوار"، ص 39- 40. وفي إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد، ج 1، 366- 371.

[1194] كتب على هامش (ش) " كفر دون كفر كظلم دون ظلم ".

[1195] في (مط) " تعظيما ".

[1196] في (مط) " الكفر ".

[1197] سقطت من (مط).

[1198] سقطت من (مط).

[1199] في (مط) " الاشتقاق ".

[1200] في (ر) وطبعة المنهاج " له ".

والثانية من جهة الشرع، ويكون إذ ذاك حكماً يوجب عقوبة. والشرع قد ورد بشكر المنعم.

فافهم، لا تذهب مع الألفاظ ولا تستزلك[1201] العبارات، ولا تحجبك التسميات، وتفطن لخداعها[1202]، واحترز[1203] من استدراجها. فإذن، من أظهر ما أُمر بكتمه كان كمن كتم ما أُمر بنشره، وفي مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار[1204]. ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم، [أتريدون أن يكذب الله ورسوله.][1205] "[1206] وفي ارتكاب النهي عصيان، ويسمى في باب القياس على المذكور كفران[1207].

[1201] في (مط) " يغرّنّك ".

[1202] في (مط) " لخداعتها ".

[1203] في (ر) و(مط) وطبع المنهاج " احترس ".

[1204] في (ر) " الاظهار ".

[1205] سقط ما بين المعقوفتين من (س) و(ر) و(مط).

[1206] سبقت الإشارة إليه.

[1207] أدرج تحت هذا الفصل قسم كبير من الفصل الذي يحمل عنوان " معنى أنّ الله خلق آدم على صورته "، فتداخل الفصلان، واختلّ الترتيب بحيث توالت الفصول التي جاءت بعد الفصل المخصّص لخلق آدم، وهذا الذي لاحظناه ينطبق على كل طبعات الإملاء على مشكل الإحياء التي نشرت كهوامش أو ملاحق لكتابَيْ إحياء علوم الدين وكتاب إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لمرتضى الزبيدي، باستثناء طبعة دار المنهاج. وهناك مواضع أخرى من الكتاب وقع فيها نفس الخلل والخلط سنشير إليها في حينها.

والوجه الثاني: أن يكون معناه كفراً للسامع[1208] لا للمخبر، بخلاف الوجه الأول، ويكون هذا مطابقاً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "" لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم، أتريدون أن يكذب الله ورسوله. " فمن حدث أحداً بما لم يصله عقله[1209] ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر، ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما أوجد بها[1210] فقد كفر ولو لم يقصد الكفر، فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر النحل[1211] ما قصدت الكفر ولا تظنه بأنفسها، وهي[1212] كفار بلا ريب. وهذا وجه واضح قريب، ولا تلتفت إلى ما مال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل، ولا يعقل كلام أولي الحكم[1213] والراسخين في العلم حين ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان، والإسلام يتعلق بمخبره ويلحق قائله، وهذا لا يخرج إلا على مذاهب أهل الأهواء الذي يكفرون بالمعاصي، وأهل السنن لا يرضون بذلك.

وكيف يقال لمن آمن بالله ورسوله[1214] واليوم الآخر، وعَبَدَ الله بالقول الذي ينزهه به، والعمل الذي يقصد به التعبد[1215] لوجهه، والفكر[1216] الذي يستزيد به

[1208] في (ر) " كفر السامع ".

[1209] في (س) " لم يصل إليه عقله ".

[1210] في (ر) " أوجدها "، وفي (مط) " أوجدتها ".

[1211] في (مط) " الكفار ".

[1212] في طبعة المنهاج " وهم ".

[1213] في (مط) " الحكمة ".

[1214] سقطت من (مط) وجاءت في (ش) في الهامش.

[1215] في (ر) و(مط) " المتعبّد ".

[1216] في (ر) " الكفر "، وسقطت من (مط).

إيمانا ومعرفة[1217] له سبحانه[1218]؛ ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد، وينيله ما شرف من المنح، ويريه أعلام الرضا، ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه. والإيمان لا يخرج عنه إلا بنبذه واطراحه، وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه، ولا يحصل بمقارنته، وليس في إفشاء الولي شيء[1219] مما يناقض الإيمان[1220]، اللهم إلا أن يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له، فهذا عات[1221] متمرد وليس بولي. ومن أراد من خلق الله أن يكفر[1222] بالله، فهو لا محالة كافر. وعلى هذا يخرج قوله تعالى: " ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم. (الأنعام؛ 108)". ثم إن من سب أحدا منهم على ما يجد له من العداوة والبغضاء قيل له: أخطأت وأَثِمْت، من غير تكفير، وإن كان إنما فعل ذلك ليسمع سب الله تعالى، أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع[1223].

[1217] في (ش) و(ر) وطبعة المنهاج " المعرفة ".

[1218] سقطت " له سبحانه " من (س).

[1219] سقطت من (ر).

[1220] في (مط) " سرّ الوليّ ما يحصل به تناقض الإيمان ".

[1221] في (ر) " غبيّ " وفي (س) " عابث ".

[1222] في(مط) " ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر "، وفي طبعة المنهاج " ومن أراد من خلق الله أن يكفروا ".

[1223] في (ش) " بإجماع ".

سؤال: ما معنى " للإلـهية سر لو انكشف لبطلت النبوة[1224] "؟

فإن قيل: فما معنى قول سهل[1225] رحمه الله تعالى الذي نسب إليه: "للإلـهية سر لو انكشف لبطلت النبوة[1226]، وللنبوة[1227] سر لو انكشف لبطل العلم، وللعلم سر لو انكشف لبطلت[1228] الأحكام "؟ وجاء في الإحياء على أثر هذا القول، وقائل هذا القول إن لم يرد به إبطال[1229] النبوة في حق الضعفاء فما قاله[1230] ليس بحق، فإن الصحيح لا يتناقض، والكامل من لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه[1231]. وهذا وإن لم يكن من الأسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما

[1224] ذكر الغزالي هذا القول في إحياء علوم الدين ولم ينسبه بل قدّم له بقوله: قال بعضهم، ونسبه هنا لسهل التستري. انظر الإحياء، كتاب قواعد العقائد، ج 1، ص 366، حيث جاء كلام التستري كما يلي: "للربوبيّة سرّ لو أظهر لبطلت النبوّة، وللنبوّة سرّ لو كُشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سرّ لو أظهروه لبطلت الأحكام ". وقد اتفقت النسخ التي اعتمدنا عليها كلّها على ما أثبتناه رغم اختلافه مع عبارة إحياء علوم الدين.

[1225] أبو محمّد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري ولد في تُسْتُر قرب شيراز في بلاد خوزستان.. شيخ العارفين الصوفيّ الزاهد، صحب خاله محمّد بن سوار، ولقي في الحجّ ذا النون المصري وصحبه وروى عنه الحكايات. توفّي سنة 283هـ/ 896م. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 10، ص 190- 212. الذهبي، السير، ج 13، ص 330- 333.

[1226] في (س) و(مط) " النبوّات. "

[1227] في (س) و(مط) " النبوّات ".

[1228] في (ش) "بطلت ".

[1229] في (س) " بطلان ".

[1230] في (مط) " قالوا ".

[1231] إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد، ج 1، ص 366. وقد اختلفت كذلك عبارة الإحياء عن تلك التي جاءت في الإملاء فكانت في الإحياء كالتالي: " وهذا القائل إن لم يُرد

فرغ[1232] من الكلام فيه آنفاً وناظر إليه، إذ ما أدى إفشاؤه إلى إبطال[1233] النبوة والأحكام والعلم فهو كفر.

والجواب أن الذي قاله رحمه الله، وإن كان مستعجماً في الظاهر، فهو قريب المسلك، بادي الصحة[1234] للمتأمل[1235] الذي يعرف مصادر أغراضهم، ومسالك أقوالهم. وسر الإلهية[1236]، [الذي بمعرفته يستحق النبوة][1237] من وصل[1238] إليه اليقين الذي لولاه لم يكن نبيا، لا يخلو[1239] إما أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التي[1240] كانت[1241] غائبة عنها[1242]، فإن[1243] كانت القلوب ضعيفة، طرأ عليها من الدهش، والاصطلام،

بذلك بطلان النبوّة في حقّ الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحقّ، بل الصحيح أنّه لا تناقض فيه، وأنّ الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ".

[1232] في (ش) و(ر) و(مط) " فرع ".

[1233] في طبعة المنهاج " بطلان ".

[1234] سقطت من مط.

[1235] في (ر) " للكامل ".

[1236] في (س) " وسرّ الإله ".

[1237] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1238] في (مط) " ومن وصل ".

[1239] سقطت " لا يخلو " من (ر).

[1240] في طبعة المنهاج " من الأنوار التي "، وسقطت " الشمس ".

[1241] سقطت من (مط).

[1242] في (س) " عنه ".

[1243] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " بأن ".

[والحيرة، والتيه، ما يبهر العقول، ويفقد الحس[1244]، ويقطع عن الدنيا وما فيها، وذلك لضعفه][1245]. ومن انتهى إلى هذه الحالة، فتبطل[1246] النبوة في حقه أن يعرفها أو يعقل ما جاء من قبلها، إذ قد شغله عنها ما هو أعظم لديه منها، وربما كان ذلك سبب موته لعجزه عن حمل ما يطرأ عليه، كما حكي أن شاباً من سالكي طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد[1247] ولم يره من قبل، فلما نظر[1248] [إليه الشاب مات من ساعته، فقيل له في ذلك، فقال: " إنه كان في صدره أمر لم ينكشف له حقيقته، فلما رآني][1249] انكشف له وكان في مقام الضعفاء من المريدين، فلم يطق حمله فمات به ". وإما أن يكون انكشافه من عالم به على جهة[1250] الخبر عنه، فتبطل النبوة في حق المخبر حين[1251] نهي ألا يفشي[1252]

[1244] في (س) " إحساس ".

[1245] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1246] في (ر) " ومن أثر "، وفي (س) " تبطل ".

[1247] أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامي، صوفيّ عاش في القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين"، اسمه الفارسي "با يزيد"، وعُرف كذلك باسم طيفور، كان جدّه مجوسيًا ثمّ أسلم. ولد سنة 188هـ/ 804م، في بسطام في بلاد خراسان. روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق. توفي سنة 261 هـ/ 875م وقيل سنة 234 هـ/849م. السلمي، طبقات الصوفية، ص 67- 73.

[1248] في (مط) " رآه ".

[1249] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1250] في (مط) "وجه ".

[1251] في (ر) وهامش (ش) وطبعة المنهاج " حيث ".

[1252] في طبعة المنهاج " حيث نهي عن الإفشاء ".

فأفشى، وأمر ألا يتحدث فلم يفعل، فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فلهذا قيل في ذلك: بطلت النبوة في حقه.

فإن قلت: فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذ بطلت النبوة في حقه بإخباره؟

قلنا: لم يبطل في حقه جميعها[1253]، وإنما بطل في حقه منها ما خالف الأمر الثابت من قبلها. [وبعد[1254]، هذا من الكلام إغلاء وتغليظ لحق الإفشاء][1255]، وقد سبق الكلام عليه في معنى " إفشاء سر الربوبية كفر".

وأما سر النبوة الذي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة، إذ النبوة لا يعرفها بالحقيقة إلا نبي، فإن انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع المحبة[1256] له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه، فيكون كالنبي إذا سئل عن شيء أو وقعت له واقعة، لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها، بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق بإخبار ملَك، أو ضرب[1257] مثل يفهم عنه، أو اطلاع على اللوح المحفوظ، أو إلقاء في روع،

[1253] في (ر) " جميعا "، وفي (مط) " ما يطلق في حقّه جميعا ".

[1254] في طبعة المنهاج " ويعدّ ".

[1255] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1256] في (مط) " بارتفاع المحنة له "، وفي (ر) " باعتبار المحنة له "، وفي طبعة المنهاج " باعتبار المحبة له ".

[1257] في (س) " بضرب ".

فيعود[1258] ذلك أصلا في العلم، ومنحا[1259] له، ومعنى نقيس عليه غيره. وأما إن كان[1260] انكشافه بخبر[1261] ممن رزق علم ذلك، كان بطلان العلم في حق المخبر، إذ أفشاه لغير أهله، وأهداه لمن لا يستحقه، كما روي عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة السلام: " لا تعلقوا الدر في أعناق الخنازير. " وإنما أراد ألا يباح[1262] العلم لغير أهله. وقد جاء " لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها ".

وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام، فإن كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة بطلت الأحكام في حقها لما تطلع[1263] عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء، وعواقب الخلق، وكشف أسرار العباد[1264]، وما

[1258] كلّ الطبعات السابقة لكتاب الإملاء على مشكل الإحياء سواء منها التي هي على هامش إحياء علوم الدين أو على هامش إتحاف السادة المتقين لمرتضى الزبيدي أو حتى التي طبعت مؤخّرا كملاحق للكتابين، يجب التنبّه منها عندما يصل القارئ لهذه الفقرة لأنّ الخلل يكمن في هذا الموضع بحيث تجد بعد جملة " أو إلقاء في روع، فيعود" قسما من الفصل المخصّص للحديث عن موضوع: " ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم " والتي تبدأ بعبارة " ويتزر به إلا من لا يعرف ربه..."

[1259] في (مط) وفي (ر) وفي طبعة المنهاج " أو نسخاً "، وفي (ش) أو " شيخا ".

[1260] سقطت من (مط)، وفي (ر) " أن يكون ".

[1261] في (س) " من مخبر ".

[1262] في (مط) " قطاع العلم عن ".

[1263] في (مط) " لمن يطلع ".

[1264] في (مط) " العبادة "

بطن[1265] من المقدور. فمن عرف نفسه[1266] مثلاً أنه من أهل الجنة، لم يصل، ولم يصم، ولم يتعب نفسه في خير[1267]. وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كمل انهماكه، فلا يحتاج إلى تعب زائد، ولا نصب يكابده[1268]. فلو عرف كل أحد عاقبته[1269] ومآله، بطلت الأحكام الجارية عليه. وإن كان كشفها من مخبر، استروح الضعيف إلى ما يسمع من ذلك، فيتعطل وينخرم حاله، وينحل قيده.

وبعد هذا، فلا يُحمل كلام سهل[1270] إلا على ما يقدر لا على ما يوجد، ولذلك جعله مقروناً بحرف "لو" الدال على امتناع الشيء لامتناع غيره، كما يقال: لو كان للإنسان جناحان لطار، ولو كان للسماء درج لصُعد عليها، ولو كان البشر ملَكا لفقد الشهوات[1271]، فعلى هذا يخرج كلام سهل في ظاهر العلم.

[1265] في (مط) " يظنّ ".

[1266] في (ر) " فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه ".

[1267] سقطت " في خير " من (ش).

[1268] في (مط) " تصيبه مكابدة ".

[1269] في (ر) " بما فيه ".

[1270] في (ر) زيادة " رضي الله عنه "، وفي طبعة المنهاج " رحمه الله "، وهذا دأب ناسخ (ر) وطبعة المنهاج فلنكتف بهذا الهامش.

[1271] في (ر) وطبعة المنهاج " الشهوة ".

فصل: [في كيفية تلقي العقلاء للكلام من الجمادات وغيرها]

وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير مستنكر، فقديماً ندب الناس الديار، وسألوا الأطلال، واستخبروا الآثار. وقد جاء في أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " اسْكُنْ أُحُد، فَإِنما عَلَيْكَ نَبي وَصِديقٌ وَشَهِيدَانِ[1272]. " وقال بعضهم: " سل[1273] الأرض تخبرك عمن شق أنهارها، وفجر بحارها، وفتق أهواءها، ورتق أجواءها، وأرسى جبالها، إن لم تجبك [جوارا][1274] أجابتك اعتباراً ". وإنما الذي يتوقف على الأذهان، ويتحير في قبوله السامعون، ويتعجب منه أولوا العقول[1275]، هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات، ففي هذا وقع الإنكار، واضطرب النظار، وكذب في تصحيح وجوده ذووا السمع من أهل الاعتبار[1276]. ولكن لتعلم أن تلقي الكلام للعقلاء ممن لم يعهد عنه[1277] في المشهور يكون على جهات:

[1272] في (س) " وشهيد ". أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، كتاب السنة، تحقيق عطية الزهراني، الرياض، دار الراية، 1410هـ/ 1989م، ج 2، ص 361؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 44، ص 402؛ ورواه أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 5، ص 25، بلفظ "وشهيد".

[1273] في (س) " فاسأل ".

[1274] سقطت من (مط)، وفي (ر) " جوارا "، وفي (ش) " جوازا ".

[1275] في (ش) و(ر) و(مط) " وتتعجّب منه العقول ".

[1276] في (مط) و (ر) " ذو السمع من الاعتبار ". وفي مطبوع آخر " والسمع من الاعتبار ".

[1277] في (مط) " يعقل عنه "، وفي (ر) وطبعة المنهاج " يعهد منه ".

من ذلك سماع الكلام الذاتي كما يتلقى من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ، وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله[1278] عليهم في بعض الأوقات، كحنين الجذع[1279] للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان[1280] حجر يسلم عليه في طريقه قبل مبعثه[1281].

ومنها تلقي الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس، ويعتري هذا سائر الحواس، كمثل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص ومن غير مثال، والمثال المرئي للنائم ليس له وجود في غير حاسة بصره[1282] [كالصوت الذي يسمعه منه وليس له وجود في غير حاسة سمعه][1283].

وأما ما يجده غير النائم في اليقظة، فمنها خاصة وعامة. فالعامة تشهد بصحة الخاصة كما جاء في الحديث عن قتل اليهود في آخر الزمان أن الحجر ينادي المسلم: " يا مسلم، خلفي يهودي فاقتله. " وإن لم يخلق[1284] الله تعالى للحجر حياة ونطقاً، ويذهب عنه معنى الحجرية، أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن

[1278] في(ر) وطبعة المنهاج " صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين ".

[1279] أنظر صحيح البخاري، حديث: 886- 3390- 3391- 3392. الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 505- 3627

[1280] في (ر) وطبعة المنهاج "وكان بمكّة حجر ".

[1281] مسلم، صحيح، حديث: 2277. الترمذي الجامع الصحيح، حديث: 3626.

[1282] في (مط) " سمعه ".

[1283] ما بين المعقوفتين سقط من (مط)، وفي (س) و(ر) " في غير سمعه ".

[1284] في طبعة المنهاج " فإمّا أن يخلق " مصحوبة بالهامش التالي في النسخ: (فإن لم يخلق وما أثبتناه من هامش (ش).

يستر عن الأبصار في العادة من الملائكة والجن، أو يكون كلام يخلقه[1285] الله عز وجل في أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودي حتى يقتله. وكما يقال في العرض الأكبر[1286] إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص، وفي الخلائق مثل اسم المنادى به[1287] كثير. وقد قالت العلماء [رحمهم الله][1288]: إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي، فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه، ولا يكون نداء من خارج، والأمثلة كثيرة في الشرع، وفيما سمعتَ غنية ومقنع.

ومنها تلقي الكلام في العقل، وهو المستفاد بالمعرفة، المسموع بالقلب، المفهوم بالتقدير على اللفظ، المسمى بلسان الحال كما قال قيس[1289]:

وأجهشت للتوباذ حيـن رأيتـه ... وكبر للرحمـن حين رآنـي

فقلت له أين الذيـن عهدتهـم ... حواليك في عيش[1290] وخفض زمانِ

[1285] في (ش) " أو يكون كلام خلقه "، وفي (ر) " أو يكون لكلام يخلقه "، وفي طبعة المنهاج " أو يكون كلاما يخلقه ". وفي الإملاء على حاشية الإتحاف " ويكون كلام خلقه ".

[1286] في (مط) " العرض الأكبر يوم القيامة ".

[1287]سقطت " به " من (س) وطبعة المنهاج.

[1288] زيادة من هامش (ش) ليست في (ر) ولا في (مط)..

[1289] هو قيس بن المُلَوَّح وقيل: ابن معاذ، وقيل: اسمه بختري بن الجعد، وقيل غير ذلك. من بني عامر بن صعصعة، وقيل: من بني كعب بن سعد، الذي قتله الحبّ في ليلى بنت مهدي العامريّة. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1386هـ/ 1966، ج 2 ص 563- 573، ترجمة: 101. الذهبي، السير، ج 4، ص 5- 7.

[1290] في (س) " أمن مكان عيش ".

فقال مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى علــى الحدثــانِ[1291]

وفي أمثال العوام: قال الحائط للوتد: لم تشقني؟[1292]

فقال الوتد للحائط: سل من يدقني.[1293]

فلو كانت العبارة تتأتى منها، ما عبرت إلا بما قد استعير لها[1294]. وعلى هذا المعنى[1295] حمل كثير من العلماء [رحمهم الله][1296] قوله عز وجل إخباراً عن السماء والأرض[1297] " إيتيا طوعا أوكرها، قالتا أتينا طائعين. "(فصلت؛ 11) وفي قوله تعالى:" إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن

[1291] جاءت هذه الأبيات في ديوان المجنون كالآتي:

وأجهشتُ للتوباذ حيـــن رأيتــه ... وكبّر للرحمـــن حـين رآنــــي

وأذريتُ دمع العين لمـــا رأيتــــه ... ونادى بأعلى صوته ودعـــانـــي

فقلت له أين الذيــن عهـــدتهـــم ... حواليك في عيش وخفض زمــانِ

فقال مضوا واستودعوني بلادهـم ... ومن ذا الذي يبقى علــى الحدثانِ

ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فرّاج، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1400هـ/ 1979م، ص 213، مقطوعة رقم 283.

[1292]المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 40.

[1293] تجد المثال نفسه في إحياء علوم الدين، كتاب آداب السفر، ج 4، 336.

[1294] في طبعة المنهاج " تتأتّى منها، ما عبرت إلّا بما قد استعير لها ".

[1295] سقط من (ر).

[1296] زيادة من هامش (ش).

[1297] في (س) " إخبارا عن السماء والأرض حين قالتا "، وسقطت من (س) " إيتيا طوعا أو كرها ".

يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوما جهولا " (الأحزاب؛ 72).

ومنها تلقي الكلام في الخيال[1298] مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " كأني أنظر إلى يونس بن مَتى عليه السلام عليه عَبَاءَتَانِ قَطْوَانِيَتَانِ يلبي وتجيبه الجبال، والله يقول: لبيك يا يونس. " فقوله " كأني "[1299] يدل على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الخيال[1300] وجود ذاتي، لأن يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد مات، وتلك الحالة منه سلفت[1301]، وفي هذا الحديث إخبار عن الوجود الخيالي في السمع[1302].

ومنها تلقي الكلام بالشبه، وهو أن يسمع السامع كلاماً أو صوتاً من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره مما غاب عنه، كقوله صلى الله عليه وسلم في صوت أبي موسى الأشعري[1303] إذ سمعه يترنم[1304] بالقرآن: " لقد أعطي[1305] مزمارا من مزامير آل داود عليه السلام. " ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت.

[1298] في (مط) " الجبال ".

[1299] في طبعة المنهاج " كأنّي أنظر ".

[1300] في (ر) و(مط) " الحال ".

[1301] في (ر) وطبعة المنهاج " قد سلفت ".

[1302] في (مط) وطبعة المنهاج " إخبار عن الوجود الخياليّ في البصر والوجود الخياليّ في السمع "، وفي (ر) " إخبار عن الخياليّ في البصر والوجود الخياليّ في السمع ".

[1303] في (ر) وطبعة المنهاج " رضي الله عنه ".

[1304] سقطت من (س).

[1305] في (ر) " أوتي "، وفي (س) " أعطيت ".

وإنما شبه صوته بها. وكما إذا سمع المريد صوت مزمار أو عود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة ويشبهها بما فجأ صوته من ذلك.

فهذه مراتب الوجود، فأنت إذا أحسنت التصرف بين إثباتها[1306]، ولم يعترك غلط في بعضها ببعض،[1307] ولا اشتبهت عليك، وسمعت عمن[1308] نظر بمشكاة نور الله عز وجل إلى الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له: ما بال وجهك وكان أبيض مشرقا[1309] مونقاً، والآن قد ظهر عليه[1310] السواد، فَلِمَ سودت وجهك؟

فقال الكاغد: "[ما أنصفتني في هذه المطالبة، فإني ما سودت وجهي بنفسي، ولكن][1311] سل الحِبر، فإنه كان مجموعاً في المِحبرة التي هي مستقره ووطنه، فسافر عن الوطن، ونزل بساحة وجهي ظلماً وعدواناً. "

فقال: " صدقت ".

[1306] في (مط) " أساليبها "، وسقطت من (ر) وجاء ت العبارة كالتالي " فأنت إذا أحسنت التصرّف فيها ".

[1307] في طبعة المنهاج زيادة " لم تلتبس عليك" ولا ندري من أية النسخ جاءت بها اللجنة العلمية.

[1308] في (س) " ممّن "، وفي (ر) " بمن ".

[1309] في (مط) " أشقر ".

[1310] في (مط) " فيه ".

[1311] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

ثم أنت إذا سمعت أمثال هذه المراجعات، أعمل الفكر، وحدد النظر، وحل[1312] الكلام إلى [جملة][1313] أجزائه التي انتظم منها جملة ما بلغك. فتسأل[1314] عن معنى الناظر، [ومعنى المشكاة][1315]، ومعنى نور الله سبحانه، وما سبب أنه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب؟ وبأي لسان خاطب الكاغد؟ [وكيف خاطبه الكاغد][1316] وهو ليس من أهل النطق؟ وفيما صدق الناظر الكاغد؟ ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد؟

فسيبدو[1317] لك ههنا أن الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه[1318] الحس، والمشكاة استعارة نقلت من مشكاة الزجاجة التي أعدت[1319] لسراج النار، إلى حيز[1320] المعرفة الملقب[1321] بسر القلب، تشبيها[1322] بها لأنها مسرجة الرب سبحانه وتعالى، يشعلها[1323] بنوره، ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن،

[1312] في (س) "ضمّ ".

[1313] سقطت من (ر) من (س).

[1314] في (ر) وطبعة المنهاج " فسل ".

[1315] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1316] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1317] في (ش) و(ر) و(مط) " فيبدو ".

[1318] في (س) " عليك ".

[1319] في (مط) " أعمرت ".

[1320] في (مط) " خبر ".

[1321] في (ر) " إلى الخبر المعرفة المقلب" [كذا].

[1322] في (مط) " شبيها ".

[1323] في (مط) " أشعلها ".

واشتعال السر بطلوع نيرات[1324] كواكب المعارف[1325] المُذهِبَة[1326] بإذن الله تعالى ظلم جهالات[1327] القلوب. ووجه إضافته إلى الله عز وجل على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف. والكاغد والحِبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما، وجعلهما [الله عز وجل][1328] مبدأ[1329] طريقه، وأول سلوكه، إذ هما في عالم الملك والشهادة الذي هو محل جملة[1330] الناظر في حال نظره.

وأما سبب أن[1331] لم يعرف الكتابة والمكتوب، فلأجل[1332] أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي، وإنما يروم معرفة قراءة الخط الإلهي الذي هو أبين وأدل على ما يفهم[1333] منه. وأما مخاطبة الناظر للكاغد وهو جماد، فقد سبق الكلام [على مثله، ومراجعة[1334] الكاغد له، فعلى قدر حال الناظر له إن كان مراداً،

[1324] في (مط) " نيران ".

[1325] في (ر) " المعرفة ".

[1326] في (مط) " الذاهبة ".

[1327] في (ر) " الجهالات ".

[1328] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1329] في (ر) " أوّل ".

[1330] في (مط) " جولة ".

[1331] في (مط) " أنّه ".

[1332] سقطت من (ر) ".

[1333] في (مط) " الفهم ".

[1334] في طبعة المنهاج زيادة "وأمّا" قبل ومراجعة، وهي إضافة من اللجنة العلمية.

فيتلقى الكلام[1335]][1336] في الحس بما ينبئه عن المطلوب من الحق، وهو من باب الإلقاء في الروع، فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الإنسان صور الأشياء المحسوسة[1337]، وإن كان مريداً فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل.

وتصديق الناظر للكاغد في عذره وإحالته على الحبر لم يكن بمجرد قوله، بل بشهادة أولي الرضا والعدل، وهو البحث والتجربة وشهادة النفس[1338]، وهذا سبيلك[1339] إلى اليد[1340] وهو آخر ما سأل عنه من أجزاء عالم الملك[1341].

وأما ما يسمعه[1342] في حد عالم الجبروت، فذلك من القدرة المحدثة إلى العقل والعلم الموجودين في الإنسان، فمستقره[1343] في القوة الوهمية المدركة جميع ما لا يستدعي وجوده جسماً. ولكن قد يعرض له أن يكون في جسم[1344]، كما تدرك السخلة عداوة الذئب، وعطف أمها، فتتبع العطف وتنفر من العداوة. وأما

[1335] سقطت " الكلام " من (ش).

[1336] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1337] سقطت من (ر).

[1338] في (مط) " وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس ".

[1339] في (مط) " يسلك ".

[1340] في (مط) " القدرة ".

[1341] في (مط) " وهو آخرها، سأل عن أجزاء عالم الملك ".

[1342] في (مط) " سمعته ".

[1343] في (مط) " المستقرةّ .

[1344] في (مط) " قد يعرض له أنه في جسم ".

ما يسمعه في حد عالم الملكوت، وذلك من القلم[1345] الإلـهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه، فبسر[1346] القلب الذي يأخذ به عن [الملائكة، ويسمع به ما بَعُدَ مكانه، ودق[1347] معناه، وعزب عن][1348] القلوب من جهة الفكرة تصوره[1349].

فأما أي شيء حقائق هذه المذكورات؟ وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة؟ فذلك من علم ما لا ينتفع بسماعه مع عدم المشاهدة. والله قد عرفك بأسمائها، فإن كنت مؤمناً فصدق[1350] بوجودها على الجملة لعلمك أنك لا تخبر[1351] بتسميات ليست لها مسميات[1352]، إلى أن يُلْحِقَكَ الله بأولي المشاهدات، ويخصك بخالص[1353] الكرامات. ومن كفر فإن الله غني حميد[1354].

[1345] في (س) و (مط) " العلم ".

[1346] في (مط) " فسرّ ".

[1347] في (مط) " ورق ".

[1348] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1349] في (مط) " بصوره ".

[1350] في (س) " فتصدق ".

[1351] في (ش) " تجيز ".

[1352] سقطت من (ر) ".

[1353] في (مط) " وتحصل خالص ".

[1354] في (ر) " غني عن العالمين ".

فصل: [في الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي]

والفرق بين القلم[1355] المحسوس [في عالم الملك وبين القلم[1356] الإلهي في عالم الملكوت أن القلم المحسوس][1357] كما عقلته مجسماً[1358] بطيء الحركة بالفعل، سريع الانتقال بالهلاك[1359] مخلفاً[1360] عن مثله في الظاهر، مجعولاً[1361] تحت قهر سلطان الآدمي الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته، مصرفا[1362] بين أحوال متنافية كالعلم والجهل، والظلم والعدل، والظن[1363] والشك، والصدق والإفك. والقلم[1364] الإلهي عبارة عن خلق الله تعالى في عالم الملكوت، مختص، بخلاف خصائص الجواهر الجسمية[1365] الكائنة في

[1355] في (مط) " العلم ".

[1356] نفس الملاحظة.

[1357] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

[1358] في (مط) " أنّ العلم كما اعتقدته مجسماً "، وفي (س) " مجسمٌ ".

[1359] في هامش (ش) " بالهالك ". وفي (مط) " بالهلال ".

[1360] في (س) " مخلق من ".

[1361] في (س) " مجعول ".

[1362] في (مط) " متصرّف "، وفي (س) " مصرف ".

[1363] سقطت " الظنّ " من (ر) و(مط)، وجاءت هذه المفردات على غير هذا الترتيب في (مط).

[1364] في (مط) العلم.

[1365] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " الحسيّة ".

عالم الملك، بريء[1366] من أوصاف ما سمي به القلم المحسوس[1367] كلها[1368]، مصرف بيمين[1369] الخالق بحكم إرادته على ما سبق به علمه في أزل الأزل. وإنما سمي بهذا الاسم لأجل شبهه بعمل ما سمي به، غير أنه لا يكتب إلا حقا بحق[1370].

والفرق بين يمين الله تعالى ويمين الآدمي[1371] أن يمين الآدمي كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها، وعضل تعضل أدواؤها، وعظام يعظم بلاؤها، ولحم ممتد[1372]، وجِلْدٍ غير ذي جَلَدٍ، موصولة بمثلها في الضعف للانفصال[1373]، ملقبة باليد، وهي عاجزة على كل حال. ويمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته، وعند بعضهم [عبارة عن][1374] صفة لله تعالى غير القدرة، وليست بجارحة ولا جسم. وعند آخرين أنها عبارة عن خلق لله، هي واسطة بين القلم الإلهي الناقش[1375] للعلوم المحدثة وغيرها، وبين

[1366] في (ر) و(مط) " يرى ".

[1367] سقطت " القلم المحسوس " من (س).

[1368] في (مط) " كليّا ".

[1369] في (مط) " يتميّز ".

[1370] في (مط) " حقائق الحقّ ".

[1371] في (ش) وطبعة المنهاج و(مط) " والفرق بين يمين الآدميّ ويمين الله عزّ وجلّ ".

[1372] في (س) " متبدّد "، وفي هامش (ش) اقتراح " متبدّد " مكان " ممتدّ ".

[1373] في (مط) والانفعال وفي طبعة المنهاج " والانفصال ".

[1374] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1375] سقطت من (س).

قدرته التي هي صفة له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الإلهي المبثوث على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي، يقرأه الأميون إذا شرحت له صدروهم، ويستعجم على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم. ولم تشارك يمين الآدمي[1376] إلا في بعض الاسم لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما في الفعل[1377]، وتقريباً إلى كل ناقص الفهم، عساه يعقل ما أنزل على رسل الله عز وجل من الذكر.

[1376] في (ر) وطبعة المنهاج " ولم تشارك يمين الله يمين الآدمي ".

[1377] في (س) " في العقل ".

فصل: عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت

وحد عالم الملك ما ظهر للحواس، ويكون بقدرة الله عز وجل، بعضه من بعض وصحبه التغيير[1378].

وحد عالم الملكوت ما أوجده سبحانه بالأمر الأزلي بلا تدريج، وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه[1379].

وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما اشبه[1380] أن يكون في الظاهر من عالم الملك، فَجُبِرَ بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت.

[1378] في (مط) " وصحّة التعبير ".

[1379] في (ر) " من غير زيادة ولا نقصان ".

[1380] في (س) " مما يشبه ".

فصل: [معنى أن الله خلق آدم على صورته]

ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وللعلماء فيه وجهان[1381]:

فمنهم من يروى[1382] للحديث سبباً: وهو أن رجلاً ضرب وجه[1383] غلامه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم، فنهاه وقال: "إن الله تعالى خلق آدم على صورته. " وتأولوا عَوْدَ الضمير على المضروب. وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع [إن[1384] لم يرد موردا[1385] آخر في غير هذا الموطن، ويكون][1386] الإيماء[1387] به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث، [وإثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول][1388] مما يعز ويعسر. فلنبق السبب على حاله،

[1381] انظر إجابات الغزالي بخصوص هذا الحديث في إحياء علوم الدين، كتاب التوبة، ج 7 ص، 81، و ص 89، وكتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 220، وكتاب المحبّة والشوق، ج 8، ص 406.

[1382] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " يرى ".

[1383] سقطت من (ر) و(مط).

[1384] سقطت من (مط).

[1385] في طبعة المنهاج " موردٌ ".

[1386] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1387] في (مط) " الإيمان ".

[1388] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

ولننظر في وجه للحديث غير هذا مما يحتمله ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن.

والوجه الآخر: أن يكون الضمير الذي في " صورته " عائداً على[1389] الله سبحانه، ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي [مضافة][1390] إلى الله سبحانه، وهذا[1391] العبد المضروب على صورة آدم. فإذن هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله عز وجل

ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان[1392] معنى هذه الإضافة، وعلى أي جهة تحتمل[1393] في الاعتقاد العلمي على الله سبحانه، ففيها وجهان:

أحدهما، أن [تكون][1394] إضافة ملك لله عز وجل[1395] كما يضاف إليه العبد، والبيت، والناقة، واليمين على أحد الأوجه.

والوجه الآخر[1396]: أن تكون إضافة تخصيص به عز وجل، فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بجملته، [وآدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر][1397]، لكنه مختصر صغير، فإن العالم

[1389] في (مط) " على ".

[1390] سقطت من (مط).

[1391] في (ش) و(ر) " وهو ".

[1392] في (س) " ويتوقّف بيانه على ".

[1393] في (مط) " يحمل ".

[1394] سقطت من (مط).

[1395] في (مط) " إضافته إضافة ملك لله تعالى ".

[1396] في (س) " والوجه الثاني ".

[1397] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[إذا فَصَلْتَ أجزاءه[1398] بالعلم، وفَصَلْتَ أجزاء آدم عليه السلام بمثله، وَجَدْتَ أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الأكبر][1399]، وإذا شابهت[1400] أجزاء جملة أجزاء جملة [أخرى][1401]، فالجملتان لاشك[1402] متشابهتان. فالذي نظر في تحليل صورة العالم الأكبر فقسمه على أنحاء من القسمة، وقسم آدم عليه السلام كذلك، فوجد كل [نحوين][1403] منهما يشتبهان[1404].

فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين: أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك، والثاني باطن معقول كعالم الملكوت. والإنسان كذلك انقسم[1405] إلى ظاهر محسوس كاللحم، والعظم، والدم، وسائر أنواع الجواهر المحسوسة، وإلى باطن[1406] كالروح، والعقل، والعلم، والإرادة، والقدرة، وأشباه ذلك.

وقسمة أخرى[1407] ، وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم إلى عالم المُلك وهو الظاهر للحواس، وإلى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول، وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منها. والإنسان كذلك

[1398] في (مط) " أجزائه "، وفي طبعة المنهاج " أجزاؤه " على المبني للمجهول.

[1399] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1400] في (س) " أشبهت ".

[1401] سقطت من (مط).

[1402] في (ر) وطبعة المنهاج " بلا شكّ ".

[1403] سقط ما بين المعقوفتين من (ش).

[1404] في (مط) " شبيهين ".

[1405] في (مط) " ينقسم ".

[1406] في (ر) وطبعة المنهاج " باطن معقول ".

[1407] في (مط) " وقسم آخر ".

انقسم إلى ما يشابه هذه القسمة. فالمشابه لعالم المُلك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها. والمشابه لعالم الملكوت فمثل الروح، والعقل، والقدرة، والإرادة، وأشباه ذلك. والمشابه لعالم الجبروت كالإدراكات[1408] الموجودة بالحواس، والقوى الموجودة بأجزاء البدن.[1409]

وقسمة أخرى، وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء، فرأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث إن كل ما علا فهو سماء. وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث إن الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضيء بها. والحواس أجسام لطيفة[1410] مشفة تستمد من الروح فتضيء بذلك[1411] المدركات. وروح الإنسان مشابهة للشمس، فضياء العالم، ونمو[1412] نباته، وحركة حيوانه، وحياته فيما يظهر بتلك الشمس. وكذلك روح الإنسان، به حصل في الظاهر نمو أجزاء بدنه، ونبات شعره، وخلق حيوانه[1413]. وجعلت الشمس وسط العالم وهي تطلع بالنهار وتغرب بالليل، وجعلت الروح وسط جسم الإنسان[1414] وهي تغرب[1415] بالنوم وتطلع باليقظة. ونفس الإنسان تشابه

[1408] في (س) " فكالإدراك ".

[1409] بعد كلمة " البدن " تجد ما يتلوها من الفقرات، في الطبعات المختلفة للإملاء على مشكل الإحياء الذي طبع سواء مع إحياء علوم الدين أو كتاب إتحاف السادة المتقين، مدرجا تحت فصل إفشاء سرّ الربوبية كفر.

[1410] سقطت من (ر).

[1411] في (مط) " مسلك ".

[1412] في (مط) " نور ".

[1413] في (مط) " وحلول حياته ".

[1414] في (ر) " آدم ".

[1415] في (مط) " تغيب ".

القمر من حيث أن القمر يستمد من الشمس، ونفسه تستمد من الروح؛ والقمر خالف الشمس، والنفس خالفت الروح[1416]؛ والقمر آية ممحوة، والنفس مثلها؛ ومحو القمر في ألا يكون ضياؤه منه، ومحو النفس في أن[1417] ليس عقلها منها؛ ويعتري الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف، ويعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول؛ وفي العالم نبات، ومياه[1418]، ورياح، وجبال[1419]، وحيوان، وفي الإنسان نبات وهو الشعر، ومياه وهو العرق والدموع والريق والدم، وفيه جبال وهي العظام، وحيوان وهي هوام الجسم، فحصلت المشابهة على كل حال. ولما كانت أجزاء العالم كثيرة، ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة، كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل، وفيما[1420] ذكرناه يحصل[1421] به لذوي العقول تشبيه وتمثيل.

فإن قلت: أراك فرقت بين النفس والروح، وجعلت كل واحد منهما[1422] غير الآخر، وهذا قلما تساعد[1423] عليه، إذ قد كثر الخلاف في ذلك.

[1416] في (ش) و(مط) و(ر) " والروح خالف النفس ".

[1417] في (ر) وطبعة المنهاج " أنّه "، وفي (مط) " آن ".

[1418] سقطت من (ر).

[1419] سقطت من (ر).

[1420] في (س) " ومتى ما ".

[1421] في (س) " حصل ".

[1422] سقطت من (ر).

[1423] في (ش) " يساعد ".

فاعلم أنما على الإنسان أن يبني كلامه على ما يعلم لا على ما يجهل [سواه][1424]، وأنت لو علمت النفس والروح علمت أنهما اثنان.

فإن قلت: فقد سبق في الإحياء [أنهما شيء واحد][1425]، وقلت في هذه الإجابة إن النفس من أسماء الروح[1426].

فالذي سبق في الإحياء ورأيت في هذه الإجابة هو شيء واحد[1427]، ولا يتناقض[1428] ما قلناه الآن[1429]، وذلك أن[1430] لها معنى يسمى بالروح تارة، [وبالنفس أخرى][1431]، وبغير ذلك. ثم لا يبعد أن يكون لها[1432] معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا بغير ذلك. فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الإضافة التي في ضمير صورته.

والوجه الآخر، وهو أن من حمل إضافة الصورة إلى الله عز وجل على معنى التخصيص به، فذلك لأن الله سبحانه أنبأ بأنه حي، قادر، سميع، بصير، عالم، مريد، متكلم، فاعل، وخلق آدم عليه السلام حياً، قادراً، سميعاً، بصيراً، مريداً،

[1424] سقطت من (مط).

[1425] سقطت من (ر).

[1426] في طبعة المنهاج " ليست من أسماء الروح ".

[1427] في (ر) وطبعة المنهاج " هو شيء واحد. قلنا ولا ...".

[1428] في (مط) " ولا يتناقض مع ما قلناه ".

[1429] سقطت " الآن " من (س)

[1430] في (ر) وطبعة المنهاج " لأنّ ".

[1431] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1432] في (ش) " بها ".

متكلماً، فاعلاً، فكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة[1433] مخلوقة مقدرة بالفعل، وهي لله عز وجل مضافة باللفظ، وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة بلفظ[1434] فقط. ولا يفهم من ذلك نفي الصفات، فليس هو مرادنا، وإنما مرادنا تباين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الإمكان حتى لم تجتمع مع صفات الله عز وجل إلا في الأسماء الملفوظ بها لا غير، وفراراً أن نثبت اسم[1435] صورة لله تعالى ويطلق عليها حالة الوجود[1436].

فافهم هذا فإنه من أدق ما يقرع سمعك، ويلج قلبك، ويظهر لعقلك، ولهذا قيل لك. فإن كنت تعتقد الصورة الظاهرة[1437]، ومعناه إن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبهاً مطلقاً، ومعناه لتتيقن[1438] أنك من المشبهين لا من المنزهين، فأقر[1439] على نفسك بالتشبيه معتقداً ولا تنكره، كما قيل: كن يهودياً صرفاً[1440] وإلا فلا تلعب بالتوراة، أي تتلبس بدينهم وتريد ألا تنسب إليهم، [وتعتكف على][1441] قراءة التوراة ولا تعمل بها. وإن كنت

[1433] في (س) و(مط) " مكنونة ".

[1434] في (مط) " تلفظ ".

[1435] سقطت من (مط).

[1436] في (ر) وطبعة المنهاج زيادة: " تعالى الله عن ذلك وتقدّس ".

[1437] في طبعة المنهاج زيادة " المدركة بالحواسّ " ولا ندري من أين جاءت اللجنة العلمية بهذه الزيادة.

[1438] في (مط) " تتيقّن ".

[1439] سقطت من (مط).

[1440] سقطت من (ر).

[1441] سقط ما بين المعقوفتين من (مط).

تعتقد الصورة الباطنة [فكن][1442] منزهاً مجلًا ومقدساً مخلصاً، أي ليس تعتقد من الصور المضافة [في الضمير][1443] إلى الله عز وجل إلا الأسماء دون المعاني، وتلك المعاني المسماة لا يقع عليها اسم صورة[1444] على حال. وقد حفظ عن الشبلي[1445] رحمه الله كلام[1446] في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه، قولا بليغا مختصرا[1447]، حين سُئل عن معنى الحديث فقال: " خلقه الله على الأسماء والصفات لا على الذات ".

[1442] سقطت من (مط).

[1443] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1444] في (ش) و(ر) " الصورة ".

[1445] أبو بكر الشبليّ البغدادي قيل: اسمه دُلَف بن جحدر، وقيل: بن جعفر بن يونس. وقيل: بن جعفر بن دلف، أصله من الشبلية ومولده بسامراء. حضر الشبلي مجلس بعض الصالحين، فتاب ثمّ صحب الجنيد وغيره، وصار من شأنه ما صار. وكان فقيها عارفا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكّن، (ت. 334هـ/ 945م). السلمي، طبقات الصوفيّة، ص 338- 348.الذهبي، سير، ج 15، ص 367- 369.

[1446] سقطت من (مط) وطبعة المنهاج.

[1447] في (مط) وطبعة المنهاج " قول بليغ مختصر" وهو موافق للسياق لأنّ " كلام " سقطت من المصدرين المذكورين.

فإن قلت: فكذا[1448] قال ابن قتيبة[1449] في كتابه المعروف بتناقض الحديث[1450] حين قال: " هو صورة لا كالصور. " فلم أخذ عليه في ذلك، وأقيمت عليه الشناعة به، واطرح قوله، ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق؟

فاعلم أن الذي ارتكبه ابن قتيبة، عفا الله عنه، نحن أشد إعراضاً عنه، وأبلغ في الإنكار عليه، وأبعد الناس عن تسويغ قوله، وليس هو الذي ألممنا نحن به، وأفدناك بحول الله وقوته إياه، بل يدل منك[1451] أنك لم تفهم غرضنا، وذُهِلْتَ عن عقل[1452] مرادنا، حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة. ألم نخبرك أننا أثبتنا الصورة في التسميات، وهو أثبتها في حالة للذات؟ فأين من الجوزاء ورقاء تنزع[1453]؟

والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة رحمه الله أنه لم يقرع[1454] سمعَه هذه الدقائق التي أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة

[1448] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " فكذا ".

[1449] في (س) القتيبي، وهو أبو محمّد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، الكاتب. نزل بغداد، وصنّف وجمع، وبَعُد صيته وقد ولّي قضاء دينَوَر، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيّام الناس. ليس بصاحب حديث، وإنّما هو من كبار العلماء المشهورين. توفي سنة 276هـ/ 828م. الذهبي، سير، ج 13، ص 296- 302.

[1450] لعلّه يقصد به كتاب " تأويل مشكل الحديث "، تحقيق محمّد محيي الدين الأصفر، بيروت، المكتب الإسلامي، 1419هـ/1999م.

[1451] في طبعة المنهاج " بل بدا لي منك ".

[1452] في (مط) " تعقل ".

[1453] في (مط) " فأين من لبّ الجوز قشور تفرقع، وفي (س) " فأين من الجوزاء ورقاء تمزع ".

[1454] في (س) " يقرأ ".

عنها، وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف، فتحير[1455] وعلاه الدهش، فتوقف بين ظاهر الحديث الذي يوجب[1456] عند ذوي القصور تشبيهاً، وبين التأويل الذي يَنْفِيه[1457]، فأثبت المعنى المرغوب عنه، وأراد نفي ما خاف من الوقوع فيه، فلم يتأت له اجتماع ما رام، ولا نظام ما افترق، [فقال: " هو][1458] صورة لا كالصور. " ولكل ساقطة لاقطة[1459]، فتبادر الناس إلى الأخذ عنه[1460].

[1455] سقطت من (مط).

[1456] في (مط) " هو موجب ".

[1457] في (ش) و(ر) " الذي لم ينفيه ".

[1458] في (مط) فها هو.

[1459] جاء في معنى هذا المثل فيما ذكر الأَصمَعي وغيره: الساقطة: الكلمة يسقط بها الإنسان، أي لكلّ كلمة يخطئ فيها الإنسان مَنْ يتحفَّظها فيحملها عنه. يضرب في التحفّظ عند النطق. وقَال ثعلب: يعنى لكل قَذر فَدِرٌ (الفدر - بفتح الفاء وكسر الدال المهملة، بزنة كتف - الأحمق.) وقيل: أراد لكل كلمة ساقطة أذنٌ لاقطه؛ لأنّ أداة لَقْطِ الكلام الأذن. هذا ما ذكره الميداني في مجمع الأمثال، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السنة المحمّدية، د- ت، ج 2، ص 193، مثل: 3340. وانظر أيضا العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م، ج 2، ص 170، مثل: 1754.

[1460] في (س) " عليه ".

فصل: [معنى " فاطو الطريق فإنكَ بالوَادِ المُقَدسِ طُوًى "]

ومعنى " فاطو[1461] الطريق فإنكَ بالوَادِ المُقَدسِ طُوًى. " أي دُمْ على ما أنت عليه من البحث والطلب فإنك على هداية ورشد. والوادي المقدس عبارة عن مقام الكليم [موسى عليه السلام][1462] مع الله عز وجل [في الوادي. وإنما تقدس الوادي بما أُنْزِلَ[1463] فيه من الذكر، وسمع[1464] كلام الله سبحانه][1465]. وأقيم ذكر الوادي مقام ما حَصَلَ فيه بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وإلا فالمقصود ما حذف[1466]، لا ما ظهر[1467] بالقول، إذ المواضع لا تأثير لها، وإنما هي ظروف.

[1461] في (مط) " قاطع ".

[1462] ما بين المعقوفتين سقطت من (ر) و(س).

[1463] في طبعة المنهاج " أنزل الله تعالى " دون عزو.

[1464] في طبعة المنهاج " وسمع من " دون عزو.

[1465] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[1466] في (ر) " ما خفي بالمعنى ".

[1467] في (س) " ما أظهر ".

فصل: [معنى " فاسْتَمِعْ بسر قلبك لما يوحى "]

ومعنى[1468] " فاسْتَمِعْ بسر قلبك لما يوحى، [فلعلك تجد على النار هدى][1469]، ولعلك من سرادقات العز[1470] تُنادى بما نودي به موسى: ﴿إني أنا ربك﴾[1471]. "[1472] أي فرغ قلبك[1473] لما يرد عليك من فوائد المزيد[1474]، ومواريث الصدق، [وثمار المعارف][1475] وأرياح[1476] سلوك الطريق، وبشارات قرب الوصول. وسر القلب كما تقول أذن الرأس، وسمع الأذن. وما يوحى، أي ما يرد من قبل الله عز وجل بواسطة مَلَك، أو إلقاء[1477] في روع، أو مكاشفة بحقيقة، أو ضرب مثل، مع العلم بتأويله.

[1468] في طبعة المنهاج ومعنى " قوله ".

[1469] ما بين المعقوفتين سقط من (س).

[1470] في طبعة المنهاج " المجد ".

[1471] في (س) " إِنِّي أَنَا رَبُّكَ الأعلى ".

[1472] انظر إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 220.

[1473] في (ر) " قلبك عن السوى "، وفي طبعة المنهاج " قلبك من السوى ".

[1474] في (ر) " ولما يرد عليك من الفوائد المزيد ".

[1475] جاء ما بين المعقوفتين بعد " وأرباح سلوك الطريق" في (ر).

[1476] في (ش) و(ر) وفي طبعة المنهاج "وأرباح" وفي (مط) " وارتياح ".

[1477] في (س) " بإلقاء ".

ومعنى "لعلك" حرف ترج[1478]، ومعنى[1479] إن[1480] لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحي من إعجاب بحال، أو إضافة دعوى إلى النفس[1481]، أو قُنوع بما وصلت إليه واستبداد به عن غيره؛ وسرادقات المجد هي حجب الملكوت؛ وما نودي به موسى هو علم التوحيد الذي وقعت[1482] العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له: " يا موسىَ إنني أنا الله لا إله إلا أنا..." (طه؛ 14). والمنادى باسمه أزلا وأبدا هو اسم موسى لا اسم السالك، لأنه الموجود في كلام الله عز وجل في أزل الأزل قبل أن يخلق موسى لا إلى أول. وكلام الله سبحانه صفة له، فلا يتغير إذن كما لا يتغير هو إذ ليست صفاته المعنوية لغيره، وهو الذي لا يحول ولا يزول.

وقد زل[1483] قوم عظم افتراؤهم[1484] حين حملوا صدور هذا القول عن اعتقاد اكتساب النبوة وعياذا بالله. ومن أين يحتمل[1485] هذا القول ما حملوه من

[1478] في (مط) " ترويح ".

[1479] سقطت من (ر)، وفي (س) وطبعة المنهاج " ومعناه ".

[1480] في (ر) " أي ".

[1481] في (ش) " دعوى إضافة إلى النفس ".

[1482] في (مط) " وسعت ".

[1483] في (مط) " ذل ". وسقطت " قوم " من (ر).

[1484] في (مط) " اقتراحهم ".

[1485] في (ر) وطبعة المنهاج " وعياذا بالله من أن يحتمل "

المذهب[1486] السوء[1487]؟ وهم يعرفون أن كثيرا ممن يكون بحضرة مَلِك من ملوك الدنيا وهو يخاطب إنسانا آخر قد ولاه ولاية كبيرة، وفوض إليه عملا عظيما[1488]، أو حباه حباء خطيرا، وهو يناديه باسمه، ويأمره بما يمتثل من أمره. ثم إن السامع للملِك، الحاضر معه، غير المُوَلَّى، لم يشارك المُوَلى، والمخلوع عليه، والمفوض إليه في شيء مما وُلِيَ وأُعطي، ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة، وشرف الحضور، ومنزلة المكاشفة، من غير وصول إلى درجة المخاطب بالولاية، والمفوض إليه الأمر. وكذلك هذا[1489] السالك المذكور[1490] إذا وصل في طريقه ذلك، بحيث يصل بالمكاشفة، والمشاهدة[1491]، واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم، فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك، إذ هو محل[1492] سماع الوحي على الدوام، وموضع الملائكة، وكفى بها أنها الحضرة[1493] الربوبية.

وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا النبوة، ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصودا بذلك بحلوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط، بل قد استحق ذلك بفضل الله عز وجل حين خصه بمعنى آخر يربى على

[1486]. في (ش) و(مط) " المذاهب ".

[1487] في (مط) " أليسوا ".

[1488] في (س) " أعمالا عظيمة ".

[1489] في (س) " هو ".

[1490] في (ر) " المسائل المذكورة ".

[1491] في (س) " بالمشاهدة والمكاشفة ".

[1492] في (س) " بمحلّ ".

[1493] في طبعة المنهاج " حضرة ".

[1494] ذلك المقام أضعافا يجاوز المرتبة الرابعة، لأن آخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. وموسى عليه السلام نبي مرسل، فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون[1495] في أطرافه، لأن هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة، ليس من غايات مقام الولاية، بل هو إلى مبادئها أقرب منه إلى غاياتها. فمن لم يفهم درجات المقامات، وخصائص النبوات، وأحوال الولايات، كيف يتعرض للكلام فيها أو الطعن[1496] على أهلها؟ هذا لا يصلح إلا لمن لا يعرف أنه مؤاخذ بكلامه، محاسب بظنه ويقينه، مكتوب[1497] عليه خطراته، محفوظة[1498] لحظاته، محصاة منه يقظاته وغفلاته، فـ " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " (ق؛ 18).

فإن قلت: أراك قد أوجبت له سماع نداء الله تعالى، ونداء الله كلامه، والله سبحانه يقول: " تلك الرُسل، فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلم الله، ورفع بعضهم درجات. (البقرة؛ 253) " فقد نبه أن تكليم[1499] الله تعالى لمن كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول.

[1494] في (مط) " ترقى إلى "، وفي طبعة المنهاج " يزيد ".

[1495] في (ش) " آخذين ".

[1496] في (ر) وطبعة المنهاج " والطعن ".

[1497] في (ر) وطبعة المنهاج " مكتوبة ".

[1498] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " محفوظة عليه ".

[1499] في (ر) " يتكلّم ".

فنقول، إذا نبذنا التشغيب، وقصدنا درأ الشك العارض في مسالك الحقائق، فنقول، ليس في الآية ما يرد قولنا[1500] ولا يكسره، لأنا ما أوجبنا أنه يكلمه قصدا[1501]، ولا يتحراه[1502] بالخطاب عمداً، وإنما قلنا أنه يجوز أن يسمع ما يخاطب الله عز وجل به غيره ممن هو أعلى منه، فليس من سمع [1503] كلام إنسان مثلاً مما يتكلم به غير السامع يقال فيه إنه كلمه[1504].

وقد حكي أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه. ثم إذا ثبت[1505] ذلك، لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام، ولا المشاركة في نبوته ورسالته. على أنا نقول نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله عز وجل يمكن[1506] الاختلاف فيه، فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله عَز وجَل الذاتي القديم بلا حجاب في السمع، ولا واسطة بينه وبين القلب، ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يُلقى في روعه، وبما[1507] ينادى به في سمعه أو سره وأشباه ذلك، كما ذكر[1508] أن قوم موسى عليه السلام، حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى أنهم سمعوا صوتاً كالشبور، وهو

[1500] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " ما قلنا ".

[1501] في (مط) " وقصد ".

[1502] في (مط) " أولاً توخّاه ".

[1503] في (مط) " أليس من يسمع ".

[1504] في (مط) " فيقال فيه إنّه كليمه ".

[1505] في (س) " صحّ ".

[1506] في (ش) " لا يمكن ".

[1507] في (ش) " ربّما "، وفي (مط) " ممّا ".

[1508] في (ر) " ممّا ذكرنا ".

القرن[1509]. فإذا صح ذلك، فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب. فموسى سمع كلام الله بالحقيقة التي هي[1510] صفة[1511] له بلا كيف، ولا صورة نظم بحروف[1512]، ولا أصوات، والذين كانوا معه أيضاً سمعوا صوتاً مخلوقاً جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم، وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضروري، وسمي ذلك الذي سمعوه كلام الله، [إذ كان دلالة عليه، كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المكتوب[1513] بها القرآن، كلام الله عز وجل،][1514] إذ هي دلالة عليه.

فإن قلت: فما يبقى على السامع إذا سمع كلام الله تعالى الذي يستفيد به معرفة وحدانيته، [وفقه أمره ونهيه][1515]، وفهم مراده وحكمه، بما يلحقه العلم الضروري؟ فما أرى [فاته النبي المرسل][1516] إلا بأن يشتغل بإصلاح الخلق دونه، ولو كان هو عوضاً منه أجزأ[1517] عنه، وقام[1518] مقامه.

[1509] في (مط) " وهو القرآن ".

[1510] في (س) و(مط) " الذي هو ".

[1511] في (ر) " صفته ".

[1512] في (مط) " الحروف ".

[1513] في (ش) " المكتوبة ".

[1514] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1515] سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

[1516] في (مط) " بأنّه الشيء المرسل ".

[1517] في (مط) " أخَّر ".

[1518] في (مط) " أخّرعنه ومقامه ".

فاعلم أن هذا الذي أوجب عثورك، ودوام زللك، واعتراضك على العلوم بالجهل، وعلى الحقائق بالمخايل. أنت[1519] بعيد عن غور المطالب، قعيد في شرك المعاطب، [فقيد صوب الصواب، عنيد][1520] صحب السحاب. إن الذي استحق به الناظر السالك الواصل إلى المرتبة الثالثة سماعَ نداء الله تعالى معنى، ومقام، وحال، وخاصية، [والذي استحق به الرسول النبوة، والرسالة، والتكليم، معنى آخر، ومقام، وحال، وخاصية][1521] أعلى من تلك الأولى[1522]، وأجل، وأكبر، وبينهما [ما بين السماء والأرض][1523]، وما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد به، وبين من لا يستحق أكثر من سماعه حين[1524] يخاطب به غيره. فهذا مع الإشارة باختلاف ورود الخطاب إليهما مما يوجب ويقرر[1525] تباين ما بينهما. فإن فهمت الآن، وإلا [فدعني لا تدر بخيالي][1526].

[1519] في (مط) " أنّك "، وذكرت اللجنة العلمية لطبعة المنهاج في الهامش، بعد أن أثبتت " أنّك" ما يلي: " في كل النسخ: (أنت) ولعلّ الصواب ما أثبت، والله أعلم. " ولو كلّف، من فوّضت له اللجنة العلميّة لطبعة المنهاج "تحقيق" هذا القسم من الإملاء، نفسه عناء الاطلاع على أيّ طبعة من طبعات الإحياء، لوجد بهامشه أو ملحقا به الإملاء، أو في الإملاء المطبوع أن من أشرف على نشره قد سبقه إلى إثبات "أنّك" مكان "أنت " منذ زمن بعيد.

[1520] في (مط) " قعيد صوب الصوت عتيد ".

[1521] ما بين المعقوفتين سقط من (ر) و(مط).

[1522] في (س) " وخاصّة أعلى من ذلك الأوّل ".

[1523] ما بين المعقوفتين سقط من (ر) و(مط).

[1524] في (ر) مط.

[1525] في (مط) " نفوراً. "

[1526] في (مط) " فقد عني لأندر حال ".

فإن قيل[1527]: ألم يقل الله تعالى: " فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. (الجن؛ 26) " وسماع كلام الله بحجاب أو بغير حجاب، وعلم ما في الملكوت، ومشاهدة الملائكة، وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب، فكيف يطلع عليها من ليس برسول؟

قلنا، في الكلام[1528] حذف يدل على صحة تقديره بالشرع الصادق، والمشاهدة الضرورية[1529]، وهو أن يكون معناه، إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول بإخلاص[1530] واستقامة، أو عمل بما جاء به، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اتقوا فراسةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله ". وهل يتقى إلا في علم ما غاب[1531] عنه أن ينكشف إليه[1532]؟ وقال: " إن يكن منكم محدثون فعمر. " أو كما قال. وقال: " المؤمن ينظر بنور الله. " وفي القرآن العزيز: " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. (النمل؛ 40) " فعلِم ما غاب عن غيره من إمكان إتيان[1533] ما[1534] وعد به، وزاد[1535] أنه قدر عليه، ولم يكن نبيا ولا رسولا. وقد أنبأ الله سبحانه عن ذي القرنين من إخباره عن

[1527] في (ر) " فإن قلت ".

[1528] في (ر) " في الكلام تقديم وتأخير حذف يد [كذا] ".

[1529] في (مط) " الصورية ".

[1530] في (مط) " بالإخلاص ".

[1531] في (ر) و(مط) " ووهل يتقى إلّا ما غاب عنه ".

[1532] في طبعة المنهاج " له ".

[1533] في (مط) " بيان ".

[1534] في (س) " من ".

[1535] في (مط) " وأراد ".

الغيب،[1536] وصِدقه فيه حين قال: " فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء، وكان وعد ربي حقا. (الكهف؛ 98)" وإن كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين، فالإجماع على أنه ليس برسول، وهو خلاف المشروط في الآية.

وإن رام أحد المدافعة بالاحتيال لما أخبر به ذو القرنين، وما ظهر على يدي الذي كان عنده علم من الكتاب، وأراد أن يجوزه على عمر، [لا يفرق بين][1537] الشبه والحقائق[1538]، فما يصنع فيما جرى للخضِر، وما أنبأ الله سبحانه عنه وأظهره عليه من العلوم الغيبية، وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع، والله تعالى يقول: " إلا من ارتضى من رسول (الجن؛ 27) ". فدل على أن في الآية حذفا ينضاف معناه [إلى ما ظهر من الكلام. فكان سعد رضي الله عنه يرى الملائكة عليهم السلام][1539] وهم غيب الله، وأعلم أبو بكر رضي الله عنه بما في البطن وهو من غيب لله عز وجل. وشواهد [هذا في][1540] الشرع كثيرة جدا تُعجز المتأول، وتبهر[1541] المعاند. هذا والقول بتخصيص العموم[1542] أظهر من المجرة[1543]، وأشهر مما نقل الكافة. ويحتمل أن يكون المراد في الآية بالرسول المذكور فيها: ملك الوحي الذي بواسطته تنزل[1544] العلوم، وتنكشف

[1536] في (مط) " العلوم الغيبيّة ".

[1537] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1538] في (ر) " السنة والحقائق "، وفي (مط) " التشبّه بالحقائق ".

[1539] في (مط) " ما تقدّم، وانظر إلى ما ظهر من كلام سعد ... ".

[1540] سقطت من (ر) و(مط)، وفي (س) " هذا من ".

[1541] في (مط) " ويلهو ".

[1542] في (س) " العلوم ".

[1543] في (ر) الحواة، وفي (مط) " الجرأة ".

[1544] في (مط) " تنجلي ".

الغيوب، فمتى لم يرسل الله عز وجل ملكاً بإعلام غيب، إما[1545] بخطاب مشافهة، أو إلقاء معنى في روع، أو ضرب مثل في يقظة أو منام[1546]، لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل. ويكون تقدير الآية: " فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول "[1547]، أن يرسله إلى من يشاء من عباده في يقظة أو منام، فإنه يطلع على ذلك أيضا. وتكون فائدة الإخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته، وإعلامه به[1548]، أنه لم يصل إليها بنفسه ولا بمخلوق سواه إلا بالله[1549] عز وجل حين أرسل إليه الملك بذلك، وبعثه إليه[1550]، حين تبرأ المؤمن من حوله [وقوته][1551]، ومن حول كل مخلوق وقوته، ويرجع إلى الله سبحانه وحده، ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك [إلا بإرادته ومشيئته][1552].

[1545] في (مط) " أو ".

[1546] في (ر) " نوم ".

[1547] سورة الجن،26- 27.

[1548] سقطت من (ر) و(مط) وطبعة المنهاج.

[1549] في (ش) " الله ".

[1550] في (مط) " الله ".

[1551] سقطت من (مط)، وفي طبعة المنهاج " التي اختارت إلّا من ارتضى من ذلك. "

[1552] ما بين المعقوفتين سقط من (ر).

ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون معناه، والله أعلم، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى [من رسول][1553] ويريد: من سائر[1554] خلقه، وأصناف عباده، ويكون معنى من رسول، أي على[1555] يد رسول من الملائكة.

[1553] سقطت من (مط).

[1554] في (ر) " ويريد سائر ".

[1555] في (مط) " عن ".

فصل: [معنى " لا تتخطى رقاب الصديقين "[1556]]

ومعنى: " ولا تتخط[1557] رقاب الصديقين. " وقلتَ: وما الذي أوصله إلى مقامهم، أو جاوز به ذلك ـ وهو في المرتبة الثالثة - حال المقربين؟

[1556]انظر إحياء علوم الدين، ج 8، ص 222- 224، حيث شرح الغزالي هذا المثل بعبارة طويلة من أبلغ ما كتب قلمه السيّال، جعلها محاورة بين أحد الناظرين عن مشكاة نور الله، والذي سأله السالك السائل، وبين القلم والحبر والكاغد إلخ فقال: " ... فلمّا أفاق قال: سبحانك ما أعظم شأنك، تُبت إليك، وتوكّلت عليك، وآمنت بأنّك الملك الجبّار، الواحد القهّار، فلا أخاف غيرك، ولا أرجو سواك، ولا أعوذ إلّا بعفوك من عقابك، وبرضاك من سخطك، وما لي إلّا أن أسألك وأتضرّع إليك، وأبتهل بين يديك، فأقول: اشرح لي صدري لأعرفك، واحلل عقدة من لساني لأثني عليك. فنودي من وراء الحجاب: إيّاك أن تطمع في الثناء، وتزيد على سيّد الأنبياء، بل ارجع إليه، فما آتاك فخذه، وما نهاك عنه فانته عنه، وما قاله فقله، فإنّه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: " سبحانك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك" . فقال: إلهي إن لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك، فهل للقلب مطمع في معرفتك؟ فنودي: إيّاك أن تتخطّى رقاب الصدّيقين، فارجع إلى الصدّيق الأكبر فاقتد به، فإنّ أصحاب سيّد الأنبياء كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم، أما سمعته يقول: " العجز عن درك الإدراك إدراك "، فيكفيك نصيبا من حضرتنا أن تعرف أنّك محروم عن حضرتنا، عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا ".

[1557] فيما عدا (ر) «لا تتخطى".

[فاعلم أنه][1558] ما وصل حيث ظننت، فكيف يجاوزه[1559]؟ وإنما خاصية من هو في رتبة الصديقية [1560] عدم السؤال لكثرة التحقيق[1561] بالأحوال، وخاصية من هو في رتبة القرب كثرة السؤال طمعاً في بلوغ الآمال. ومثالهما فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا في بستان، وأحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان، ويتحقق أنواع تلك الثمار، ويعلم أسماءها ومنافعها، فهو لا يسأل عن شيء مما يراه، ولا يحتاج إلى أن يُخْبَرَ به؛ والثاني لا يعرف مما رآه[1562] شيئاً، أو يعرف بعضاً، ويجهل أكثر مما يعرف، فهو يسأل ليصل إلى علم الباقي. وكذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال، [عساه يتجاوز بسؤاله][1563] حاله، ويتخلف عن مقامه إلى ما هو أعلى منه، وكان غير مراد لذلك، إما في ذلك الوقت [أو أبد][1564] الأبد. وتلك العلوم[1565] لا تنال بالكسب، وإنما تنال بالمِنح الربانية[1566]. فقيل له: لا تتخط[1567] رقاب الصديقين بالسؤال، فذلك مما لا

[1558] سقط من (مط).

[1559] في (ر) " تجاوزه ".

[1560] في (مط) " الصدّيقين ".

[1561] في (مط) " التحقّق ".

[1562] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " رأى ".

[1563] في (مط) " عما يبعد عنه ".

[1564] سقطت من (مط).

[1565] وفي (مط) " وتلك العلوم متى كانت ".

[1566] زيادة من هامش (ش) وفي (ر) " الإلهية ".

وانظر بخصوص المنح الربّانية كتاب إحياء علوم الدين، كتاب عجائب القلب، بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة، ج 5، ص 84- 95.

[1567] في (ر) " لا تنحطّ ".

يتخطى به، وليس هو من الطرق الموصلة إلى مقامهم، فارجع إلى الصديق الأكبر[1568] فاقتد به في أحواله[1569] وسيرته، فعساك ترزق مقامه. فإن لم يكن، فتبقى على حال[1570] القرب وهي تلو الصديقية، فهذا معناه[1571].

[1568] المقصود به أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

[1569] في (ش) و(ر) و(مط) " حاله ".

[1570] في (ش) و(ر) و(مط) " على حالة ".

[1571] في (ر) وطبعة المنهاج زيادة " والله أعلم".

فصل[1572]: [معنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله ...]

ومعنى " انصراف السالك[1573] الناظر بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى " أنه[1574] لما وصل إليه بالسؤال، صرف إلى[1575] ما لاق به من الأحوال، لِيُحْكِمَ ما بقي عليه من الأعمال، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه من غرائب العلم: " اذهب فأحكم ما هنالك، وكذلك[1576] أعلمك من غرائب العلم ".

وأما صفة انصرافه فإنه نهض بالبحث، ورجع بالتذكر[1577]، وفوائد المزيد. ووجه آخر[1578]، أن من لم [1579] يستطع المقام في ذلك الموضع بعد وصوله إليه، فذلك لتعلق جزء[1580] المعرفة بالبدن، ومسكنه عالم الملك، ولم يفارقه بعد ذلك[1581]

[1572] سقط هذا الفصل بأكمله من (ر).

[1573] في (مط) " المالك ".

[1574] في (مط) " إمّا ".

[1575] في (مط) " صرف إليه ".

[1576] في (مط) " وبعد ذلك ".

[1577] في (س) " بالتذكير ".

[1578] سقطت أخر من (ش) و(مط)، وفي (مط) " ووجهه ".

[1579] كذا في (مط)، وأمّا في (ش) فهي "وجهان لم"، وفي طبعة المنهاج حسب بعض المخطوطات " ووجه آخر".

[1580] في (مط) خبر.

[1581] سقطت من (ر) و(مط) ومن طبعة المنهاج.

بالموت، وطول[1582] الغيب عنه لا يمكن في العادة، ولو أمكن لهلك الجسم، وتفرقت الأوصال، والله تعالى أراد عمارة الدنيا [قدر ما][1583] سبق في علمه، " ولن تجد لسنة الله تبديلا ".

ومعنى قول أبي سليمان الداراني رحمه الله: " لو وصلوا ما رجعوا. " ما رجع إلى حالة الانتقاص من وصل إلى حالة الإخلاص. والذي طمع الناظر في الحصول فيه بسؤاله[1584]، وتماديه إلى حال القرب منه، إذ لم يصلح لذلك، ولم يَصْفُ له، ولم يخلص في أعماله[1585].

فصل: [معنى ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم[1586]]

[1582] في (س) " لطول ".

[1583] في (مط) وقد.

[1584] في (س) و(مط) " سؤاله ".

[1585] انظر شرحا آخر لكلام أبي سليمان الداراني للحارث المحاسبي كما نقله أبو نعيم في حلية الأولياء، ج 10، ص 92.

[1586] هذه هي العبارة التي كثر عنها القيل والقال حتى إنّ بعضهم رفض أن تكون من كلام الغزالي، وادّعى أنها دسّت على المؤلف رحمه الله. انظر الإحياء، كتاب التوحيد والتوكّل، ج 8، ص 244 - 245، حيث يقول حجّة الإسلام: " وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق، وأجل، وسرور، وحزن، وعجز، وقدرة، وإيمان، وكفر، وطاعة، ومعصية، فكلّه عدل محض لا جور فيه، وحقّ صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحقّ على ما ينبغي وكما ينبغي بالقدر الذي ينبغي، وليس في الإمكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل، ولو كان واذخره مع القدرة، ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود، وظلما يناقض

ومعنى بأن ليس في الإمكان أبدع من صورة[1587] هذا العالم، ولا أحسن ترتيباً، ولا أكمل صنعاً، ولو كان واذخره المبدع[1588] مع القدرة، كان ذلك بخلاً[1589] يناقض الجود الإلهي[1590] ، [وإن لم يكن قادراً عليه، كان ذلك عجزاً يناقض القدرة الإلـهية][1591]. وكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً؟ ولِم لَم ينسب[1592] إليه ذلك قبل خلق العالم؟ ويقال: اذخار إخراج العالم[1593] من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرناه[1594]. وما الفرق بينهما؟

العدل، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الإلهية، بل كلّ فقر وضرّ في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة، وكلّ نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره، إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار، ولولا المرض لما تنعّم الأصحّاء بالصحّة، ولولا النار لما عرف أهل الجنّة قدر النعمة. " وانظر ما قاله مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، ج 1، ص 32- 33، حيث ذكر جملة ممّن انتقد هذا الكلام ورده على الإمام الغزالي، وأشار كذلك لمن شرح هذا القول ودافع على حجّة الإسلام. وانظر كذلك ج 9، ص 430 - 431 من الإتحاف. وإبراهيم بن عمر البقاعي، تهديم الأركان في أن ليس في الإمكان أبدع ممّا كان. مخطوط، مجاميع تيمور، رقم 6. والسيوطي، تشييد الأركان في أن ليس في الإمكان أبدع مما كان، حلب، دار الكتاب الإسلامي، 1419هـ/ 1998م. وهو ردّ على البقاعي رغم أن السيوطي لم يذكر اسمه في رسالته.

[1587] سقطت من (ر).

[1588] سقطت من (مط).

[1589] في (س) " عجزا ".

[1590] في (مط) " يناقض الكرم الإلـهي "، وفي (س) " يناقض الإلـهية ".

[1591] سقط ما بين المعقوفتين من (س).

[1592] في (ر) " أو لم ينسب "، (مط) " وكان ذلك ولم ينسب ".

[1593] في طبعة المنهاج " هذا العالم ".

[1594] في (س) و(مط) " ذكرنا ".

وذلك لأن تأخيره بالعالم[1595] قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن، من حيث إن للفاعل المختار أن يفعل [وأن لا يفعل][1596]، فإذا فعل فليس في الإمكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التي عَرفَنا[1597] أنها حكمة، ولم يُعَرِفْنا بذلك إلا لنعلم مجاري أفعاله، ومصادر أموره، وأن نتحقق أن كل ما قضاه[1598] ويقضيه من خلقه بعلمه، وإرادته، وقدرته، أن ذلك على غاية الحكمة، ونهاية الإتقان، ومبلغ جودة الصنع، ليجعل كمال ما خلق دليلاً قاطعاً، وبرهاناً على كماله في صفات جلاله الموجبة لإجلاله. [فلو كان ما خلق][1599] ناقصاً بالإضافة إلى غيره مما يقدر على خلقه ولم يخلقه، لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه، كما ظهر [على من خلقه ناقصا في أشخاص معينة ليدل بها على كمال][1600] ما خلقه غير[1601] ذلك، ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً، وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظناً، إذ خلق للخلق عقولاً، وجعل لهم فهوماً، وعرفهم ما أكن، وكشف لهم ما حجب وأجن، فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه، ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه، فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين.

[1595] في (س) "فذلك لأنّ تأخير العالم ".

[1596] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1597] قرأتها اللجنة العلميّة لطبعة المنهاج: " عَرَفْنا ".

[1598] في (مط) " اقتضاه ".

[1599]ما بين المعقوفتين سقط من(ر).

[1600] ما بين المعقوفتين سقط من (مط).

[1601] في (مط) " على غير "، وفي طبعة المنهاج " من غير ذلك ".

وأيضاً فلا يعترض[1602] بهذا ونشير به إلا[1603] من لا يعرف مخلوقاته، ولم يصرف الفكر الصحيح في منشآته][1604] ومخترعاته ، ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها، ولا عرف خواصها، ولا تنزه في عجائبها، ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه، ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه، ولا فهم من[1605] أن الجنة أغنى[1606] النعيم، وأن النار أقصى العذاب الأليم، وأن النظر إليه[1607] منتهى الكرامات، وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات، وأن منح المعارف والعلوم أسنى الهبات، ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض، إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح، وقدره منازل، وجعله لميقات[1608]، فمن حي وميت، ومتحرك وساكن، وعالم وجاهل، وشقي وسعيد، وقريب وبعيد، وصغير وكبير، وجليل وحقير، وغني وفقير، ومأمور وأمير،

[1602] في (ش) و(ر) نعترض.

[1603] جاء ما بين القوسين في طبعة المنهاج كالتالي: " ويستزريه إلّا ".

[1604] ورد ما بين المعقوفتين في (مط) كالتالي: "هنا ويتزّر [كذا] به إلّا من لا يعرف مخلوقاته، ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ". ومن هذا الموضع في هذا الفصل يستأنف الغزالي الكلام الذي كان قد اختلط بما وقع في الفصل المخصّص للإجابة على سؤال ما معنى " للإلهية سرّ لو انكشف لبطلت النبوّة؟ " وهذا ما أشرنا إليه من قبل بخصوص الطبعات المشوهة لكتاب الإملاء على مشكل الإحياء، والتي تعدّ الأكثر تداولا اليوم بين القرّاء، سواء تعلّق الأمر بالطبعات القديمة أو الحديثة التي جعلت من كتاب الإملاء هامشا أو ملحقا لكتابي إحياء علوم الدين أو إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين لمرتضى الزبيدي، هذا بالطبع إذا استثنينا طبعة دار المنهاج للإملاء.

[1605] سقطت من طبعة المنهاج.

[1606] في (مط) وطبعة المنهاج " أعلى".

[1607] في هامش (ش) " جل جلاله ".

[1608] في طبعة المنهاج " طبقات ".

ومؤمن وكافر، وجاحد وشاكر[1609]؛ ومن ذكر وأنثى، وأرض وسماء، ودنيا وأخرى، وغير ذلك مما لا يحصى؛ والكل قائم به موجود بقدرته، وباق بعلمه، ومنته إلى أجله، ومصرف بمشيئته، ودال[1610] على بالغ حكمته. فما أكمل من [حدثه إلا قدمه، ولا من تصرفه][1611] إلا استبداده، ولا من ملكه إلا مُلْكُه[1612]؛ فيعود المحدث قديماً، والمربوب رباً[1613]، والمملوك مالكاً، ويعود الخالق المخلوق[1614]، تعالى عز وجل عن جهل الجاهلين، وتخييل المعتوهين، وزيغ الزائغين[1615] [علوا كبيرا][1616].

[1609] في (ش) " وجامد وسائل ".

[1610] في (مط) " ذلك ".

[1611] في (مط) " جهل من لا يجد به إلّا قدماه، ولا من يصرفه ".

[1612] في طبعة المنهاج " إلّا من ملكه " دون عزو.

[1613] في (ر) " والربّ مربوبا ".

[1614] في (مط) " فيعود الخلق "، وفي (ش) و(ر) " فيعود المخلوق من خلقه كهو ".

[1615] في (ر) وطبعة المنهاج زيادة "علوّا كبيرا".

[1616] ما بين المعقوفتين زيادة من إتحاف السادة المتقين، حيث نقل مؤلفه هذا النص بأكمله. انظر الزبيدي، مرتضى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين، القاهرة، المطبعة الميمنية، 1311هـ/ 1893م. ثمّ نشر مصوّرا، تصوير مؤسّسة التاريخ العربي، 1414هـ / 1994م، ج 9، ص 448- 449.

فصل: [حكم العلوم المكنونة[1617]]

وأما حكم هذه العلوم المكنونة[1618] في الطلب، وسلوك هذه المقامات، ورقو[1619] هذه الدرجات، واستفهام هذه المخاطبات، أهي من قبيل الواجبات أو المندوبات أو المباحات؟ فاعلم أن المسؤول عنه[1620] على ضربين:

أحدهما ما هو في حكم المبادئ.

والثاني في[1621] حكم الغايات.

فأما الذي هو في حكم المبادئ فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود، وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العناية[1622]، وذلك ما تضمنه[1623] أصول علم المعاملة، مثل إخلاص التوحيد، والصدق في العمل، والالتحاف[1624] بالخوف والرجاء، والتزين بالصبر والشكر، لأن هذه كلها وما

[1617] انظر الإحياء، كتاب العلم، ج 1، ص 75- 79.

[1618] في (مط) " المكتوبة ".

[1619] في (مط) " ورفق "، وفي طبعة المنهاج " وَرُقِيّ ". وذكر في الهامش: " في النسخ: (ورقو) ولعلّ الصواب ما أثبت، والله أعلم " والذي جاء في النسخ صحيح ولا ندري لم اعتبره من تولّى ضبط هذا الجزء من الإملاء خطأ.

[1620] سقطت من (ر).

[1621] في (ر) و(مط) وطبعة المنهاج " ما هو في ".

[1622] في (ر) " من غاية "، وفي (مط) " من العبادة ".

[1623] في طبعة المنهاج " تضمّنته ".

[1624] في (مط) " الإجحاف "، وفي (ش) " والالتحاق ".

يلحق[1625] بها من علم الأمر والنهي[1626]. قال الله تعالى: " فاتقوا الله ما استطعتم. (سورة التغابن؛ 16) " وقد سبق التنبيه عليه.

وأما الذي هو في حكم الغايات مثل انقلاب الهيئات، والنظر بالتوفيق على[1627] الموافقة، والرضا بالإيثار[1628]، والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد[1629]، [وميز معاني التوحيد][1630]، وأوصاف أهل إثبات[1631] اليقين. فهو درجات، ومقامات، ومنازل، ومراتب، ومنح يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده، من غير أن تنال بطلب، ولا بحث، ولا تعليم. ولو كان ذلك، ما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء إلى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال: " ارجع لا تتخطى رقاب الصديقين ". لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوة ولايته[1632]؛ وهي مواريث[1633] الصدق في العلم، وبركات الإخلاص في العمل. فمن لم يرث من علمه وعمله المفروض[1634] عليه طلبه والعمل به شيئا[1635] من

[1625] في (مط) "يتعلّق ".

[1626] في (مط) " والنهي واجبة ".

[1627] في (مط) " بحكم ".

[1628] في (مط) " بالإثبات ".

[1629] في (ر) " التفريد ".

[1630] سقط ما بين المعقوفتين من (ر). وفي طبعة المنهاج " وميّز معني التفريد "، وفي (ش) " ومميّز معاني التقرير ".

[1631] في (مط) أبيات، وفي (ر) " وأوصاف إثبات أهل ".

[1632] في (مط) " صفوته وولايته ".

[1633] في (مط) " مراتب ".

[1634] في باقي النسخ عدا (ش) والمنهاج " المتفرض".

[1635] في (مط) " شتّان ".

هذه المعاني، فليس في شيء من الحقيقة وإن كان حقا، غير أن حاله معلول، إما مفتون بدنياه، أو محجوب بهواه، وربك على كل شيء قدير.

فصل: لِمَ ذُكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات؟

وأما لِمَ ذُكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات، وبالرموز دون التصريحات، وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات، وإن كان قد سبق هذا من الشارع فيما له أن يمتحن به من كَلَفَ، ويَبْلُوَ من تَعَبَدَ، وليكون[1636] للعلم رجال مخصوصون، فما بال من لم يُجْعَلْ شارعا، ولم يبعث لغيره مكلفا[1637]؟

والجواب[1638] عن ذلك أن العالِم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ورث العلم [ليعمل به كعمله][1639]، ويحل فيه كمحله، والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى " إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى (النجم؛ 4-6) ". وحكم الوارث فيما وَرِثَ، حكم الموروث فيما وُرِثَ عنه، فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه، [أو قوله][1640] امتثله، وما لم يصل إليه منه شيء كان له اجتهاده. فإن أخطأ كان له أجر، وإن أصاب كان له أجران[1641]. ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم صرح بعلوم

[1636] في (ر) " وليكن "، وفي (مط) " وتتلو من بعيد ولكن ".

[1637] في (مط) إضافة عبارة " أن يسلب ذلك ".

[1638] في (ر) وفي طبعة المنهاج " فالجواب ".

[1639] في (مط) " ليتجمّل به بعمله ".

[1640] سقطت من (مط).

[1641] إشارة إلى الحديث النبوي الذي رواه مسلم عن عمرو بن العاص أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر. " مسلم، صحيح، حديث: 1716. البخاري، صحيح، حديث: 6919. وهذا ممّا أغفلته طبعة المنهاج.

المعاملات، وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصيصات، كما قال عز وجل " وما يعقلها إلا العالمون (العنكبوت؛ 43)". فلم يكن للوارث تعد عن حكم الموروث[1642].

كما حكي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " إني رويت[1643] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وِعاءَيْنِ[1644]، فأحدهما هو الذي بثثته فيكم[1645]، وأما الثاني، فلو بثثته لجررتم[1646] السكين على هذا البلعوم. " وأشار إلى حلقه[1647].

[خاتمة]

وبعد كل شيء[1648]، ففي القدوة بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه النجاة، وفي اتباعِهِ [الفوز بحب الله، ويد الله مع الجماعة][1649]. " وفوق كل ذي

1642 في (ر) " فلم يكن للعالم الوارث تعدّ على حكم الموروث عنه "، وفي طبعة المنهاج " فلم يكن للعالم الوارث تعد عن حكم الموروث عنه ". وفي (س) " فلم يكن للوارث [...] حكم الموروث ".

1643 في (ر) وطبعة المنهاج " وعيت ".

1644 في (ش) " وعاءين من العلم ".

1645 في (ش) وطبعة المنهاج " فأحدهما الذي بثثته فيكم ".

1646 في طبعة المنهاج " جررتم ".

1647 البخاري، صحيح، حديث: 120.

1648 في (ر) "وبعد "، وفي طبعة المنهاج " وبعد هذا ".

1649 سقط ما بين المعقوفتين من (ر).

علم عليم (يوسف؛ 76) ". وقد افدناك[1650] من طرائف ما عندنا، وأهدينا إليك من غرائب ما لدينا، وإلى الله يرد[1651] العلم فيما دق وجل، وكثر وقل، وعظم وصغر، وظهر واستتر، وإنما ينطق الإنسان بما أنطقه الله عز وجل به، وهو مستعمل بما استعمله فيه، إذ " كل ميسر لما خلق له "[1652]. فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير، واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثاني والقرآن العظيم التي أمرت بقراءتها في كل صلاة، وَأَكدَ عليك أن تعيدها في كل ركعة، وأخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بأن " ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها. "[1653] وفي هذا تنبيه، بل تصريح بأن تكثر منها لما تضمنته من الفوائد، وخُصت به من الذخائر والفرائد مما لو سُطرَ لكان فيه أوقار الجمال. فافهم، وانتبه[1654]، واعقل ما خلقت له، واعرف[1655] ما أعد لك، والله حسيب من أراده، وهادي من جاهد في سبيله، وكافي من توكل عليه، وهو الغني الكريم.

[1650] في (ر) وطبعة المنهاج " وقد أفدناك بحول الله وقوّته ".

[1651] في (س) " نرد ".

[1652] مقطع من حديث رواه مسلم، صحيح، حديث: 7/2648. الترمذي، الجامع الصحيح، حديث: 2136. ورواه البخاري دون عبارة " لما خلق له "، صحيح، حديث: 6231.

[1653] رواه الترمذي عن أُبيّ بن كعب وليس عن أبي هريرة كما جاء في طبعة المنهاج وإنّما أشار الترمذي إلى رواية أبي هريرة بقوله: " أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خرج على أُبيّ بن كعب وهو يصلّي فذكر نحوه بمعناه. " انظر الجامع الصحيح، حديث: 2875؛ 3125.

[1654] في (ر) " وتنبّه ".

[1655] في (ر) وطبعة المنهاج " واعرف قدر ".

انتهى[1656] الجواب عما سألت عنه، وفرغنا منه بحسب[1657] الوسع من الكلام[1658]، ونسأل الله تعالى المباعد بين جبلات[1659] قلوب البشر، أن يصرف عنا حجب الكدورات والأهواء ومواريث الغِبر[1660] ، فبيده مجاري المقدورات [والقدر][1661]، وهو إله من ظهر وغبر، وإليه مرجع من آمن وكفر، ومجازي الخلائق بنعيم أو سقر، والصلاة على محمد سيد البشر[1662]، وعلى آله[1663]، وسلم تسليماً.

آخر الإملاء على مشكل الإحياء[1664] والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[1656] في (ر) وطبعة المنهاج " وحينئذ قد انتهى ".

[1657] في (س) " حسب ".

[1658] في (ر) وطبعة المنهاج " الوسع والطاقة والقدرة من الكلام ".

[1659] سقطت من (ر)، وفي (مط) " حيلات ".

[1660] في (مط) " ومراتب الغين "، وفي وطبعة المنهاج " الغي والزيغ والضرر "، وفي (ش) العبر. ومعنى الغِبَر بليّة أو مصيبة لا تكاد تذهب.

[1661] سقطت من (مط).

[1662] في (مط) زيادة " وكافي الضرر "، وفي (ر) وطبعة المنهاج " أفضل الخلق وسيّد البشر ".

[1663] في (مط) وطبعة المنهاج زيادة: " السادات الغرر "، وفي (ر) " وعلى آله وصحبه أولي العزم والظفر، وعلى عترته الظاهرين خير العتر ".

[1664] في (مط) " تمّ كتاب الإملاء في مشكلات الإحياء ".

فهرست

المصادر

ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1432هـ/ 2011م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث، والأثر، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، المكتبة الإسلامية، 1383هـ/ 1963م

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي الأنصاري الأندلسي، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهاءهم وأدباءهم، تحقيق بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1432هـ/ 2010م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي، غاية النهاية في طبقات القراء، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427هـ/2006م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، تلبيس إبليس، بيروت، دار القلم، 1403هـ/ 1983م.

نفسه، زاد المسير، تحقيق شعيب وعبد القدر الأرنؤوط، بيروت المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1404هـ/ 1984م.

نفسه، صفوة الصفوة الذي جمع فيه خيرة الأخيار من الناس، تحقيق محمود فاخوري، بيروت، دار المعارف، 1405هـ/ 1984م.

نفس ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1995م.

نفسه، أبو الفرج عبد الرحمن، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، تحقيق كامل محمد الخراط، دمشق، دار التوفيق، 1431هـ/ 2010م.

ابن الحاج العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي، المدخل، القاهرة، دار نشر التراث، د-ت.

ابن حبان أبو الحاتم، محمد بن حبَان بن أحمد بن حبَان بن معاذ بن معبد التميمي البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبار الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1408هـ/ 1988م.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود الكناني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار وعلي محمد البجاوي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، 1387هـ/ 1967م.

نفسه، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، القاهرة، دار الريان، 1407هـ/ 1986م.

نفسه، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق سعد بن ناصر الشثري وآخرين، الرياض، دار العصمة / دار الغيث، 1419هـ/ 1998م.

ابن خِلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1398هـ/ 1978م.

ابن خلصون، أبو عبد الله محمد بن يوسف، كتاب الأغذية، تحقيق وترجمة سوزان جيغاندي، دمشق، معهد الفرنسي للدراسات العربية، 2016هـ/ 1996م.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، تهافت التهافت، بيروت، دار الفكر، 1414هـ/ 1993م.

نفسه، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، د-ت.

نفسه، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1384هـ/ 1964م.

ابن الساعي، تاج الدين أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي، تونس، دار الغرب الإسلامي، 1430هـ/ 2009م.

ابن الصلاح، الشهرزوري، طبقات الفقهاء الشافعية، تبييض الإمام المزي، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية،1413هـ/ 1992م.

ابن طملوس، أبو الحجاج يوسف، كتاب المدخل لصناعة المنطق، حقق أسين بلاصيوس قسما منه ونشره بمدريد، المطبعة الإبيرية، 1916م.

ابن عذاري، المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1404هـ/1983م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المَعَافري، الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، عبد الله التوراتي وأحمد عروبي، طنجة/بيروت، المطبعة الكتانية، 1436هـ/ 2015م.

نفسه، العواصم من القواصم، حققه ونشره محمد الطالبي في الجزء الثاني من كتابه "آراء أبي بكر بن العربي الكلامية"، الجزائر، 1394هـ/ 1974م. أعادت طبع الجزء الثاني منه الذي يتضمن النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، مكتبة دار التراث بالقاهرة.

نفسه، قانون التأويل، تحقيق محمد السليماني، بيروت، مؤسسة عُلوم القرآن/جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، 1406هـ/ 1986م.

ابن عربي، محيى الدين محمد بن على بن محمد الحاتمي الطائي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، دمشق، دار اليقظة العربية، 1388هـ/ 1968م

ابن عساكر، هبة الله أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، تاريخ دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر، 1415هـ/ 1995م.

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت/دمشق، دار ابن كثير، 1406هـ/ 1986 م.

ابن العمادية، منصور بن سليم الإسكندراني، ذيل تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيوم بن عبد رب النبي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1419هـ/ 1999م.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي. 1429هـ/ 2008م.

ابن فهد المكي، تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد الهاشمي العلوي المصري الأصفوني، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، نشر مع ذيول طبقات الحفاظ تحت عنوان ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسيني، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لمحمد بن فهد المكي، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، دمشق، مكتبة القدسي/ مطبعة التوفيق، 1347هـ/ 1928م.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الدمشقي، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الحليم خان، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، 1399هـ/ 1979م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري، تأويل مشكل الحديث، تحقيق محمد محيي الدين الأصفر، بيروت، المكتب الإسلامي، 1419هـ/1999م.

نفسه، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، 1386هـ/ 1966.

ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دمشق/بيروت، مكتبة دار البيان/ مؤسسة علوم القرآن، 1398هـ/1978.

ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/ 1990م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني، سنن، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، دمشق، دار الرسالة العلمية، 1430هـ/ 2009م.

ابن المرتضى، المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى بن الفضل بن الحجاج، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد- فيلزر، فيسبادن، الناشر: فرانز شتاينر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1380هـ/ 1961م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الأفريقي، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د-ت.

ابن ناصر الدين الدمشقي، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ/ 1993م

ابن نقطة البغدادي، أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، تكملة الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، مكة، جامعة أم القرى، 1410هـ/ 1990م.

أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، كتاب السنة، تحقيق عطية الزهراني، الرياض، دار الراية، 1410هـ/ 1989م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، سنن، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1416هـ/ 1996م.

أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق محمد الرضواني، القاهرة، مكتبة دار التراث، 1422هـ/ 2001م.

أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال، تحقيق عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، 1400هـ/ 1980م.

أبو العتاهية، أبو إسحق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العيني، ديوان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ/ 1986م.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1416هـ/ 1996م.

إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلانِ الوفاء، في أربعة أجزاء، بيروت، دار صادر، د. ت.

إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إستانبول، 1367هـ/1947م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

نفسه، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، 1376هـ/ 1955م، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

إسماعيل بن الأحمر، أبو الوليد، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1392هـ / 1972م.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم مقالات الإسلاميين، تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن، الطبعة الثالثة، 1400هـ/1980م.

الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دمشق، دار القلم، الطبعة الرابعة، 1430هـ/ 2009م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دمشق/بيروت، دار ابن كثير، 1397هـ/ 1976م.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1409هـ/ 1988م.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي، الفرق بين الفرق، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، تهديم الأركان في أن ليس في الإمكان أبدع مما كان. مخطوط، مجاميع تيمور، رقم 6.

البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ/ 2000م.

الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي،1397هـ/ 1977م.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الشافعي، شرح المقاصد، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م.

التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه التكروري، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس/ليبيا، دار الكاتب، 1420هـ/ 2000م.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي، الإشارات الإلهية، نشر بالقاهرة سنة 1370هـ/ 1950م بتحقيق عبد الرحمن بدوي بمطبعة جامعة فؤاد الأول. ثم بتحقيق وَداد القاضي، بيروت، دار الثقافة، 1393هـ/ 1973م.

نفسه، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1361هـ/ 1942م.

جميل بك، بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبد الله باشا العظم، عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر، بيروت، المطبعة الأهلية، 1325هـ/ 1908م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستانبول، 1360هـ/1941م، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ/ 1980م.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري، المستدرك على الصحاح، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ/ 2002م.

الحلاج، الحسين بن منصور، الأعمال الكاملة، جمع قاسم محمد عباس، بيروت، رياض الريس للكتاب والنشر،1422هـ/ 2002م.

الديلمي، أبو شجاع شيرويه، فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج عن كتاب الشهاب، تحقيق فؤاد أحمد الزمرلي ومحمد المعتصم بالله، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، تحقيق بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/ 2003م.

نفسه، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1401هـ/ 1981م.

نفسه، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، 1382 هـ/ 1963م.

الزبيدي، مرتضى، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، القاهرة، المطبعة الميمنية، 1311هـ/ 1893م. ثم نشر مصورا، تصوير مؤسسة التاريخ العربي، 1414هـ / 1994م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، رفع الحاجب على مختصر ابن الحاجب، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، عالم الفكر، 1419هـ/1999م.

نفسه، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1383هـ/ 1964م.

السلَفي، أبو طاهر أحمد بن محمد، معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الفكر، 1414 هـ/ 1993م.

السلمي، عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1418هـ/ 1997م.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، كتاب الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، 1408هـ/ 1988م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تشيد الأركان في أن ليس في الإمكان أبدع مما كان، حلب، دار الكتاب الإسلامي، 1419هـ/ 1998م.

نفسه، الحاوي للفتاوي، القاهرة، 1352هـ/1933م، وأعيد طبع الفتاوى مصورة ببيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م.

نفسه، طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1396هـ/ 1976م.

نفسه، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، بيروت، دار المعرفة، 1395هـ/ 1975م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، 1387-1388هـ/ 1968م

الصريفيني، إبراهيم بن محمد بن الأزهر، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، 1409هـ/ 1989م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/ 2000م.

الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق فرانسيسكو كوديرو و ج. ريبيرا، مدريد، 1884-1892م، أعيد طبعه في بغداد بمكتبة المثنى، وفي القاهرة، مكتبة الخانجي وغيرهما.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل أبراهيم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة،1411هـ/ 1990م.

نفسه، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، 1422هـ/ 2001م.

الطبري، أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد القطان، التلخيص في القراءات العشر، تحقيق محمد حسن عقيل موسى، جدة، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، 1390هـ/ 1970م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد، القاهرة، مكتبة ابن تيمية،1397هـ/ 1977م.

عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، جوهانسبرغ، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1403هـ/ 1983م.

عبد الواحد المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري، صيدا / بيروت، 1426 هـ/ 2006م.

العجلوني، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق أحمد القلاش، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/ 1985م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م.

عياض، (القاضي)، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1402 هـ / 1982 م.

الغزالي، أبو حامد، أجوبة الغزالي عن أسئلة ابن العربي، القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المالكي، تحقيق محمد عبدو، بيروت، دار الكتب العلمية، 1433هـ/ 2012م.

نفسه، إحياء علوم الدين، جدة، دار المنهاج، 1432 هـ /2011م.

نفسه، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السابعة، 1407هـ/ 1987م.

نفسه، فتاوى الإمام الغزالي، تحقيق مصطفى محمود أبو صوى، كوالالمبور، المعهد العلي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، 1416هـ/ 1996م.

نفسه، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي، القاهرة، مطبعة السعادة، 1325هـ/ 1907م،

نفسه، المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1993م.

نفسه، مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلاء عفيفي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1384هـ/ 1964م.

نفسه، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق محمود بيجو، دمشق، مطبعة الصباح، 1420هـ/ 1999م.

نفسه، المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عياد، دمشق، 1353هـ/ 1934م، بيروت، دار الأندلس، طبعة 1423هـ/ 2003م.

الفتح بن خاقان الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار/ مؤسسة الرسالة، 1403هـ/ 1983م.

الفرزدق، أبو فراس هَمَام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، ديوان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/ 1987م.

القرطبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407هـ/ 1987م.

القزويني، بهاء الدين أبو محمد طاهر، سراج العقول في منهاج الأصول، مخطوط بمكتبة المسجد الأقصى بالقدس الشريف برقم [1397].

القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمَد أبى بكر أحمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، بيروت، المكتب الإسلامي، 1425هـ/ 2004م.

القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، مطابع مؤسسة دار الشعب، 1409هـ/ 1989م.

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي، مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/ 2005م.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ/ 2005م.

الكتاني، الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق محمد المنتصر، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الرابعة، 1406هـ/ 1986م.

نفسه، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1425هـ/ 2004م.

كحالة، عمر، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت، مكتبة المثنى، 1376هـ/1957م.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق نشأت بن كمال المصري، الإسكندرية، مكتبة دار البصيرة، 1422هـ/ 2001م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، أعلام النبوة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1406هـ/ 1986م.

المبرد، أبو العباس محمد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 1417هـ/ 1997م.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي، ديوان، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ/ 1983م.

قيس بن الملوح العامري، ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1400هـ/ 1979م.

المحبي، محمد أمين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، مصر، 1284هـ/1868م.

مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي، 1376هـ/ 1955م.

المشهور عبد الرحمن بن محمد بن حسين، كتاب شمس الظهيرة في نسب أهل البيت، تحقيق محمد ضياء شهاب، جدة. د-ت.

المقري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى القرشي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1388هـ /1968م.

مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1399هـ/ 1979م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، د-ت.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، بيروت، دار المعرفة، 1420هـ/ 1999م.

النووي، محيي الدين يحيى، شرح صحيح مسلم، القاهرة، المطبعة المصرية بالقاهرة، 1347هـ/ 1929م.

النووي، محيي الدين يحيى، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1430هـ/ 2009م.

الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب - ودار الغرب الإسلامي، 1401هـ/ 1981م.

ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1993م.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1398هـ/1977م.

اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1374ـ 1380 هـ /1954 ـ 1960 م،

المراجع:

أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط :سلسلة ندوات ومناظرات، 1988، ص 173-193.

إحسان، عباس، " الجانب السياسي من رحلة ابن العربي "، مجلة الأبحاث، ج 16، عدد 2 ص217- 236، بيروت، 1963م.

إحسان عباس، العرب في صقلية، بيروت، دار الثقافة، 1395هـ/1975م.

الأعسم، عبد الأمير، الفيلسوف الغزالي إعادة تقويم لمنحنى تطوره الروحي، القاهرة، دار قباء، طبعة، 1419هـ/ 1998م.

بدوي، عبد الرحمن، مؤلفات الغزالي، القاهرة، 1381هـ/ 1961م، الكويت، وكالة المطبوعات، 1398هـ/ 1977م.

الجبوري، كامل سلمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة **2002**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/ 2003م.

شخوم، سعدي، "فتوى الإمام أبي زكريا الزناتي في الانتصار لأبي حامد الغزالي و كتابه الإحياء"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مجلد 1، عدد 1، 1437هـ/ 2016، ص 11-33.

الصغير، عبد المجيد، "البعد السياسي في نقد القاضي ابن العربي لتصوف الغزالي"، ضمن: أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: سلسلة ندوات ومناظرات، 1409هـ/1988م، ص 173-193.

قبلي، محمد، "رمز الإحياء وقضية الحكم في المغرب الوسيط، الخطاطة العامة وأرضية الاختلاف"، نشر المقال في كتاب " مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط "، الدار البيضاء، دار توبقال، 1407هـ /1987م، ص 21-51. وأعيد نشر نفس المقال دون تغيير في أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: سلسلة ندوات ومناظرات، 1409هـ/1988م، ص 139-171.

قره بلوط، علي رضا، وقره بلوط، أحمد طوران، معجم التاريخ التراث [كذا] الإسلامي في مكتبات العالم، قيصري، دار العقبة، 1422هـ/ 2001م.

المغراوي، محمد، "فتوى أبي الفضل ابن النحوي حول كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي"، ضمن متنوعات محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1418هـ/ 1998م، ص 126- 128.

المنوني، محمد، حضارة الموحدين، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1410هـ/1989م.

مراجع باللغات الأجنبية:

Arberry, A.J., **The Chester Beatty Library, A Handlist of the Arabic Manuscripts,** Dublin, 8 vol., 1955-1964.

Asín Palacios, **La Espiritualidad de Al Gazel y su sentido cristiano**, 4 vol., 1934-1941.

Casiri, Michael, **Bibliotheca Arabico-hispana Escurialensis sive librorum omnium mss. quos Arabicè ab auctoribus magnam partem Arabo-hispanis compositos Bibliotheca Coenobii Escurialensis complectitur, recensio & explanation**, Matritum (madrid), Perez de Soto, 1760.

Macdonald, D.B., "The **Life of al-Ghazali, with Especial Reference to his Religious Experiences and Opinions**", in JAOS (Journal of the American Oriental Society), 20, 1899. pp. 71-132.

Montgomery Watt, "The ***Authenticity*** **of Works attributed to al-Ghazäli",** The *Journal of the Royal Asiatic Society* (1952), pp 24-45.

ثبت الموضوعات



الإملاء على مشكل الإحياء

يبدو أن الجزء الرابع من كتاب إحياء علوم الدين والمخصص للمنجيات قد أثار ضجة كبيرة لازالت مصدرا لكثير من التساؤلات والجدالات حول عدد من المفاهيم والآراء التي عسر فهمها أو استيعابها على كثير من العلماء مند صدور هذا الكتاب وانتشاره بين الناس. وقد جاء الإملاء على مشكل الإحياء كما يدل على ذلك عنوانه محاولة من الغزالي للإجابة على هذه الأسئلة وكشف كل هذه الإشكالات التي استعصت على بعض قراء الإحياء أو قل على بعض من "حُجِب فهمه، وقصر علمه، ولم يفز بشيء من الحظوظ المَلَكِية قَدَحُه وسهمه كما وصفهم مؤلف الكتاب.